رشيد الخيُّون

100 عام من

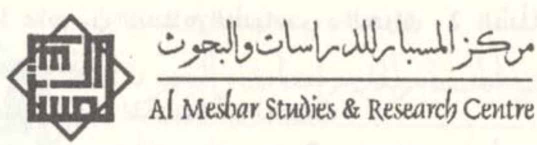
الإسلام السياسي بـ العراق

2 السُّنَّة









رشيد الخيُّون



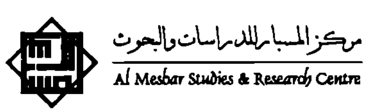
100 عام مِن الإسلام السِّيَاسي بـ العِراق

2

السُّنَّة

الكتاب: 100 عام مِن الإسلام السّياسي بـ العِراق 2 السُنّة
المؤلف: رشيد الخيُون
الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث
التصنيف: فكر ديني سياسي
الطبعة الأولى، مايو (أيار) 2011
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-58-2

الكتاب متوفر على الإنترنت: مكتبة نيل وفرات www.nwf.com

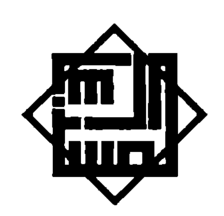


www.almesbar.net

ص.ب. 333577
دبي الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 77 151 36 4 971+
فاكس: 78 151 36 4 971+
almesba@rinfo.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموما، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضرا في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

المحتوى

الفصل الأَول

تمهيد تاريخي

يصعب تحديد خلفية تاريخية للحراك السِّياسي السُنَّي، بوجه عام، فالإمامة لم تكن أصلاً من أُصول المذاهب السُنَّية كافة، والتي هي: التَّوحيد، والنُّبوة، والمعاد، مثلما هي لدى الشّيعة، أو حتى العدل لم يكن أصلاً من الأُصول، مثلما هو لدى الشّيعة أيضاً والمعتزلة. بل بقدر ما كان أصلا الإمامة والعدل واقعاً محققاً عبر مركز الخليفة، الفاصل في الدُّنيا والدِّين. وعلى اعتبار أن الدَّولة، بعد تبلور المذاهب، اتخذت الفقه السُنَّي في معاملاتها وعباداتها. كذلك لا يخفى موقف معظم أئمة المذاهب السُنَّية من مسألة الخروج على السلطان، مع الحث على العدل والصلاح بين الرعية.

ولا يخفى أنه لم يظهر تمايز بين السُّنَّي والشّيعي، من الناحية العقائدية، إلا بعد ظهور العقيدة الأشعرية، نسبة إلى الإمام أبو الحسن الأشعري (ت: 324هـ 935م)، وقد صنف ابن عساكر الشافعي (ت: 571هـ 1175م) كتاباً في الدفاع عن إمام عقيدته السُنَّية تحت عنوان (تبيين كذب المفتري في ما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري).

ولأهمية الأشعرية في العقيدة السُنِّية، وعلى وجه الخصوص لدى المذهب الشافعي، قيل: (كل سُنِّي لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة)[1]. وقيل أيضاً: (لا يكون الفقيه شافعياً على الحقيقة حتى يحصِّل كتاب التبيين لابن عساكر، وكان مشيختنا يأمرون الطلبة بالنظر فيه)[2].

وفي القرنين الثَّالث والرابع الهجريين، تبلور الخلاف على أساس فقهي بين الشِّيعة والسُّنَّة، حيث ظهرت كتب الحديث النبوي، فلأهل السُّنَّة كتب عديدة، من أبرزها الكتب الستة: (صحيح البخاري)، و(صحيح مسلم)، و(سنن أبي داود)، و(جامع الترمذي)، و(سُنَّن النسائي)، و(سُنَّن ابن ماجة)، ومصنِّفوها: محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256 هـ)، ومسلم بن الحَجَّاج (ت: 261 هـ)، وسليمان ابن الأشعث السجستاني (ت: 275 هـ)، ومحمد بن عيسى الترمذي (ت: 279 هـ)، وأحمد بن شعيب النسَائي (ت: 303 هـ)، ومحمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت: 273 هـ).

أما الشِّيعة فلدَّيهم الكتب السبعة، أربعة منها للمحمدين المتقدمين الثلاثة: (الكافي)، و(مَنْ لا يحضره الفقيه)، و(الاستبصار)، و(التهذيب)، ومصنفوها: الكُليني (ت: 329 هـ)، والشَّيخ الصدوق (ت:

---

1 السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 3 ص 352.

2 المصدر نفسه. وكان سبب تصنيف الكتاب هو بغض إمام قراءات القرآن بالشام الحسن بن علي الأهوازي لمذهب الأشعري (ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة 5 ص 56).

381 هـ)، والطوسي(ت: 460 هـ). وثلاثة منها للمحمدين المتأخرين، صُنفت في الفترة الصفوية: (الوافي في شرح الكافي)، و(وسائل الشِّيعة)، و(بحار الأنوار)، من قبل: الفيض الكاشاني (ت: 1680، والحر العاملي (ت: 1692)، والمجلسي (ت: 1699).

وحينها انشطر الجامع والمسجد إلى جامعين ومسجدين، وعُزلت قبور الموتى إلى مقبرتين والأذان إلى أذانين، مع أن ليس هناك من رواية تقول: إن قتلى معركة الجمل(36 هـ656 ميلادية) أو صفين(37 هـ 657 ميلادية) دفنوا في مقبرتين متمايزتين مثلاً.، لكن فصل الجيوش حتم أن يكون إمامين للصلاة، من دون اختلاف في الأذان أو الفصل بين الأوقات، أو ضم الأيدي إلى الصدور أو جعلها مرسلات.

مع الإشارة إلى أن النَّاس كانوا علويين وأمويين، أو شيعة علي وشيعة معاوية، فالشِّيعة اسم عام يأتي بمعنى المشايعين أي الأتباع، وهو تمايز سياسي بحت لا ديني وفقهي، وعُرف، لدى فئة من المؤرخين ومترجمي طبقات الرجال، عام الصلح(41 هـ 661 ميلاية) بين الخليفة، آنذاك، الحسن بن علي وأمير الشام معاوية بن أبي سفيان، بـ(عام الجماعة)[3].

3 ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1 ص 387.

ويغلب على الظن أنه لو التزم معاوية بشروط ذلك الصلح لتغير التَّاريخ، وربما اختلفت خارطة المذاهب والفِرق الإسلامية اختلافاً جذرياً. فحسب ابن عبد البرّ، وسواه من المؤرخين من أهل السُّنَّة، أن الحسن (سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير، ثم تكون له من بعده، وعلى هذا انعقد بينهما ما انعقد في ذلك، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها، وإن كان عند نفسه أحق بها)[4].

وكم يبدو ظاهر الحديث التالي، وهو كما يبدو من الموضوعات، دواءً للفتنة، ونبذاً للحرب، التي واجه فيها المسلمين، أول مرة، بعضهم بعضاً، مثل (الجمل) و(صفين): (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي. وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ)[5]. سواء كان وضعه لصالح الحكم الأموي أو لصالح الكف عن الحرب والبقاء على دماء النَّاس، كان يمكن هذا لو أحتفظ معاوية بشروط الصلح، لكنها المصالح، وعلى حدّ ما قاله أبو العلاء المعري(ت: 449 هـ 1057 م) السُّلطة طموح وهي، المستبدة منها، ترى السَّيف قبل الضمير:

طموح السَّيفِ لا يخشى إلهاً
ولا يرجو القيامة والمعادا[6]

---

4 المصدر نفسه. راجع تفاصيل الصلح لدى الطبري، تاريخ الأمم والملوك 4 ص 408 - 410.

5 الكتب الستة، سُنَن أبي داود، باب السُّنَّة، ص 1566 حديث رقم: 4662.

6 المعري، سقط الزند، قصيدة: عاند مَنْ تطيق له عنادا، ص 201، ومطلع القصيدة (ص 197).

وما نراه أنه لعدم الوفاء بشروط ذلك الصلح، الذي مال إليه العلويين بزعامة الحسن وبالتالي شيعتهم، حُصر اسم (الجماعة) وأضيفت إليه مفردة (السُّنَّة)، في ما بعد، بفريق دون آخر من المسلمين، ممَنْ حرص على القبول في الأمر الواقع ورأى المُوادعة، بعذر الحفاظ على الإسلام، فصار الاسم: (أهل السُّنَّة والجماعة)!

على أن الدَّولة واجهت بشدة فرقاً شيعية شهرت السلاح ودعت إلى الثورة ضدها مثل الزَّيدية والإسماعيلية. أما الشِّيعة الإمامية فبايع الأئمة الأوائل، بعد الحسن (قيل مات مسموماً 49 هـ 669)[7] والحسين (قتل 61هـ 680 ميلادية) بقية الخلفاء، واختلفت حولهم الفرق وتشعب الأتباع[8]، وظهر مراجع الدِّين أو المجتهدون، ممَنْ لم يرَ الثورة، ولا تَسلم الحكومة، على أنها من حق الإمام المعصوم الثَّاني عشر المهدي المنتظر، من دون تظاهر ضد خلفاء الزمان بمنافسة، وقد أطنبنا في الحديث عن غيابه، ومَنْ انتحل نيابته في فصل (المهديون)، من هذا الكتاب. وهنا نجد نوعاً ما من التلاقي بين الموقف السُنِّي والموقف الشِّيعي المعلنين، وهو الصبر على الحاكم، مع عدم إغفال النصيحة والمطالبة وتبيَّان المظالم!

7 اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي 2 ص 225.

8 راجع النوبختي، فِرق الشِّيعة، منذ اختلاف حول حياة وفاة الإمام السابع جعفر الصادق(148 هـ 766 م) وحتى وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري(ت: 260هـ 883 م).

ففي شأن الموقف من الحكم ظهر حرص أئمة السُّنَّة والجماعة على البقاء على الخليفة الحاكم، مهما كانت أحواله، وظهرت أحاديث تمنع الثورة ضده، ومثل هذا نقرأ لدَّى قاضي القضاة أبي يوسف (ت: 182هـ789 م)، وهو تلميذ إمام المذهب أبي حنيفة (قيل قُتل 150هـ767 م) ناقلاً عن أبي هريرة (ت: 59هـ687 م) قولاً للرسول جاء فيه: (إنما الإمام جُنَّة[9] يُقاتل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن أتى بغيره فعليه إثمه)[10]. وأكثر من هذا أورد أبو يوسف: (ليس من السُّنَّة أن تشهر السلاح على إمامك)[11].

وورد عن الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ 855 م) في شأن عدم الخروج على الإمام، وما يتعلق برفض أصحابه لخلافة الواثق بالله (ت: 232هـ 846 م)، كونه كان يقول بمقالة (خلق القرآن)[12] على خلاف رأي ابن حنبل، ما نصه: (عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين)[13]. هذا ما ردَّ به ابن حنبل عندما اجتمع إليه فقهاء بغداد، على حد عبارة الفَّراء نفسه، وقالوا له: (هذا أمر قد تفاقم وفشا- يعنون إظهار خلق القرآن-

---

9 كل ما وقى (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1187).

10 أبو يوسف، كتاب الخراج، ص 9.

11 المصدر نفسه.

12 ملخصها: أن كتاب القرآن خلقه الله وليس كلامه القديم، إنما هو مخلوق وحادث.

13 الفراء، الأحكام السلطانية، ص 21.

نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه)[14]. وترى ابن حنبل لم يدع إلى السَّيف ضد الخليفة عبد الله المأمون مع ما يُنقل عنه من رأي فيه: (إذا ذكر المأمون قال: كان لا مأمون)[15].

وأورد الشَّيخ ابن تيمية (ت: 728هـ1327 م) ما يمنع الخروج على السلطان: (وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي أن: السلطان ظلّ الله في الأرض. ويُقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان. والتجربة تبين ذلك)[16].

كذلك قال ابن تيمية في شأن محاربة الإمام الجائر في زمن الفتنة: (لهذا أمر النبي (ص) بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم، ما أقاموا الصَّلاة. وقال: أدوا حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم)[17]. وأيضاً: (ولهذا كان من أُصول أهل السُّنَّة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة)[18].

ومن خارج محيط الفقهاء، لكن تأثراً بهم، فلجميل صدقي

---

14 المصدر نفسه.

15 المصدر نفسه، ص 20.

16 النجدي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 28 ص 390-391.

17 المصدر نفسه 28 ص 128.

18 المصدر نفسه 28 ص 129.

الزهاوي (ت: 1936م) في هذا الشأن أبيات، قالها دفاعاً عن السلطان العثماني ضد الدعوة الوهابية[19]:

مَنْ كان يؤمن بالنَّبي محمدٍ
وبما أتى من منزل القرآن
علم اليقين بأنه في دينه
وجبت عليه طاعة السُّلطان

ما تقدم كان إشارات واضحة البقاء على الأئمة، ومحاولة إرشادهم إلى العدل، وبهذه الذريعة تصدى ابن تيمية لحرب المغول (القرن الثَّالث عشر الميلادي)، حيث سقوط الخلافة على يد غير المسلمين، وليعلم بموقفه مما أتى بعدهم من خلافة خارج مبدأ أو شرط: الإمامة في قريش[20]، مثل الخلافة العثمانية.

عموماً، كان ظهور الإسلام السِّياسي المعاصر بعد سقوط الخلافة العثمانية، على الرغم من أنها كانت مخالفة للشرط المذكور. حيث ظهر (الإخوان المسلمون) بمصر السَّنة 1928، وكان جماعات الإخوان بالبلدان الأخرى فروعاً لها، وما زالت تلك الأمومة قائمة إلى حدٍّ ما، ومنهم الإخوان بالعراق، موضوعنا في هذا الكتاب.

ولا تفوتنا الإشارة إلى وجود تنظيمات سياسية سُنِّية، لكنها لا

---

19 عزّ الدِّين، الشعر العراقي الحديث والتيارات السِّياسية والاجتماعية، ص 23.

20 الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 6.

تعد بمكان كأحزاب إسلامية دينية، وحالها هنا مثل حال التنظيمات الشِّيعية، التي ظهرت في بداية القرن العشرين بالنَّجف (راجع الفصل الثَّالث من الكتاب)، وكل ما في الأمر أن زعماءها من علماء الدِّين، وان أهدافها أهداف إسلامية عامة تتعلق بحماية الدِّين، أو الدفاع عن الخلافة، ولا تحمل مشروع دولة الحاكمية، مثلما هو معروف لدَّى الأحزاب الإسلامية.

كان من تلك التنظيمات (حزب العهد)، الذي تزعمه الشَّيخ محمد سعيد النقشبندي (ت: 1920م) [21]. تأسس الحزب ببغداد العام 1914، وصاحب فكرة الحزب هو رئيس الوزراء، في ما بعد، نوري السعيد (قُتل 1958). (كان الحزب يومئذ سرياً، وقد انتسب إليه كثير من أبناء العرب، ووجوه الأمة، ولما أراد نوري باشا السعيد أن يجعله علنياً، فقد أعاده سنة 1930، حينما كان رئيساً لوزارة حكومة العراق حزباً حكومياً) [22]. لكن ما قبل نوري السَّعيد أن عزيز مصري (ت: 1965)، وهو عزيز بك علي الشَّركسي الأصل، كان قد أسس بالإستانة

21 ولد الشَّيخ محمد سعيد النقشبندي بمحلة الفضل من بغداد 1860، وهو شقيق الشَّيخ عبد الوهاب النائب، اشتهر بسفرته إلى تركيا بدعوة من السلطان العثماني، بعد أن بحث موضوع المدرسة الدِّينية بسامراء مع والي بغداد، ورفع الأمر إلى السلطان عبد الحميد الثَّاني، وقد استقبل السلطان الشَّيخ النقشبندي، وأمر بتشييد المدرسة الدِّينية العلمية لأهل السُّنَّة. وبعد تأسيس المدرسة أصبح مدرسها، ثم نُقل إلى التدريس بمدرسة الإمام أبي حنيفة ببغداد، ثم شيخاً ومرشداً بالتكية الخالدية، بعد أن سلك الطريقة النقشبندية، ولُقب بها (السامرائي، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع الهجري، ص 210- 211).

22 آل السهروردي، لُبُّ الألباب 2 ص 275.

(جمعية العهد)، (وهي جمعية سياسية أُنشئت للدفاع عن القضية العربية، فانشطرت بمقتضى سياسة أعضائها الجديدة إلى شطرين يسعى أحدهما لتحرير سورية والآخر لإنقاذ العراق)[23]. واستبدلت تلك الجمعية بحزب العهد، وله برنامج حُرر 1919. وقد ظلت لجنة العهد المركزية تجمع سورية والعِراق، حتى صار الخلاف وأصبح الشيخ النَّقشبندي معتمداً سياسياً ببغداد لجمعية العهد العراقي، وكان المركز بالشَّام[24].

وقبل حزب (العهد) كان الشَّيخ النقشبندي رئيساً لحزب (المشورة)، وقد تشكل بعد إعلان الدستور العثماني (1908)، شارك فيه كبار القوم من البغداديين، منهم عبد الرحمن النقيب الكيلاني (ت: 1927). غير أن هدف هذا الحزب هو مواجهة الحرية والحياة الدستورية، أو المشروطية حسب تسميتها آنذاك، التي أُعلنت ببغداد، كسائر أقطار الدَّولة العثمانية 1908، و(كانت خطته إرجاع الشَّريعة الإسلامية... وقاوم الفكرة اللادينية، وقضى عليها، إلا أنه أخيراً تفرق أعضائه (هكذا وردت) لأمور اقتضت ذلك، وذهبت أعمالهم سدىً)[25].

---

23 البصير، تاريخ القضية العراقية، ص 57. ثبت حدود العِراق الطَّبيعية، في فصله الأول، من شمالي دير الزور، وضفة دجلة الممتدة مِنْ قرب ديار بكر إلى خليج البصرة (المصدر نفسه، ص 58). وأراه رداً دامغاً لِمَنْ يريد جعل العِراق الطَّبيعي مِنْ لدن الإنكليز.

24 المصدر نفسه، ص 79.

25 آل السهروردي، لُبُّ الألباب 2 ص 275.

ولا أدري، كم يصطدم فعل الشَّيخ السِّياسي مع تصوفه، وحمله للقب النقشبندي، وإدارته لتكية صوفية، مثل التكية الخالدية وسط بغداد؟! فالمعروف عن التصوف عدم الاعتراف أو التعامل مع الأحزاب السِّياسية، أو السياسة على العموم. ومن نشاط الشَّيخ النقشبندي ضد الحرية ما جابه به الشاعر جميل صدقي الزهاوي (ت: 1936) لمقال نشره في جريدة (المؤيد) المصرية، ثم أعيد نشره في دورية عراقية آنذاك، يدعو فيه إلى سفور النساء وتحرير المرأة، في أيام الوالي ناظم باشا، السَّنة 1912. وقد أتينا على تفصيل ذلك في كتابنا (المباح واللامباح)، فصل (السفور والحجاب).

الفصل الثّاني

الإخوان المسلمون

أطلقت تسميت (الإخوان) على أكثر مِن جماعة، وأشهرها (إخوان الصّفا وخِلان الوفا) (القرن العاشر الميلادي)، والّذين عرفوا برسائلهم الفلسفية والعلمية، بمقاسات ذلك الزمان، وهؤلاء سبقوا عصرهم، وما زالوا يسبقون آراء وأفكار معاصرة، في دعوتهم إلى الليبرالية وحثهم على العلم، ونبذهم للعداوات في العقائد[26].

ثم أُطلق الاسم على السلفيين الأولين بنجد، الذين تشكل منهم جيش الإخوان، وتعني (إخوان مَن أطاع الله)[27]، وأصبحوا منذ 1913 (القوة الضّاربة والمخيفة في جيش الملك عبد العزيز)[28]. وأخيراً أطبقها الشّيخ حسن البنا (اغتيل 1949) على جماعته في مارس 1928 حين قال لِمَن اجتمع إليه: (نحن إخوة في خدمة الإسلام، فنحن إذن الإخوان المسلمون)[29].

---

26 أنظر الرسائل 4 ص 124 رسالة عِشرة إخوان الصّفا، ورسالة اعتقادات إخوان الصّفا 4 ص 86 - 87.

27 منصور النقيدان، دراسة في فكر المحتلين للمسجد الحرام، كتاب الإسلاميين في الخليج القضايا. كتاب المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الخامس والأربعون، سبتمبر (أيلول) 201، ص 47.

28 المصدر نفسه.

29 يوسف، الإخوان المسلمون وجذور التّطرف الدّيني والإرهاب في مصر، ص 120 عن مجموعة رسائل الإمام الشّهيد حسن البنا، ص 62.

هذا، وليس لنا إغفال الوشيجة بين التسمية (الإخوان) والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عِقب الهجرة النَّبوية مِن مكة إلى المدينة، والقول الذي يُنقل عن النَّبي: (تآخوا في الله أخوين أخوين)[30]. ما يخص فرع الإخوان بالعراق، سرعان ما عُرفوا باسم الحزب الذي شكلوه، حسب ما سيرد في قصته، (الحزب الإسلامي العِراقي).

إذا كان الإسلام السِّياسي الشِّيعي، أو بأكثر دقة، تدخل الفقهاء في السِّياسة بسبب ثورة المشروطة (الدِّستورية) والخلاف مع المستبدين (1906)، مثلما عرفوا بهذا الاسم، ويبدو جاء مِن خصومهم، ثم النُّزوع إلى مقاومة الاحتلال البريطاني في ما عُرف بثورة العشرين، مثلما تقدم، فإن الدَّلائل تشير إلى أن الإسلام السِّياسي السُّنِّي العِراقي، تحديداً، ارتبط إلى حد بعيد بالقضية الفسلطينية[31]، مِن تأسيس الجمعيات الدَّاعمة، وتجهيز المقاتلين، بل وأخذ القضية واجهة لمشروعية التَّنظيمات السِّياسية الإخوانية، وكسب الأعوان، وجمع الأموال، حتى غدت غطاءً لنَّشاط الإخوان، والبداية كانت بمصر 1928، وبالعِراق كانت أكثر وضوحاً.

قامت جمعية (إنقاذ فلسطين) (1947) بتسجيل المتطوعين، والتَّدريب، والتَّسفير، وكان الشيخ الصَّواف هو أمين عام الجمعية

---

30 ابن هشام، السِّيرة النَّبوية 2 ص 112.

31 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 113 وما بعدها.

المذكورة. وربما تحت هذا التَّأثير، والجمع بين العروبة والإخوان المسلمين عمل الصَّواف مع العقداء الأربعة (أصحاب انقلاب 1941 بالعِراق)، وكان (عضواً في منظمة سرية تعمل لتحرير الوطن مِن الإنكليز مع يونس السَّبعاوي(أعدم 1941))[32]، أحد قادة الانقلاب بقيادة العقداء الأربعة[33]. وارتباط هذه الجمعية بمفتي القدس أمين الحسيني(ت: 1974)، الذَّي أقام بالعراق (1939 -1941)[34].

كانت شعبة التَّحقيقات الجنائية، التَّابعة لوزارة الدَّاخلية، وهي بمثابة شعبة المخابرات، تراقب ما يجري في جمعية (الآداب الإسلامية)، وعلى وجه الخصوص بعد دحر انقلاب رشيد عالي الكيلاني (حزيران 1941)، فقد ورد تقريرها عن مناسبة الهجرة النَّبوية، في 13 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1941 واستغلال الصَّواف للمناسبة بجامع أبي حنيفة، وهو يقول: (أيها المؤمنون المجاهدون المناضلون، في سبيل إعلاء كلمة الإسلام استمدوا مِن هذه الذِّكرى الكفاح والحرية أمام(هكذا وردت) فلسطين ... واسفكوا دمائكم مِن أجلها)[35]. وكذلك رصدت كلمته في 8 كانون الأول (ديسمبر) 1947 في حفل للتطوع إلى فلسطين[36].

---

32 المصدر نفسه.

33 العقداء القادة هم: فهمي سعيد، وصلاح الدِّين الصَّباغ، وكامل شبيب، ومحمود سلمان.

34 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 101.

35 البلداوي، لقاء الأضداد.. حقائق وثائقية، ص 103. عن وثيقة التَّحقيقات الجنائية، كتابها السِّري للغاية. العدد 2985.

36 المصدر نفسه، عن وثيقة التَّحقيقات الجنائية، العدد 3178، والموضوع تقرير خاص.

يعطينا هذا تصوراً أن (الإخوان المسلمون) انشغلوا بقضية فلسطين فحسب، ولم يقتربوا مِن هموم العراقيين، في تلك الفترة بالذات، بشعور إسلامي - عربي. صحيح أن القضية فيها مِن الحقوق لكن تغييب الشَّأن الدَّاخلي وراء قضية فلسطين، وبهذا الحجم والاندفاع، ربما ساهم في وهن التَّنظيم الإخواني منذ وجوده، وهنا لا نعيب هذا النَّشاط بقدر ما نحاول إيجاد عذر عن ضعف تأثير الإخوان بالعراق قياساً ببلدان أخرى، مع عدم إغفالنا لاختلاف مستوى التَّدين بين أهل العِراق وسواهم.

مِن جانب آخر ارتبط وجود الإسلام السِّياسي السُّنِّي، بالمعنى التنظيمي والحزبي ويتولاه عراقيون، بعودة الشَّيخ محمد محمود الصَّواف (ت: 1992) مِنْ مصر، حيث الدِّراسة بجامع الأزهر، وقد ذهب هناك على مرحلتين (1939 -1940) و (1943 -1946). عاد الصَّواف، بعد قضاء الفترة الأخيرة حاملاً رسالة الإخوان المسلمين المصريين لتأسيس فرعهم العراقي، وظهر، في ما بعد، تحت اسم (الحزب الإسلامي العِراقي). مع أن الإخوان بشكل عام يحاولون إبعاد مظاهر الحزبية عن تنظيمهم، إلا أنه قد لا يشمل هذا فروعهم بل يبقى شأنه شأن التَّنظيم الأم. صحيح أن بوادر الحركة كانت موجودة منذ 1941، لكنها لم تظهر إلا بعد عودته مِن مصر 1946[37]. فبعدها أخذ الصَّواف يبعث بالرَّسائل ويتصدر الوفود بعنوان (الإخوان المسلمون في

37 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 195.

العراق)، مثل رسالته بخصوص عقد المؤتمر الإسلامي العام بدمشق العام 1948، وقد نشرت الرسالة في جريدة (السّجل)[38].

فقبلها بادر مدرسون مصريون، العاملين بالعراق، إلى تشكيل أول مجاميع سرية للإخوان المسلمين، حيث أنشأ المدرس محمد عبد الحميد أحمد بالتّعاون مع الدكتور حسين كمال الدّين لتشكيل مجموعة بكلية الهندسة ببغداد، كذلك محمود يوسف، مدرس اللغة العربية بدار المعلمين الابتدائية، ومدرس ثانوية الصّناعة محمود النّحاس كانا مِنَ المؤيدين[39].

كانت فائدة هذا التّأسيس، على بساطته، أن ضم الصّواف تلك المجاميع، التي كونها المصريين، إلى ما كونه مِنْ طلبة كلية الشّريعة، التي عُين فيها مدرساً (1946 -1947)[40]. وكان هؤلاء المدرسون المصريون هم دعاة دفع بهم الشّيخ حسن البنا، تحت ستار التعليم، إلى العراق العام 1945، ومن غير المذكورين بعث أيضاً: عبد الحفيظ، مدرس الرّي، وممدوح أزل للتدريس في ثانوية الصّناعة[41].

---

38 المصدر نفسه، ص 105.

39 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي، ص 10.

40 المصدر نفسه، ص 11.

41 المشايخي، الشّيخ محمد محمود الصّواف، ص 198.

الإخوان العراقيون

حصل أن حضر الصَّواف ندوة، أو ما كان يُعرف بين الإخوان المصريين بدرس الثَّلاثاء، الذَّي يُعقد عادة في المقر العام للإخوان بالقاهرة، وكان المحاضر محمد عبد الحميد أحمد، وهو إحد الدعاة الذَّين بعث بهم الشَّيخ البنا إلى العِراق، فمما قاله المحاضر إن حركة الإخوان مِنَ الصَّعوبة أن تشق طريقها بالعراق، وذلك لتعدد القوميات والأديان والمذاهب السِّياسية، بل وصعوبة قيادة الفرد العِراقي. حينها انبرى الصَّواف وأخذ يذكر محاسن العِراق، ومناسبته لانطلاق الدَّعوة، حتى قال: (إن العِراق سيكون بعون الله معقلاً حصيناً لدعوة الإخوان المسلمين)[42].

كان اللقاء الأول للصَّواف بحسن البنا أن قصده بمسجد محمد فاضل باشا، العام 1939، أي خلال بعثته الأولى إلى الأزهر، حيث يخطب مؤسس الإخوان من على منبره، وبعد التَّعرف أخذهم البنا إلى مركز الإخوان بالحلمية، وأخذ الصَّواف يحضر محاضرة المركز العام كلُّ ثلاثاء. وفي العام 1946، وكان الصَّواف يشد الرَّحال، بعد الانتهاء مِن الدَّراسة، في بعثته الثَّانية، عائداً العِراق جعله البنا عضواً في الهيأة التَّأسيسية للإخوان بمصر، وهي المناسبة التي تكلم فيها محمد عبد الحميد، مثلما تقدمت الإشارة[43].

42 البلداوي، لقاء الأضداد.. حقائق وثائقية، ص 10.

43 المصدر نفسه، ص 96. وفي صلاه بالبنا راجع أيضاً: العقيل، مِن أعلام الحركة الإسلامية والدَّعوية،

بعد العودة إلى العِراق نشط الصَّواف على عادة جماعة الإخوان عبر المؤسسات الخيرية، من دون الاعتراف بوجود حزب، كما أسلفنا، وفي مقدمتها جمعية (الإخوة الإسلامية). وحصلت هذه الجمعية على الإجازة العام 1951، ومقرها المدرسة السُّليمانية بالقشلة، وكانت الاجتماعات تُعقد فيها، مع اجتماع أسبوعي يُعقد في جامع الملك غازي، مقابل القشلة، دار السَّراي المعروفة في وسط بغداد.

ثم انتقل المركز العام للجمعية إلى دار كائنة بباب المعظم، وهي دار رئيس الوزراء السَّابق جعفر العسكري (قُتل 1936)، ومنها أصدرت الجمعية مجلة (الأخوة الإسلامية)، وظل عمل الجمعية وإصدار المجلة قائمين حتى إلغاء إجازة الجمعية وتعطيل المجلة 1954. ولما انفجرت ثورة 14 تموز 1958 سارعت الجمعية لتأييدها، ثم ابتعدت بدعوى سيطرة الشِّيوعيين عليها[44]. ونشط الصَّواف، في بث الدَّعوة أيضاً عن طريق جمعية (الشبان المسلمين)، وجمعية (الهداية الإسلامية)، وجمعية (الآداب الإسلامية)، وبعد اختلافه مع الأخيرة لزَّم الشَّيخ الزَّهاوي، ففتح له مدرسة السُّليمانية (1946- 1951)، مِنْ دون إجازة حكومية[45].

ص 204.

44 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي، ص 12.

45 المشايخي، المصدر نفسه، ص 11.

يُذكر أن الصَّواف شكل الهيأة التَّأسيسية للإخوان (1948)، قبل الحزب الإسلامي العِراقي بحوالى عقد مِنَ الزَّمان، انطلاقاً مِن كلية الشَّريعة بالأعظمية، عند مرقد الإمام أبي حنيفة النُّعمان، وتتألف من: إبراهيم منير المدرس، وعبد الله العقيل(البصرة)، والخطيب يوسف العظم (الأردن)، وأحمد نعمان السامرائي، ومحمد ياسين عبد الله (سنجار) [46]. ومما يُذكر أن الشَّيخ أمجد الزَّهاوي كان (الظل العلمائي للحركة)[47]، لكن مِن دون ارتباط. وعلى ما يبدو أن الصَّواف كان ينشط في عدة اتجاهات، عبر الجمعيات والمكتبات، مثل مكتبة الشباب المسلم بالأعظمية، ومكتبة الإخوان بسوق الأعظمية، وقد حصل نوع مِن التنافس، على النَّشاط وفتح المكتبات، هناك مع التيار القومي، والتي تعرف بحركة الشَّباب القومي[48].

كُتب عن دور جماعة الإخوان، هيأة كلية الشَّريعة، في مظاهرات بغداد ضد معاهدة بورتسموث 1948، بأنه حسب اتفاق مع الصَّواف تحرك الطلبة الإخوانيون صوب المقبرة الملكية، الكائنة بالأعظمية، والتحقت بهم جموع مِن طلبة دار المعلمين الابتدائية، وكلية الملك فيصل وثانويتا الأعظمية للبنين والبنات، وأن الإخوان طلبة الشَّريعة كان يرتدون لباسهم الدِّيني، ولما وصلوا إلى دار الصَّواف، الواقعة هناك

46 المشايخي، الشَّيخ محمد حامد الصَّواف، ص 13.

47 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 79 عن جريدة دار السَّلام (جريدة الحزب المركزية) العدد الرابع المؤرخ في 5 حزيران (يونيو 2003.

48 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 200 - 205.

صاحوا: (اخرج .. اخرج.. يا صواف). فلما خرج حملوه على أيديهم، والقصة تطول. وهنا يظهر مؤرخو الإخوان أن إخوان المسلمون وحدهم اسقطوا المعاهدة[49]، حتى قيل: (معاهدة بورتسموث التي أسقطتها العمائم البيض (وردت البيضاء) بقيادة الصَّواف)[50].

لكن ما نعلمه أن الشَّارع العِراقي آنذاك كان يغلي بمختلف طبقات المجتمع، وأن تنظيم الحزب الشّيوعي كان يتصدر،، وشارك فيها يهود عراقيون، وكان الشَّاعر محمد مهدي الجواهري (ت: 1997) ينشد القصائد مِن على منارة مسجد الحيدر خانة، وهو تاريخ قريب ومازال ذلك الجيل في الحياة. ولا نظن أن الإخوان كانوا بهذا العدد وهذا التَّأثير حتى يتفردوا في الساحة السياسة النَّاقمة آنذاك، ومعروف أن رصاص الشرطة ضرب به صدور الشاب اليساريين، وهم يعبرون الجسر، حتى عُرف في ما بعد بجسر الشُّهداء، ومنهم شقيق الجواهري، وقصيدته فيه: (أخي جعفراً) مشهورة، وكان قتله في 7 شباط (فبراير) 1948. ومنها مطلعها المشهور[51]:

---

49 المشايخي، المصدر نفسه، ص 111. العقيل، مِن أعلام الحركة الإسلامية، ص 205.

50 العقيل، المصدر نفسه. مما يجدر ذكره أن أخذ يستهان باعتمار العمائم، حتى أخبر أحد إخوان المسلمين «أن بلغ تحقير العِمامة حتى مِن قِبل حفاري القبور، ومغسلي الموتى وقُراء المقابر والمَواليد والشّحاذين والمشعوذين استهانة بالعلم والعلماء. مما حدا بالشّيخ عبد الباقي العاني، صاحب مجلة الناشئة، وهي مجلة إسلامية، طالب في مجلته السُّلطة أن تسن قانوناً للبس العِمامة. وقد اقترح على كلِّ مَنْ لبس العِمامة أن يكون حائزاً على الإجازة مِن قِبل المجلس العلمي للأوقاف»(المشايخي، الشّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 103 -104).

51 الجواهري الدِّيوان 3 ص 153. نشرها الشاعر في جريدته الرأي العام يوم 15 شباط 1948.

أتعلم أم أنت لا تعلـمُ
بأنَّ جراح الضَّحايا فمُ

بطبيعة الحال، جعل الخلاف العقائدي الإخوان يتنكرون لوجود الدور اليساري والقومي في إسقاط تلك المعاهدة، وكذلك نلاحظ عندما يكتب أولئك تاريخ الحدث لم يتطرقوا إلى أي دور أو وجود، مهما كان ضئيلاً لخصومهم العقائديين! هناك ما يُشاع، أن موقف الصَّواف، وإخوان المسلمين مِن تلك المعاهدة فيه شيء ضد وزارة محمد صالح جبر (ت: 1957) بالذات، على أنها وزارة شيعية، ومحمد فاضل الجمالي (ت: 1997) كان وزير خارجيتها، ولما أتت بعدها وزارة السَّيد محمد الصَّدر (ت: 1956)، وهو شيعي أيضاً قالوا عنه: (انشغل بزيارة مجالس التَّعزية وتهدئة الأوضاع)[52].

لم تكن إشَّاعة إسقاط وزارة جبر، بفعل طائفي، بعيدة عن تكهنات النَّاس، فيذكر رئيس مجلس النُّواب حينها عبد العزيز القصاب (ت: 1965) إنه (في اليوم الثَّاني مِن الاستقالة (الوزارة) زارني أحد رؤساء العشائر، وكان قادماً مِن الكاظمية (منطقة شيعية ببغداد)، واخبرني بأن الوضع في الكاظمية ليس طبيعياً، وان النَّاس هناك ضد استقالة صالح جبر، ويدعون بأنه أُجبر على الاستقالة لأنه شيعي)[53]. لكن هذا الاندفاع الشَّعبي العارم، سوى كان على حق أو

52 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 108.

53 االقصاب، مِن ذكرياتي، ص 318.

على باطل، كان خليطاً مِن الشيعة والسُّنَّة والمسيحيين واليهود عرباً وكُرداً، لم تكن فيه القضية الطَّائفية حاضرة، وإن حضرت فبأذهان فئة قليلة ليس أكثر.

ففي المنطقة الكُردية، على سبيل المثال لا الحصر، دعا رجل الدِّين، ورئيس علماء كوردستان في مابعد، الشيخ معصوم خضر (ت: 1964)، وكان إماماً بمسجد بلدة كويسنجق، الواقعة على الطريق بين أربيل والسليمانية، مسيحيي ويهود البلدة إلى مسجده لحضور الاجتماع العام ضد تلك المعاهدة، بعد أن كان يذهب إلى الكنيسة المسيحية والكنيس اليهودي، وبالفعل حضر جمع وجهاء الديانتين إلى المسجد، من دون أن يجد حرجاً فقهياً، فإذا كان المذهب الشافعي لا يبيح ذلك فلدى المذهب الحنفي رأي آخر[54]. فيصعب عد مثل هذا الموقف بالموقف الطائفي الموجه لشخص رئيس الوزراء محمد صالح جبر.

على ما يبدو لم يتحمس الإخوان في معارضة المعاهدة المذكورة لأمر يخص العِراق بقدر ما يخص فلسطين، فعندما وصلوا ومعهم الصَّواف إلى البلاط الملكي هتفوا مطالبين بتحرير فلسطين وبالجهاد[55]. بينما القوى الأخرى كانت واضحة في مطالبتها ضد المعاهدة لشأن خاص بالعِراق مِن النَّاحية السياسية والاقتصادية.

---

54 لقاء شخصي مع نجل الشيخ الدكتور فؤاد معصوم، لندن: 27 تشرين الاول (أكتوبر) 2007.

55 المصدر نفسه، ص 111.

اتصل الصَّواف بقادة ثورة 14 تموز 1958، ويُذكر أنه عرض عليهم التَّعاون، لكن بخط إسلامي، فأجيزت الجمعية الإسلامية مرة أخرى، بعد سحب إجازتها السَّنة 1954، وأصدرت مجلتها، إلا أنها على ما يبدو كانت تناحرية مع بقية القوى السِّياسية، وعلى وجه الخصوص الحزب الشُّيوعي العِراقي، وإثر صدور عددها السَّابع خرجت التظاهرات ضدها، والقي القبض على الصَّواف، وأودع في سجن بعقوبة (ديالى)، ومنها تقرر خروجه مِنْ العِراق إلى سوريا ثم المملكة العربية السعودية[56]. وهنا يتوقف نشاط، بل ودور الشَّيخ الصَّواف، حيث تقرر تولي الدَّكتور عبد الكريم زَيدان[57] قيادة جماعة الإخوان العراقيين بعده، وهو بمثابة المرشد الثَّاني للجماعة[58].

أما بالموصل فقد نشط التَّاجر السَّيد عبد الرَّحمن السَّيد محمود، وكان يتاجر بين الشَّام ومصر، وحصل أن قابل حسن البنا، ولما

---

56 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العراقي، ص 13.

57 ولد 1917 ببغداد، وتعلم في الكتاتيب ثم المدارس الرسمية، ودرس بكلية الحقوق ببغداد، ثم الدراسة في معهد الشريعة بكلية الحقوق بالقاهرة، وأخذ من جامعة القاهرة شهادة الدكتوراه، أصبح مرشداً للإخوان المسلمين بعد الشيخ محمد محمود الصَّواف، ولما حصل انقلاب 17 تموز (يوليو) البعثي عُين وزيراً للأوقاف في أول وزارة بعد الانقلاب، وعمل في التدريس في كلية الحقوق قسم الشريعة، فكلية الآداب، تدريس الشريعة، ورئيس لقسم الدِّين، ترك العراق 1992 إلى اليمن، حيث يعمل بجامعة صنعاء وجامعة الإيمان الدينية، التي يرأسها الشيخ عبد المجيد الزِّنداني، وما زال هناك حتى كتابة هذه السُّطور(مأخوذة بتصرف مع إضافة من مقابلة معه، موقع هيأة علماء المسلين في العراق الرَّسمي، على الرابط:
http://www.iraq-amsi.com/Portal/index.php?action=pages&id=34

58 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العراقي، ص 13.

عاد إلى الموصل تعاون مع آخرين لنشر الدَّعوة. ولما عاد الصَّواف إلى العِراق اتفقوا على تأسيس جمعة بأسم الإخوان المسلمين، لكن السُّلطة لم تسمح بذلك، على اعتبار أن الاسم معروف كحزب ديني سياسي، وببعد بعد رفض السَّيد عبد الرحمن لتغيير الاسم احتكما إلى الشَّيخ البنا، وأشار الأخير أن تكون باسم آخر، وبعدها انتقل الصَّواف إلى بغداد، وبتحوير قليل في الاسم أسس جمعية (الأخوة الإسلامية)[59].

وينقل جمال البنا، الشَّقيق الأصغر لحسن البنا، عمَّا كتبه الصَّواف في ما حصل بالموصل حول تسمية الجمعية، التي يُراد للإخوان المسلمين التَّستر بها، قال: (رفضت أن تكون التَّسمية مقلدة لاسم في بلد آخر، ويصر الأخ (السَّيد عبد الرَّحمن) أن تحمل الجمعية الاسم نفسه، أي جمعية الإخوان المسلمين، فقلت لإخواني لما رأيت بوادر الخلاف بينهم إن الأسماء لا تهمنا، نحن نريد أن نحمل فكرة. وبعد ذلك شاء الله أن أسافر مع هذا الأخ، الذَّي كان يصر على أن نجعلها باسم الإخوان المسلمين إلى مصر للعمل، والتقينا في مصر بالإمام الشَّهيد(حسن البنا)، رحمه الله، وسألناه في الأمر، فقال: سيروا مع الشَّيخ الصَّواف، فهذا هو الصَّحيح، لأننا لا تهمنا الأسماء، وإنما تهمنا الدَّعوة الإسلامية، ويهمنا الإسلام نفسه، بأي اسم كان، وبأي ثوب خرج)[60].

---

59 المشَّايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 198.

60 البنا، مسؤولية فشل الدَّولة الإسلامية في العصر الحديث، ص 57 عن الصَّواف، المسلمون، العدد 36 المؤرخ في 18 تشرين الأول (أكتوبر) 1985.

نجمع مما أخبرنا به أحد المعاصرين لبدايات الإخوان المسلمين بالبصرة، وممَنْ طلب عدم ذكر اسمه، ومما نشر في مجلة (الرائد) بالبصرة (العدد: 42 والمؤرخ 6 آب 2009) تحت عنوان (تاريخنا) مادة يسيرة عن نشاط الإخوان هناك. كان نشاط الإخوان بالبصرة بارزاً، بدأ تقريباً منذ 1943 وأخذ بالتصاعد، فالبداية بالمدرسة الرَّحمانية الدِّينية، حيث مسجد البصرة الكبير، المعروف بـ(أبو منارتين)، وبعد استشهاد الشَّيخ يوسف الحسان سمِّي المسجد باسمه، ويقع بمحلة الباشا بالبصرة القديمة.

كانت تصل أدبيات الإخوان مِنْ مصر: مجلة (الإخوان المسلمين)، وجريدة (الإخوان المسلمين)، توفرها جمعية المكتبة الإسلامية، التي اسمها جمعية الآداب الإسلامية، ثم تحول اسمها إلى الإخوة الإسلامية، وبسبب اقترانها البائن بالإخوان المسلمين تبدل اسمها إلى جمعية المكتبة الإسلامية، واتخذت مِن جامع الخضيري مقراً لها. يرد اسم عبد الواحد أمان عبد الله، الذي هاجر، في ما بعد، إلى الكويت، وكان محاسب شركة البيبسي كولا ببغداد، التي يملكها السَّيد حامد النقيب وأولاده، وسكن الأعظمية وقيل إن له صلةً ما بتنظيم الإخوان المسلمين هناك. كما ترد أسماء النُّشطاء أيضاً في الحركة: يعقوب الباحسين وتوفيق الصَّانع وإبراهيم مكي.

كذلك إن مدرسة الموفقية الابتدائية الرَّسمية بمحلة السِّيف، بقلب البصرة، لها فعلها في قضية تنظيم الإخوان، عبر مدرسين

وتلامذة، فكان مصطفى أمان، شقيق عبد الواحد أمان وهو تلميذ بالمدرسة ذاتها، مِن النَّاشطين لإقامة الصَّلاة وإشاعة التَّدين مع بقية التَّلاميذ بحكم الصَّداقات معهم، وبأشراف مَنْ هم أكبر سناً. أما الشِّعار، الذي تنشط في ظله الجماعة فكان: القرآن بين سيفين متقاطعة وكلمة: وأعدوا، وهو شعار الإخوان المسلمين المصريين نفسه، ولم يبق عليه الإخوان العِراقيون، الممثلون بالحزب الإسلامي العِراقي، فقد أصبح دائرة تحتضنها سنبلتان، وداخلها ثلاث نخيلات وخطوط صفراء تشير إلى الشَّمس.

وحسب ما يتذكر أحد النَّاشطين الأوائل بالبصرة: (اعتنت الجمعية بالشَّباب، وشجعت فيهم روح البحث وروح الرِّياضة والخطابة وغيرها، مِن خلال السَّفرات الجماعية والمخيمات. وإن مما تفتخر به هذه الجمعية منها بعض من أصحاب الفكر الإسلامي، ومن العاملين في الدَّعوة الإسلامية في العالم الإسلامي مثل عبد الله العقيل، الذي شغل منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، أو مَن تربوا في أحضان الدَّعوة الإسلامية مثل عادل الشُّويخ).

كان (هذا الإقبال مِن الجماهير على الجمعية لم يرق للمسؤولين فعملوا على الحد من نشاطها، وتحجيم دورها فتعرض بعض أعضائها إلى المضايقات أو إلى الاعتقال والتعذيب مثال قيس القرطاس، والشَّيخ خليل العقرب، ثم صدر الأمر بغلق الجمعية، فأغلق محلها وصودرت أموالها ودمرت مكتبتها وأحرق الكثير مِن كتبها. وظل

الأمر كذلك إلى أن جاء الفرج وشاء الله أن تعود هذه الجمعية إلى الوجود ثانية. أما قصتنا مع شركة نفط فقد كنت أمين سر جمعية المكتبة الإسلامية يوم جاءنا كتاب من شركة النِّفط تعلمنا فيه أنها شملت جمعيتنا بالمساعدة السَّنوية التي خصصتها للنَّوادي والجمعيات في البصرة فتداول أعضاء الهيئة الإدارية الأمر، هل نقبل هذه الهدية مِن شركة أجنبية مرتبطة مع غير عراقيين؟ فتوصلنا إلى رفضها، وكتبنا لهم شاكرين ذلك لهم) ([61]).

هناك مَنْ يذكر إن فرع جمعية (الآداب الإسلامية في البصرة)، افتتح بموافقة الحكومة، وقيل بوجود أمجد الزَّهاوي ومحمد محمود الصَّواف، وافتتح فرع الجميعة في قاعة ثانوية البصرة، في منتصف الأربعينيات، مِن القرن الماضي، وبقي يمثل حركة الإخوان المسلمين، وكان رئيس الفرع الشَّيخ محمد العساف، والرَّئيس العام الشَّيخ أمجد الزَّهاوي، ونشط الفرع باحتفالاته المستمرة بالزُّبير ولأبي الخصيب، وواحدة منها أقيمت تكريماً للصواف نفسه([62]).

استمر نشاط الإخوان بالبصرة، بأشكال مختلفة، يقول ناصر الحزيمي، أحد أتباع جهيمان (1979) إنه قبل هجرته مِن الزُّبير

61 مقابلة أجرها حذيفة العجمان مع العقرب، على الرابط:
.http://www.al-raeed.net/raeedmag/preview.php

62 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّوتف، ص 197.

(1976) بسنتين تعرف على الجماعات الإسلامية، والصَّحوة، وموجة التَّدين السِّياسي هناك، مثل جماعة (الإخوان المسلمين) وحزب (التَّحرير)[63].

الشَّيخ الصَّواف

لأهمية الشَّيخ الصَّواف في تأسيس فرع الإخوان المسلمين العراقي، ونقول فرع فالأم هي الجماعة المصرية، نأتي على اليسير مِن سيرته: ولد بالموصل سنة 1915. ومثلما تروى الكرامات والعجائب في ولادات الأولياء والأئمة، فإن ولادة الصَّواف كانت واحدة مِن الغرائب (حيث خرج مِنْ بطن أمه ووجهه ورأسه قد حفظا بغشاء أبيض شفاف يشع النَّور مِن تحته، فما كان مِن القابلة إلا أخذت تُكبر...)[64].

هذا ما يُقال عادة في ولادات الأنبياء، ومَن يراد تعظيمهم، وقد سبق أن ذكرنا عن العجائبية في ولادة السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر (اغتيل 1999)، داخل كيس نظيف مِن الدِّماء، مثلما تقدم في فصل الصَّدريين، وقبله ولادة الإمام المهدي المنتظر (غاب 260 هـ). لكن الطِّب يكشف عن سرِّ هذا الكيس، وهو الذَّي يسبح فيه الجنين، عند بلغوه 14 أسبوعاً، ويسمى بالكيس الأمينوسي وداخله السَّائل الأمينوسي، ويبقى فيه الطِّفل وعمره 20 أسبوعاً، وحتى موعد الولادة،

---

63 الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان، الإخوان السلمون والسُّلفيون في الخليج، كتاب مسبار الشهري، تموز (يوليو) 2010، ص 248.

64 المشايخي، المصدر نفسه، ص 25.

عند ستة شهور، ويسمى الطِّفل بالخديج، أو يكن على موعده الاعتيادي ستة شهور، فلربما خرجت قطعة مِن الكيس، بعد انفجاره، وخروج مائه وظهرت على جسد الجنين! هذه حقيقة الكيس! حسب ما أخبرني به أحد الأطباء في شأن الولادة والنِّساء والله أعلم!

قيل إن الصَّواف تحدر مِن قبيلة شمر، وتتلمذ على يد شيوخ عصره، والتحق بالأزهر سنة 1939 بمنحة دراسية تعهد بتكاليفها التَّاجر الموصلي محمد الصَّابونجي، ضمن بعثة رشح الأسماء لها الصَّواف نفسه، وكان أحدهم الشَّيخ جلال الحنفي (ت: 2006)[65]، وهو رجل دين مِن طراز آخر، كان يقرأ المقام ويعزف الموسيقى، ولا شأن له بالتَّعصب أو الإسلام السِّياسي[66]. عاد الصَّواف إلى الموصل بسبب وفاة زوجته، وبعد أربع سنوات (1943) عاد مرة أخرى إلى القاهرة وأكمل دراسته، وقيل إنه اختصرها إلى النِّصف، أي أنهاها بثلاث سنوات.

عاد بعد اللقاء بالشَّيخ حسن البنا (اغتيل 1949)، وعمل مدرساً بكلية الشَّريعة بالأعظمية، واعتقل 1948 إثر مشاركته في التَّظاهرات ضد معاهدة بورتسموث الشَّهيرة[67]، وبعد إطلاق سراحه

---

65 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 74.

66 مقالنا، جلال الحنفي.. فقيه لم يسيس العلاقة بين الدِّين والدُّنيا، جريدة الشَّرق الأوسط، العدد 10081 المؤرخ في 5 تموز (يوليو) 2006.

67 معاهدة وقعها رئيس الوزراء العِراقي حينها صالح جبر (ت 1957)، وعُرفت باسم بالمدينة البريطانية التي وُقعت بها برتسموث 1948 بعد أن أوشكت مدة معاهدة 1930 على نفاذ.

عين في العام نفسه مفتشاً عاماً للمعابد. وأصدر العام 1954 مجلة (الأخوة الإسلامية)، وبعد ثورة 14 تموز(يوليو) منح امتياز لإصدار (صدى الأخوة الإسلامية). واعتقل العام 1959، وترك العراق، بعد أن تولى بالعراق مركز المراقب العام للإخوان المسلمين.

بعد المضايقات التي واجهها مِن شيوعيين أو محسوبين على الحزب الشُّيوعي العِراقي، وكان للأخير لهم صولة بالشَّارع العِراقي، هاجر إلى الحجاز، عن طريق الشَّام وحصل علي اللجوء بالمملكة العربية السُّعودية، وعمل هناك مدرساً بكلية الشَّريعة والدِّراسات الإسلامية بالمدينة، ومستشاراً في وزارة المعارف السُّعودية، ومستشاراً للملك فيصل بن عبد العزيز(اغتيل 1975)[68]. وبعد حين ذهب الصَّواف إلى أفغانستان وارتدى اللباس الأفغاني مع المجاهدين، حسب ما ظهر في الصور خطيباً بـ(المجاهدين)، لكنها على ما يبدو زيارة للتحريض وشد العزم على الجهاد لا للمشاركة فيه[69].

خلال إقامته بالمملكة العربية السُّعودية حصل اختلاف بالرأي بينه وبين الشَّيخ عبد العزيز بن باز (ت: 1999)، حول حركة الأرض وكرويتها، قبل أن يتبوأ الأخير الافتاء العام بالسُّعودية، فرد على الصَّواف الشَّيخ حمود بن عبد الله التُّويجري بكتاب تحت عنوان

---

68 كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 117

69 ينظر صورته بلباس الأفغاني، وهو يخطب بالمجاهددين الأفغان: عقيل، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ص 207.

(الصَّواعق الشَّديدة على أتباع الهيئة الجديدة) (1388 هـ 1968 ميلادية). ويعني علم الهيئة علم الفلك، بتأييد الكتاب مِن قبل مفتي الدِّيار السُّعودية، وكان حينها الشَّيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف (ت: 1969)، وجعله التُّويجري مقدمةً[70].

كتب الصَّواف مقالات متسلسلة في جريدة (الدَّعوة) السُّعودية(10 صفر 1386 هـ) معترضاً على ما أفتى به ابن باز بأن الشَّمس تجري والأرض ساكنة ثابتة، وكان اعتماد الصَّواف على ما صنفه محمود شكري الآلوسي (ت: 1924) في هذا الصَّدد، الذي أيد الحقيقة العلمية التي عارضتها الكنيسة بروما في العصور الوسطى وما بعدها، وهي قصة مشهورة، يوم كانت تعتبر الأرض مركزاً للكون، وكان الآلوسي قد صنفَ كتابه تحت عنوان (مادلَّ عليه القرآن الكريم مما يعضد الهيئة الجديدة والقويمة البرهان)، وفرغ مِن تصنيفه في 24 شوال (1339 هـ 1921 ميلادية). اعتبر التُّويجري، في كتابه، أن الصَّواف ليس معارضاً لما كتبه الشَّيخ ابن باز وإنما (والعياذ بالله معارضة للآيات المحكمات والأحاديث الصَّحيحة الدَّالة على جريان الشَّمس وعدم استقرارها)[71].

كان رد التُّويجري حاداً إلى درجة تكذيب الصَّواف ولعنه،

70 جاء فيها: «قرئ هذا الكتاب الموسوم بالصَّواعق الشَّديدة على أتباع الهيئة الجديدة، فوجدت ما أبداه مؤلفه... مِن الردِّ على مَن زَعم إن الأرض تدور، وإن الشَّمس لا تجري هو عين الصَّواب... في 20/ 8/ 1387هـ (الصَّواعق الشَّديدة على أتباع الهيئة الجديدة، المقدمة).

71 المصدر نفسه، ص 7.

لعدم تصديقه بما ورد في القرآن والسُّنَّة النَّبوية مِن ثبات الأرض وجريان الشَّمس. قال فيه، بعد نعته بالجهل والمخالفة مِن أجل الشُّهرة: (إن الصَّواف قد اعترف إن مَن يُكذب الله وكتابه ورسوله فهو كافر مرتد ومجرم أثيم، وقال وعليه غضب الله ولعنته إلى يوم الدِّين)[72]. وهنا تتحقق مقولة علي بن أبي طالب(اغتيل 40 هـ) المار ذكرها: (فإن القُرْآنَ حَمَّال ذو وُجُوهٍ تقول ويَقولون)[73]، ليس في اختلاف التَّفسير حول الشأن العبادي والاجتماعي، بل في الحوار حول سكون وحركة الأرض أيضاً، حيث نرى التُّويجري في رده على الصَّواف استند إلى الآية، مِن آيات عدة، الدَّالة على جريان الشَّمس: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم) (يس: 38)، بينما استدل الصَّواف في رده على ابن باز بالآية مِن آيات عدة أيضاً: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (النَّمل: 88).

والجدير بالذِّكر إن أهل العِراق، مِن فقهاء سُنَّة وشيعة، قد اعترفوا بعلم الفلك الجديد، أو الهيئة الجديدة. فقبل كتاب الشَّيخ محمود شكر الآلوسي كان علة الهيئة يُدرس في الحوزة الدِّينة بالنَّجف، ويتعاطاه السيِّد هبة الدِّين الشَّهرستاني (ت: 1967)، وورد في مجلته (العلم)(1910) عنوان (اكتشاف حركة الأرض الجديدة)، و(جهة

72 المصدر نفسه، ص 99.

73 كتاب نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ص 622 الرقم 315.

الحركة الجديدة للأرض)[74]. ونشر عدة موضوعات حول حركة النُّجوم وكروية الأرض ومركزية الشَّمس في مجلته المذكورة، التي كانت تصدر العام 1910 بالنَّجف[75].

بطبيعة الحال لا يُنكر على الصَّواف في هذه قضية تأييد لحقيقة علمية مثل حركة الأرض وكرويتها، وشجاعته بطرح رأيه داخل المملكة العربية السُّعودية بما يُخالف رأي مفتيها وكبار علمائها، وإن كان واثق مِن صلته بالسُّلطة السِّياسية العليا هناك، وكذلك جهاديته مِن أجل فكره، لكن ما يؤخذ عليه تعصبه في الخصومة إلى نبش الثارات، ومِن دلائل ذلك ما أخبرني به الأديب والأكاديمي العراقي عبد الإله أحمد (ت: 2007)، في لقاء معه بأربيل (أبريل 2006)، خلال مهرجان مؤسسة المدى الثَّقافي، وهو من الذين عاشوا تلك الفترة وساهموا في أحداثها، وأكده لي أكاديمي سعودي وهو النَّاقد والأكاديمي عبد الله الغذامي، بأن الشَّيخ محمد محمود الصَّواف كان وراء الوشاية بالأكاديميين العراقيين اليساريين العاملين بالمملكة العربية السُّعودية، على خلفية الموقف من أهل اليسار عامةً أوان 1959. وكانوا وصلوا المملكة العربية السُّعودية بعد انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963 القومي – البعثي، وصدور قرار

---

74 مجلة العلم، العدد الأول 29 آذار (مارس) 1910.

75 راجع مثلاً: باب مدح العلم وما يناسبه، مجلة العلم، العدد الثاني مِن السنة الثانية 27 تموز (يوليو) 1911.

بطردهم من الجامعة، وقعه زميلهم رئيس الجامعة آنذاك المؤرخ عبد العزيز الدوري (ت: 2010)[76].

وهم: اللغوي مهدي المخزومي (ت: 1993)، صاحب (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) و(الخليل بن أحمد الفراهيدي). وكبير النقاد علي جواد الطاهر(ت: 1996) صاحب (الشعر العربي في العصر السلجوقي)، وثلاثين كتاباً آخر في شتى مجالات الأدب. والأديب باقر سماكة (ت: 1994)، صاحب (التجديد في الأدب الأندلسي). والفنان والأكاديمي خالد الجادر (ت: 1988) صاحب (التّصوير العراقي في القرون الإسلامية الوسطى) ومؤسس أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم، وهم شخصيات أكاديمية وعلمية لا صلة لها بنزاعات الشّارع، أو التّنظيم الشيوعي نفسه، بقدر ما كانوا يساريين على العموم. ولما طالبت بهم الحكومة العراقية بحجة أنهم شيوعيون، وأغلبه مِن الشّيعة،

---

76 أتخذ مجلس الوزراء بجلسته رقم (16) المؤرخة في 13 آذار (مارس) 1963 قرار عزل الأكاديميين من وظائفهم، وصدر بتوقيع عبد العزيز الدوري، واحتفظ بصورة القرار، المرقم: 5020 والمؤرخ: 7 نيسان (أبريل) 1963. ومن الأسماء التي عُزلت عن التعليم الجامعي، وهم من الأكاديميين والعلماء المرموقين في مجالاتهم، منهم: الاقتصادي إبراهيم كبة، والحقوقي صفاء الحافظ، وعميد كلية الزراعة عبد الكريم الخضيري، والأستاذة المساعدة روز خدوري، واللغوي مهدي المخزومي، والناقد المعروف علي جواد الطاهر، والجغرافي شاكر خصباك، وعالم الاجتماع عبد الجليل الطاهر، والطبيب المعروف صادق الهلالي، والمدرسة المعيدة لامعة الطالباني، وأغلب المفصولين، من الأساتذة والأستاذات هم من ذوي الشهادات العالية، ومن أرقى الجامعات، ومختصون في الاقتصاد، والهندسة، واللغات، والطب، من عمداء كليات، وأساتذة، وأساتذة مساعدين. هذا من غير فصل حوالى خمسة آلاف مدرس ومعلم من التعليم الثانوي والإبتدائي.

امتنعت الدَّولة السُّعودية مِن تلبية الطَّلب. وكان جواب وزير المعارف السُّعودي آنذاك الشَّيخ حسن آل الشَّيخ: (هل لديكم آخرون مِن هؤلاء الشِّيوعيين)!

وأضاف الأستاذ بجامعة الملك سعود الغذامي قائلاً، وانقلها بتصرف: (إن الشَّيخ الصَّواف ألحَّ كثيراً على وزير المعارف الشَّيخ حسن آل الشَّيخ، بخصوص طرد هؤلاء العلماء، وبعد أن تيقن الوزير من أن هؤلاء نوابغ في تخصصاتهم، وليس لهم تدخل في السِّياسة، وليسوا متظاهرين بانتماء حزبي أو فكري أو سياسي على العموم، ولبلاده فائدة جمة من وجودهم، فلم يأخذ إلحاح الصَّواف بنظر الاعتبار وأهمله).

تلك حادثة مشهورة بين مثقفي العراق، بل ومعروفة بين مثقفي والأكاديمين السعوديين ممَنْ عاصر تلك الفترة مدرساً أو طالباً، فكم تبدو المفارقة بين أن تحمي وتحتضن السُّلطات السعودية، وهي الموصوفة عندنا بالرَّجعية، أهل العلم والفن وإن كانوا من اليسار وعليهم شبهة الشِّيوعية، بينما يرميهم بلدهم ومن قبل الحكومة وهم على هذا المستوى مِن الخبرة لخلاف سياسي، ثم يلاحقهم عميد الإخوان المسلمين، وهو ابن وطنهم، بوشاية خطيرة في أرض الاغتراب!

فماذا لو كان الصَّواف نفسه وزيراً للتربية أو حاكماً على العراق مثلاً، كيف سيكون مصير هؤلاء؟! بينما كلُّ ما حدث له،

بالنِّسبة لعالم دين مثله، مِن خلافات سياسية المفروض أن يعاملها مِن قبيل اللغو حسب ثوابته الدِّينية، وتكليفيه الإلهي: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)[77]، لا بضغينة وتحامل! فحسب ما ورد في سيرة حياته أن الشِّيوعيين، أو خصوم الإخوان المسلمين، ومنهم القوميون والبعثيون، تقصدوه بالإيذاء مِن قبل، فكم يتناقض هذا التَّصرف مع ما جاء في سيرته، بأنه كان على مستوى مِن التَّسامح فهو بالمهجر (إذا ما ألتقى بأي عراقي كان يفرح ويقدم له مساعدة)[78]. أما ما حمله الصَّواف ضد خصومه فينقل كُتاب سيرته إن الهتاف كان ضده بشارع الرَّشيد مِن قبل الشُّيوعيين: (مائة ألف دولار جوَّ (تحت) عمامة الصَّواف)[79]. وهناك مَن كان ينعت برنامجه الإذاعي في إذاعة بغداد (على مائدة القرآن) بـ (على مائدة الأمريكان)[80]، وهو تصرف مؤذٍ، ويحز بالنَّفس، وربما أدى إلى الهلاك في تلك الظُّروف العصيبة (1959)، لكن التَّسامح عادة يكون مع الخصوم، أما المودة للأقربين فالتَّسامح عادة يكون مع الخصوم، أما المودة للأقربين، فبطبيعة الحال، لا تُسمَّى تسامحاً.

---

77 سورة الفرقان، الآية: 72.

78 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 181.

79 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 179.

80 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 13. أذاع البرنامج مِن الإذاعة السعودية تحت عنوان: «دروس مِن كتاب الله»(المصدر نفسه، ص 220).

توفي الشَّيخ الصَّواف وهو ينتظر الطَّائرة بصالة مطار إستانبول أثناء عودته إلى مكة في التاسع مِن تشرين الأول (أكتوبر) 1992[81] عن عمر ناهز السَّابعة والسَّبعين. قيل حينها منعت الحكومة العراقية مِن نشر كلمة رثاء له بعذر أنه لم يُسمع له صوت في حرب القادسية (الحرب العراقية الإيرانية) وأمّ المعارك (تحرير الكويت)[82].

تأسيس الحزب الإسلامي

أغلقت جمعية (الأخوة الإسلامية) السَّنة 1959. واجتمعت قيادة الإخوان، أو قيادة الجمعية، وظهر رأيان: الأول، المحافظة على الأعضاء غير المعروفين، بعدم انضمامهم إلى الحزب العلني. والثَّاني، انضمام أعضاء الجمعية بالكامل، وذلك للمحافظة على وحدة الإخوان، وتشتتهم بين الحزب العلني والجماعة السِّرية. وصار الاتفاق على الرأي الأول[83].

قدم 12 إخوانياً طلباً إلى وزارة الداخلية، بعد الإعلان عن قانون الجمعيات والأحزاب، في 6 كانون الثَّاني (يناير) 1960، لإجازة حزبهم

81 السامرائي، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، ص 615 وما بعدها. عقيل، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ص 203 وما بعدها. المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 247.

82 المشايخي، الشَّيخ محمد محمود الصَّواف، ص 252.

83 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 14.

تحت اسم (الحزب الإسلامي العراقي)، وكانت جريدة (العراق) نشرت الطَّلب في 8 شباط (فبراير) 1960. والإخوان المؤسسون هم: وليد الأعظمي (بغداد)، وإبراهيم منير المدرس (بغداد)، ونعمان عبد الرَّزاق السَّامرائي (بغداد)، وفليح حسن السَّامرائي (بغداد)، وإبراهيم عبد الله شهاب(الموصل)، وصبري محمود اللِّيلة (الموصل)، والشَّيخ جليل إبراهيم (الأنبار)، ومحمود محمد اللافي(الأنبار)، والطبيب جاسم حمد العاني (الأنبار)، والمحامي يوسف طه العاني (الأنبار)، وفاضل دولان العاني (الفلوجة)، وحميد الحاج حمد (الفلوجة) [84]. يتضح مِن مناطق المتقدمين أنهم مِنْ أهل السُّنَّة جميعاً، مع حجة الحزب في التَّقديم على الإجازة بأنه حزب عراقي للمسلمين كافة. وماعدا الشَّيخ عبد الجليل إبراهيم، الذي يبلغ عمره 60 عاماً، فبقية الأعضاء تتراوح أعمارهم بين 40 عاماً و27 عاماً. وأشارت مهنهم إلى أنهم مِن الطَّبقة الوسطى: تاجر، ومحام، وطبيب، وخطاط، ومدرس، وإمام مسجد.

أصبح نعمان عبد الرَّزاق السامرائي رئيساً لهيأة الحزب الإدارية. ومِن أعضائها: طه جابر العلواني، وطارق الكوسج[85]

84 المصدر نفسه، ص 16.

85 عضو الهيأة الإدارية في المؤتمر الأول للحزب الإسلامي، هناك حادثة روتها لي عائلة اللغوي المعروف إبراهيم السامرائي (ت 2001)، تفيد في كشف الأحقاد الدفينة بين الجماعات الحزبية بالعراق، وما لآثار حوادث 1959 و1963 من التكاره والتنافر. قالت: «كنا بصنعاء من اليمن وإبراهيم كان يُدرس هناك، وإذا يصادفنا في الطريق شخص لم نعرفه من على بُعد، وإذا به يفاجئنا أن أنهال على أبي علي (إبراهيم السامرائي) بالضرب والشتائم، حتى أدمى وجهه، كان هذا الشخص هو طارق الكوسج، الذي=

وغيرهما. وكان مِن نشاطات جماعة الإخوان العراقيين الملحوظة، في مطلع الخمسينيات مِن القرن الماضي، إصدار جريدة (الحِساب)[86]، وإقامة الاحتفالات الدِّينية، والعمل بين صفوف طلبة الكليات، ومداولة مطبوعات التنظيم الأم بمصر[87].

ومثلما كانت الحال مع التَّحرك الإسلامي الشِّيعي فأن دوافع تأسيس الحزب الإسلامي العِراقي لا تخرج عن إطار ردة الفعل أيضاً على النَّشاط اليساري الماركسي بالعِراق والتَّنظيمات القومية، ونقصد تأسيس حزب أما جماعة الإخوان فموجودون قبل ذلك قبل ظهور قوة اليَّسار. فالإخوان مثلما يعلنون أنهم لا يقرون الحزبية، فكيف عملوا على تأسيس حزب! إذا لم يكن له دوافع آنية، وأهم تلك الدَّوافع، حسب أحد المؤسسين هو (ليقف أمام تيار الإلحاد، والأحزاب السِّياسية العلمانية)[88].

= لا يتذكر أبو علي شيئاً من العداوة معه»(لقاء مع أسرة الدكتور إبراهيم السامرائي بعمَّان في 7 أيار/ مايو 2006، وكان سبب اللقاء للاستفسار عن مصير مكتبة الفقيد).

وقد تبين، في مابعد، أن الإخواني الكوسج لازال يعتبر السامرائي ذلك الشِّيوعي أو اليساري، وكأن الزمن وقف عند 1959، مع أن تلك الحوادث انقضت منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وكلا الشخصين أصبحا لاجئين يبحثان عن عمل خارج بلادهما حيث اليمن! ولا ندري في ما إذا تسنى لشخص مثل طارق الكوسج وتسلم زمام الحكم بالعراق فماذا سيحل بالبلاد، وبخصومه على شاكلة الدكتور إبراهيم السامرائي، وهنا ليس للمذهبية أو الطَّائفية أصبع في تلك البغضاء، إنما الشخصان من مذهب واحد، ومدينة واحدة.

86 بمفهومه الدِّيني أي يوم القيامة!

87 شبر، العمل الحزبي بالعراق 1 ص 252.

88 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراق، ص 14.

قدم جماعة الإخوان العراقيين حزبهم الإسلامي ومنهاجه تحت عنوان (دستور)، وهو (يرسم صورة دولة تقوم على مبادئ الشَّرع الإسلامي، وحكومة تستمد شرعيتها من المحافظة على هذه المبادئ والمفاهيم)[89]. فقد جاء في المادة الثَّانية من دستور الحزب: (وغاية الحزب تطبيق أحكام الإسلام تطبيقاً كاملاً لجميع شؤون الحياة، وأمور الأفراد، ابتغاء مرضاة الله)[90]. كذلك أشار الدُّستور إلى مهام وتركيب السُّلطة التَّشريعية، والتَّنفيذية، والسُّلطة القضائية، وكلِّ ما يتعلق بعمل الدَّولة السِّياسي[91].

وبدافع قومي ربطت الجماعة بين الدَّعوة إلى الوحدة العربية وتعاليم الإسلام، وإلى نشوء دولة إسلامية. ويُذكر حول محاولة تأسيس الحزب واستخدام مفردة (دستور) أنه (والأكثر احتمالا أن يحيى[92] أو قاسم كان يرى أن حق استخدام تعبير الدُّستور هو للدَّولة وحدها، وأن حيازة حزب ديني اسماً كهذا قد ينطوي على مخاطر)[93].

قدم الحزب الإسلامي طلب التَّأسيس إلى وزير الدَّاخلية عبر الرِّسالة التَّالية:

---

89 دان، العراق في عهد قاسم 1 ص 379.

90 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقسن ص 34.

91 المصدر نفسه، راجع دستور الحزب على الصفحات: 34 -45.

92 أحمد محمد يحيى وزير الداخلية (حتى 8 شباط/فبراير 1963) في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم.

93 دان، العراق في عهد قاسم 1 ص 380.

(سيادة وزير الداخلية المحترم،

نرجو إجازتنا بتأليف حزب إسلامي باسم (الحزب الإسلامي العراقي) مركزه بغداد، والغرض منه تحقيق المنهج المرفق، وفي طيه نرفق دستور الحزب، والنظام الداخلي، وهما محتويان على جميع البيانات التي يتطلبها قانون الجمعيات رقم (1) لسنة 1960. كما نرفق طياً بياناً موقعا من قبل أكثر من خمسين شخصاً تتوفر فيهم شروط العضوية، وذلك بمقتضى حكم المادة (33) من قانون الجمعيات المشار إليه)[94].

ودعماً لرسالة طلب التأسيس قدم تسعة وخمسون شخصاً مذكرة إلى الحكومة يؤيدون فيها منح الحزب إجازة العمل. جاء في نصها:

(بمقتضى حكم المادة (33) من قانون الجمعيات رقم(1) لسنة 1960م، قدم الذوات التالية أسماؤهم هذا التأييد: نحن الموقعين أدناه نؤيد الحزب الإسلامي العراقي المقدم طلب تأسيسه من قبل الهيأة المؤسسة بمقتضى منهاجه ونظامه الداخلي المرفقين مع طلب التأسيس والذي اطلعنا عليهما).

94 موقع الحزب الإسلامي العراقي: www.iraqiparty.com

ضمت قائمة المؤيدين شخصيات مِن مختلف المهن والاختصاصات، كان بينهم: العامل والمزارع والكواز والطالب والمحامي والواعظ والمقاول والتاجر، وأكثرهم مِن بغداد، والموصل، والرَّمادي، ماعدا شخص واحد مِن الحلة، يعمل مدرساً بقضاء المحاويل قريباً مِن الحلة. وبعد رفض طلب التَّأسيس من قِبل وزارة الدَّاخلية بقرارها المرقم: ش/ ج /914 والمؤرخ في آذار(مارس) 1960 قدم مؤسسو الحزب نقضاً لقرار وزارة الداخلية إلى محكمة تمييز العراق، وردوا في النقض أعذار الداخلية لعدم إجازة الحزب، وهي كالآتي:

1 - عدم توفر شروط المادة الرَّابعة مِن قانون الجمعيات رقم (1) لسَّنة 1960 غير متوفر مِن أغراض الحزب الإسلامي العراقي المراد تأسيسه. ومِن بنود هذه المادة: أن لا يتعارض تأسيس الحزب أو الجمعية مع استقلال العراق ووحدته، ولا تتعارض مع النظام الجمهوري، ومتطلبات الحكم الديمقراطي، ولا تتبنى إحداث شقاق وفِرقة بين القوميات والأديان والمذاهب، وأن يكون الغرض مكشوفاً لا مستوراً.

2- إن قسماً مِن مناهج ونظام الحزب لا تتماشى وأفكار العصر ومبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، الأمر الذي يجعل ذلك مسبقاً يتعارض وأحكام المادة السَّابقة من القانون المذكور.

3- إن قسماً من المؤسسين والمؤيدين ذوو ارتباط بعناصر

خارج العراق، وهذا أمر يتعارض مقدما مع أحكام المادة (21) من القانون المذكور[95].

ويبدو أن وزارة الداخلية نظرت في المادة الرابعة من قانون الأحزاب، ووجدت هناك تعارضاً بينها وبين إجازة حزب مثل الحزب الإسلامي العراقي، وذلك لارتباط المؤسسين بجماعة الإخوان المسلمين بمصر، على اعتبار أن هذا الحزب يشكل فرعاً، وأن الأصل ببلد يعلن العداوة للدولة العراقية آنذاك، حيث الإعلام المصري والسياسة المصرية زمن الرئيس جمال عبد النَّاصر (ت: 1970)، بعد رفض العراق الانضواء في مشروع الوحدة العربية القائمة، آنذاك، بين مصر وسورية، حيث تصاعدت حدَّة العداء 1959.

وإن إقامة الخلافة أو الدَّولة الإسلامية، وإن لم تأت في منهاج الحزب، هي ما ينزع إليها جماعة الإخوان، إلى جانب أن الحزب، ومهما عبَّر عن إسلاميته وعراقيته، فهو حزب سُنِّي، يجد الشِّيعي المتدين فيه اختلافاً جوهرياً، وفي المقدم تأتي مسألة الإمامة.

وإذا كانت وزارة الداخلية تتعامل بحس أمني، ولا تأخذ برنامج هذا الحزب أو ذاك بنظر الاعتبار، فمحكمة التمييز جهة قانونية لا تأخذ الأمور بالأحداس والظنون، بقدر ما تنظر في برنامج الحزب واللائحة القانونية التي أمامها، لذا حكمت في 26 نيسان(أبريل) 1960 لصالح مؤسسي الحزب، وجاء في قرارها:

95 موقع الحزب الإسلامي العراقي الرسمي: www.iraqiparty.com. اعتمدنا توضيح نقاط المادة الرابعة لسنة 1960 من قانون الأحزاب والجمعيات من رسالة مؤسسي الحزب إلى محكمة التمييز، وقد أوردوا فيها اعتراضات الوزارة بما يتعلق بالنقطة المذكورة.

(لدى التَّدقيق والمداولة من قبل الهيأة العامة، وجد مِن محاضر التَّحقيق، المرفوعة من الجهات المختصة، أنه ليس هنالك مانع بقدر ما يتعلق الأمر بتلك الجهات مِن منح الأعضاء المؤسسين إجازة؛ وعند تَّدقيق قرار الرَّفض وجد إن حيثيات ذلك القرار لا ينطبق على المواد التي أشار إليها قانون الجمعيات رقم1 لسنة 1960 فقد جاء في منهاج الحزب ما يؤدي الهدف إلى تركيز الاستقلال الوطني ووحدة البلاد، والعمل إلى جمع الشمل ومحاربة كل ما يؤدي إلى التفرقة...).

بعد رفض طلب إجازة التَّأسيس من قِبل وزير الداخلية، اعترض المؤسسون لدى محكمة التَّمييز، التي نظرت في الاعتراض، وحكمت لصالح المتقدمين بإجازة الحزب، خلافاً لقرار الوزير، بعد تبديل مفردة الدُّستور وما تعلق بالدَّولة، فمثلما تقدم كان دستور دولة وليس نظام حزب، تألف مِن 60 مادة، فاستبدل بمنهاج الحزب، وجاء تحت عنوان: (النِّظام الداخلي للحزب الإسلامي العِراقي)، بعد اختصاره إلى 34 مادة[96].

جاء نقض محكمة التَّمييز، برئاسة القاضي محمود خالص (ت: 1984)، لقرار وزير الدَّاخلية على أنه ليس هناك مِن دليل على علاقة ما بين الحزب وجماعة الإخوان المسلمين، أو ما يتعارض مع النِّظام الجمهوري، والمنهاج الدِّيمقراطي، الذي تنوي الدَّولة إقامته.

---

96 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 46 – 54.

كتب رئيس محكمة التَّمييز خالص قائلاً: في 24 نيسان (أبريل) 1960 (قررت المحكمة بالأكثرية نقض القرار، وسمحت للحزب بممارسة نشاطه الحزبي خلافاً لما قرره وزير الدَّاخلية)[97]. بينما لم تجز محكمة التَّمييز، في الجلسة نفسها، طلب حزب التَّحرير، حيث صادقت على قرار الرَّفض الصادر مِن وزير الداخلية[98]. وبعد شهر أي في 5 أيار (مايو) 1960 عاد وزير الدَّاخلية وطلب تصحيح قرار التَّمييز، ومنع إجازة الحزب، إلا أن هيأة محكمة التَّمييز (ردت الطَّلب بالأكثرية)[99]، مبينةً على أن الإسلام، الذي يبشر لدولته الحزب الإسلامي لا يتعارض مع النظام الجمهوري، وأن منهاج الحزب لا يتعارض مع الدستور المؤقت، في أن دين الدَّولة الرسمي الإسلام[100].

اعترض مِن هيأة محكمة التَّمييز على نقض قرار وزير الدَّاخلية القاضيان: محمد محمود القشطيني (ت: 1996)، وعبد الهادي الظَّاهر، وكانت حجتهما: (بغية عدم حرمان البلاد والمواطنين مِن النَّظريات الدِّيمقراطية الصَّحيحة السَّائدة في العالم اليوم، وبما أن المحافظة على قدسية الدِّين الإسلامي الحنيف في بلد ناهض، مثل

---

97 خالص، ذاكرة الورق.. ستون عاماً مِن تاريخ العِراق الحديث 1 ص 610.

98 المصدر نفسه. عقدت محكمة التَّمييز برئاسة محمود خالص وعضوية: عبد الهادي الظَّاهر، وعارف علي أصغر، ومحمد محمود القشطيني، وشفيق العاني، و نوري العمري، وحميد كبة، ورشاد عارف، وكامل الخطيب، وفهمي الجراح (المصدر نفسه).

99 المصدر نفسه.

100 موقع الحزب الإسلامي العراقي: www.iraqiparty.com

بلدنا، توجب علينا عدم زج مبادئه في غمرة النَّقد والمماحكة الحزبية، التي لا يسلم مِن التَّعرض لها أي حزب سياسي يمارس نشاطه في مقارعة مبادئ الأحزاب السِّياسية الأخرى)[101]. وفي المرة الثَّانية (5 أيار 1960) وافق عبد الهادي الظَّاهر وأصر القشطيني على موقفه، بالحجة نفسها[102]. على أية حال، إذا نظرنا في في ما حصل مِن حوادث عنيفة بين الأحزاب العِراقية، بين الإخوان والشُّيوعيين مِن جهة وبين الإخوان والبعثيين والقوميين مِن جهة أخرى، ومِن تبادل اتهامات ونزاعات وصلت إلى حد القتل سنجد الصَّواب مع القاضي القشطيني[103].

---

101 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 28.

102 المصدر نفسه، 30.

103 لقد تقدم ذكر ما حصل للصَّواف، وهو زعيم الإخوان المسلمين، مع الشُّيوعيين، أما مع القوميين فالنزاعات مع الإخوان كانت جارية، منها على سبيل المثال: المواجهة اثناء احتفال بالقاعة الصيفية بباب المعظم، شمالي بغداد، بين مَنْ قدموا أنفسهم تحت عنوان «الطليعة العربية» وحضر جماعة الإخوان ولم يُقدم لهم شراب العصير، وخرجوا وهم يهتفون: «حزب الإسلام قائدنا حكم القرآن يلوكنا (يلق بنا)»، فردت الطليعة القومية هاتفة: «طليعتنا عربية.. رسالتها إنسانية»، وكات تحدث كارثة بين الجانبين الإخوان والقوميين، كان ذلك في أواخر الربيع العام، وبداية الصَّيف على ما يبدو 1960 (المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العراقي، ص 62 -63).
كذلك في الصِّراع مع حزب البعث تم اغتيال عضو الحزب الإسلامي محمد البنا في 2 تموز (يوليو) 1960، عقب يومين مِنْ احتفال الإخوان بالهجرة النَّبوية بالرمادي (عاصمة الأنبار) وجاء في مذكرة الحزب بإتهام البعث: «حزب معلوم سبق وأن تعاون مع الشُّيوعيين قبل الثَّورة، وبعدها ويزعم أنه يريد بعث الأمة مِنْ جديد»(المصدر نفسه، ص 122). ومِن قبل حدثت، وفي العهد الملكي مواجهة استخدمت فيها الفؤوس والعصي بالمحمودية، جنوب بغداد، بين جماعة الإخوان والشُّيوعيين(راجع: المشايخي، محمد محمود الصَّواف، ص 166 -167). ألم يكفي هذا وغيره دلائل على خطورة زج الدِّين في الحزبية الضَّيقة مثلما تقدم في مذكرة عضو هيأة التمييز القاضي القشطيني!

وعلى الرَّغم مِن حصول الحزب الإسلامي العِراقي على الإجازة إلا أن الدَّاخلية رفضت طلبه بإصدار جريدته (الجهاد)، وكذلك رفضت طبع منهاجه ونظامه الدَّاخلي. ولما أصدر جريدة تحت مسمى (الحياد) عُطلت هي الأخرى من قبل الحاكم العسكري العام[104]، وكان آنذاك أحمد صالح العبدي (ت: 1968).

وهناك مَنْ يروي أن وزارة الدَّاخلية تأخرت بردها على طلب تأسيس الحزب لثلاثين يوماً، وهي فترة كافية لكي يعتبر فيها الطَّلب مجاباً، حسب أُصول إجازة الأحزاب، لذا عمد الحزب إلى الإعلان عن نفسه في الصَّحافة. وجاء في تاريخ الحزب: (حين علم الزَّعيم عبد الكريم قاسم بالخبر انزعج، وطلب أن يمنع أعضاء الحزب الإسلامي مِن العمل، فقدمت شكوى إلى رئاسة محكمة التَّمييز)[105].

ويذكر دان: أنه في شباط (فبراير) 1961 خاض الحزب الإسلامي انتخابات نقابة المعلمين، وحصد 465 صوتاً من 1200 صوت، أي حوالى 40٪ من الأصوات، على الرغم من أن حركته كانت شبه مشلولة، وأن المنطقة السُنَّية لم تكن متعصبة دينياً آنذاك، وأن المعلمين كانوا لا يميلون إلى تدخل الدِّين في السِّياسة، لذا عُد هذا النَّجاح الانتخابي من الغرائب[106].

---

104 دان، العراق في عهد قاسم 1 ص 380.

105 موقع الحزب الإسلامي العراقي: www.iraqiparty.com.

106 دان، العراق في عهد عبد الكريم قاسم 1 ص 381.

لكن، ستزول الغرابة في أمر انتخاب الحزب الإسلامي بالمناطق السُنِّية، إذا علمنا بمدى الصِّلة بين الإخوان المسلمين والفكر القومي العربي، وأن ذلك الفكر كان له حظوته بالمنطقة الغربية السُنِّية بشكل عام، وأن الشِّعارات التي رفعها الإخوان كانت جذابة في تلك المناطق. مثل: الإسلام وتحرير فلسطين، والوحدة العربية، إضافة إلى موقف الإخوان المضمر ضد حكومة عبد الكريم قاسم، وضد الحزب الشُّيوعي العراقي صاحب الحضور القوي ببغداد ومناطق الجنوب والوسط والشمال، كل ذلك جعل قائمة الإخوان تحصد تلك النِّسبة في انتخابات نقابة المعلمين بالمناطق الغربية المفتوحة على سوريا، حيث الوحدة والشِّعارات المغرية هناك.

بالتأكيد أن صيت الإخوان المسلمين المدوي آنذاك، وقمعهم بمصر ومنحهم الإجازة الرَّسمية بالعراق وما بين البلدين مِن نزاع وعداوة، تدفع الدول المعنية بشأن المنطقة على التَّساؤل، وربما كان تساؤل الهند بشخص سفيرها ببغداد هو ما تريد معرفته بريطانيا، فسؤال أو استفسار السفير الهندي، وهي ممثل لدول عدم الانحياز ليس كاستفسار السَّفير البريطاني أو المصري مثلاً.

قال زعيم حزب الإخوان يومها نعمان السَّامرائي: (بعد إجازة الحزب الإسلامي جاءني هاتف مِن السَّفارة الهندية ببغداد، يقول المتكلم، إن جماعة السَّفارة الهندية يحبون زيارتك فهل لديك مانع؟! قلت: مرحباً وحددت وقتاً، وأعلمتهم عن البيت (الأعظمية شارع

عشرين). ورحت أفكر في الهدف من الزِّيارة، وطلبتُ من بعض الإخوة الحضور ليكونوا شهوداً عما يطرح، في الوقت حضر أربعة أشخاص معهم مترجم. طرحوا جملة قضايا أولها: أنتم شباب مثقف متعلم تؤسسون حزباً، أليس الأولى أن يكون ديمقراطياً؟! قلت: شعب العِراق تبلغ نسبة المسلمين فيه أكثر من (95) بالمئة، وحين يكون الحزب إسلامياً فالمفروض أن تتجاوب معه كثرة، خصوصاً والبلد خرجت من دوامة اليسار والحزب الشيوعي. وقلتُ: أنا أدرك الحساسية الهندية لكل ما هو إسلامي، فأنتم تعتبرون كلَّ إسلامي فهو حليف للباكستان معادٍ للهند)[107].

عرض أركان السَّفارة على نعمان السَّامرائي مساعدة مالية، على أساس أنهم عادة يساعدون الأحزاب القومية كافة، حسب ما أبلغه ضيوفه الهنود بذلك. قال السَّامرائي: (إن العرض بهذه الصُّورة وبهذه الصَّراحة فاجأنا فشكرناهم. ولما خرجوا جلسنا نبحث بدهشة: الهند الفقيرة، والتي يولد فيها ناس في الشَّوارع ويموتون تتبرع لأحزاب في العالم العربي، فمَن يكون دافع المال؟ ذهب الجماعة ولم يعودوا، وكانت قناعتنا أن المال ليس من الهند، ولكن من مكان آخر، وهم مجرد سماسرة!)[108]. وربما قصد السَّامرائي بذلك البريطانيين!

107 السَّامرائي، مذكرات، ص 278 -279.

108 المصدر نفسه، ص 279.

ربما لم تكن الهند طامحة بسقوط نظام عبد الكريم قاسم، أو العمل على تقويضه كمصر عبد النَّاصر حينها، فلا عجب في اللعبة السِّياسية التي تجعل الإخوان داخل مصر أعداء يساقون إلى السجون والمقاصل بينما يقترح عليهم القوميون النَّاصريون داخل العِراق التَّعاون للوصول إلى السُّلطة، والأمر لم يكن خارج عِلم مصر النَّاصرية، ففي هذا المجال يروب رئيس الحزب الإسلامي العراقي (الإخوان) أن نقيب المحامين عبد الرَّزاق شبيب وهو قومي ناصري معروف اتصل بإخوان المسلمين العِراقيين وطرح عليهم العمل معاً لإسقاط حكومة عبد الكريم قاسم، كان ذلك في نهاية 1962 أو بداية 1963، وكان جواب الإخوان العِراقيين على هذا الطلب: (أن السُّجون المصرية تحوي الألوف مِن الإخوان فليطلقوا وبعد ذلك يأتي التَّحالف)! قال السَّامرائي: (وعد (شبيب) برض القضية ثم خرج ولم يَعُد)[109].

بعد سبعة أشهر من تقديم الإخوان للحصول على إجازة حزبهم نشر الحزب تحت عنوان (مذكرة في الوضع القائم) في جريدة (الفيحاء) بالصادرة بالحلة (15 تشرين الأول/ أكتوبر 1960)، وكان صاحبها الشَّيخ كاظم السَّاعدي[110] وهو رجل دين شيعي ناقم على السُّلطة على ما يبدو، ورد في المذكرة نقد صريح للسُّلطة وشخص عبد الكريم قاسم، واتهمها بتشجيع الشُّيوعية،

---

109 المصدر نفسه.

110 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي، ص 95.

محذراً مِن انقسام المجتمع على نفسه، وأن الدَّولة ليس لها غير إقامة التَّماثيل والأنصاب، بالإشارة إلى تماثيل عبد الكريم والنُّصب التي أقيمت لتخليد ثورة 14 تموز 1958، وأشارت المذكرة إلى تدهور الاقتصاد، وأن الشعب جائع، وهناك ما عبر عنه الإخوان من تمهيد لأفكار إلحادية بخصوص مساواة المرأة بالرَّجل، وهو إشارة إلى قانون الأحوال الشَّخصية (88 لعام 1959)[111].

كان نشر المذكرة إعلاناً للمواجهة الصَّريحة، فقد صدر العدد بمانشيتات استفزازية، يبدو تقصدها صاحب الجريدة، ومنها: (الحزب الإسلامي يعلن أنه عازم على المضي في الطَّريق الإسلامي محتملاً كلَّ الأذى)، و(الحزب الإسلامي يسأل: هل وصلنا إلى درجة عدم مساواة رجل مسلم بشيوعي يدعو للكفر والإلحاد!). و(إن الضال إذا كان مِنْ حقه أن يبقى ضالاً فليس مِنْ حقه إضلال الآخرين). وخاطبت المذكرة عبد الكريم قاسم بالقول: (لأنك رئيس

111 سبقت الإشارة إلى أنه قانون أصدرته حكومة عبد الكريم قاسم في شأن نظام الأسرة والزواج ومعاملة النساء عموماً، ومنه المادة التي تساوي المرأة والرجل بالإرث على خلاف القاعدة المتبعة في الفقه الإسلامي، وأن المسؤولين في حينها فسروا الآيتين أنهما على سبيل الوصية غير الملزمة:(يُوصيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ - للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)(سورة النساء، الآية: 10)، وتتكرر في الآية: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(سورة النساء، الآية: 176). وقد عارضت المرجعية الدِّينية وجماعة الإخوان المسلين ذلك القانون، وظلت المرجعية مستمرة بمحاولتها مع العهود اللاحقة، وقد شطبت حكومة شباط (فبراير) 1963، بعد عبد الكريم قاسم، المادة الخاصة بالإرث، لكنها كانت تريد إلغاء القانون بجملته.

الوزراء والوزراء يأتمرون بأمرك)[112]. وقد اتخذت، إثر ذلك، إجراءات سريعة عطلت بها جريدة (الفيحاء)، واغلقت مقرَّ الحزب، وزُج بقادته بالسَّجن[113]. أغلق مقر الحزب ببغداد في 20 تشرين الأول (أكتوبر) 1960، وعُطل عمله ببقية نواحي البلاد في 20 آذار (مارس) 1961 [114].

ومن تركيز الحزب الإسلامي، وهو كنهج من الإخوان المسلمين والتضامن غير المعلن مع مصر آنذاك ضد عبد الكريم قاسم، جاء في المذكرة ما يخص الحزب الشّيوعي العراقي، ومما جاء في مذكرة الحزب الإسلامي في ما يخص الحزب الشُّيوعي العِراقي: (موقف الحكومة من الشّيوعية: فسحت الحكومة المجال للشيوعيين ورعتهم وأيدتهم سراً وعلناً، فانطلقوا يدعون النَّاس إلى باطلهم بالقول المزخرف وتحريف الكلام عن موضعه ثم انقلبوا من مقام الدعوى إلى مقام التهديد على مسمع من الحكومة وبعلمها وتأييدها، وصار النَّاس في نظر الشّيوعيين أحد اثنين، شيوعي وغير شيوعي. فالأول هو المخلص وحامي الجمهورية، والثَّاني هو الخائن والمتآمر المرتد والرجعي).

---

112 دان، العراق في عهد عبد الكريم قاسم 1 ص 382. راجع نص المذكرة: المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 177 -186.

113 المصدر نفسه، عن جريدة الحياة اللبنانية، العدد 22 تشرين الثَّاني/أكتوبر 1960.

114 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 87.

وجاء أيضاً: (ورتبوا على هذا المنطق المفلوج أن أباحوا لأنفسهم ملاحقة غير الشّيوعي وإلحاق الأذى به على مسمع من الحكومة وبعلمها وتأييدها. ثم بلغ الإجرام الشّيوعي ذروته في مآس الموصل وكركوك، ولم تفعل الحكومة أكثر من نعت مجرمي كركوك فقط بالفوضوية! أكان نعت المجرمين الشّيوعيين هذا الوصف يعيد للأم الثكلى ابنها الوحيد ويرد للزوجة المفجوعة زوجها الشاب الشهيد. إن ما وقع في الموصل وكركوك لا يمكن أن ينسى أبداً، ولا تنجو الحكومة من مسؤولية المآسي التي وقعت، وما كانت لتقع لولا تأييد الحكومة للشيوعية ورعايتها للشّيوعيين)[115].

بعدها قابل عبد الكريم قاسم قادة الحزب الإسلامي المعتقلين بمكتبه بوزارة الدّفاع، في أواخر آذار (مارس) 1961 المصادف 25 رمضان مِنْ ذلك العام، وسألهم: لماذا أدخلتم الإسلام في السّياسة؟ فرد رئيس الحزب نعمان السّامرائي: هكذا فهمنا الإسلام دين ودولة والسّياسة جزء منه! فرد عبد الكريم: أتركوا الحزب واعملوا لكم جمعية، وشاركوا في مناصب ولكم أموال وأراضي. فردّ أحدهم: لسنا طلاب مناصب.

ثم قال لهم: لماذا تكفروني، وأنا مسلم لا أترك الصّلاة! إشارة إلى ما جاء في مذكرتهم، التي نشرتها الجريدة المذكورة.

---

115 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

فردوا بالقول: لم نقل إنك كافر بل قلنا: إن يحق لك أن تكفر فلا يحق لك أن تُكفر النَّاس! وقال عبد الكريم: لماذا تكفروني لأني جعلتُ للذَّكر مثل حظ الأنثيين[116]! فرد الإخواني فاضل دولان: لم نكفرك نحن، بل كفرك قوله تعالى: ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل اللّه﴾! فردّ عبد الكريم: هذه وصية فمَنْ شاء أخذ بها ومَنْ شاء لم يأخذ بها[117].

أرّخ القاضي محمود خالص (ت: 1981) في يومياته هذا الحدث بتاريخ 23 آذار (مارس) 1961 قائلاً: (بكرت صباحاً في الخروج مِن البيت، وصلت قبل الدَّوام، قرأت الصُّحف ووجدت فيها أن الحكومة قررت حل الحزب الإسلامي، ونصحت مؤسسيه بأن يحصلوا على إذن بتأسيس جمعية إسلامية لخدمة الإسلام والمسلمين)[118]. ويُعلق خالص على ما قرأه في الصُّحف: (كلمة حق يُراد بها باطل). والأمر على ما يبدو ليس موجهاً ضد الحزب الإسلامي - ولولا مذكرته

116 جاء في مذكرات محمود خالص أن كامل الجادرجي (ت 1968) اخبره أن قانون الأحوال الشّخصية، الذّي ساوى بين الذّكر والأنثى في الميراث كان مَن أفكار رئيس مجلس السيادة نجيب الرُّبيعي، وكان شديد الحماس لتطبيقه، وكان تقي وملازم للمساجد، إلا أنه يرى النَّص القرآن جاء بصورة وصية، هذا ما أخبر به الجادرجي أحد الحاضرين في مجلس الوزراء عند تشريع هذا القانون(خالص، ذاكرة الورق ستون عاماً مِن تاريخ العراق الحديث 1 ص 716). وهذا ما ذكره عبد اللطيف الشواف أيضاً: أن عبد الكريم رفض التحذيرات من استغلال هذا النَّص، واعتبر الحكومة ضد الشريعة الإسلامية «مستنداً إلى رأي أبداه رئيس مجلس السيادة اللواء نجيب الربيعي، بأن الإرث، وتحديده قد جاء في القرآن بصيغة الوصية»(الشّواف، عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون، ص 85).

117 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، راجع المقابلة: ص 88 -99.

118 خالص، ذاكرة مِن الورق 1 ص 643.

المتحاملة ما أُلغيت إجازته - فبعد فترة وجيزة أوقف الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدي (ت: 1968)، في يوم 8 أيار (مايو) 1961، جمعية (أنصار السَّلام)، المحسوبة على الحزب الشِّيوعي العِراقي، الخصم اللدود للإخوان المسلمين[119].

وفي لقاء بين رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم ورئيس الحزب الإسلامي نعمان السَّامرائي أن الأول قال: (الحزب محرج للمخالفين لأنكم تشهرون الإسلام كسلاح في وجه المخالف فتحرجون الآخرين)[120]. أقول: هذا عين ما قاله عضو الهيأة الوفدية البرلمانية، وسكرتير حزب الوفد المصري، في ما بعد، فؤاد سراج الدِّين (ت 2000) للشيخ حسن البنا، العام 1942، حول توظيف الدِّين في السِّياسة: (يا شيخ حسن عايز أعرف أنتم جماعة دينية أو حزب سياسي؟ إحنا ما عندش مانع أبداً أنكم تكونوا حزب سياسي، أعلنوا على الملأ أنكم بتشتغلوا بالسياسة، وأنكم كونتم حزب سياسي، ولا تتستروا بستار الدِّين، ولا تتخفوا في زي الدِّين. أما أن تتستروا تحت شعار الدِّين، والله أكبر ولله الحمد، وفي نفس الوقت تقوموا بالعمل السِّياسي، وتباشروا الحزبية، فهذا غير معقول، لأنه يخل بمبادئ تكافؤ الفرص بينكم وبين الأحزاب السِّياسية. أنا كرجل سياسي حزبي لا أستطيع أن أهاجم جماعة دينية تنادي بشعارات دينية سامية، وإلا سأكون محل استنكر مِنَ الرأي العام)[121].

---

119 المصدر نفسه 1 ص 652.

120 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 197.

121 السَّيد يوسف، الإخوان المسلمون وجذور التَّطرف الدِّيني والإرهاب في مصر، ص 408.

يغلب على الظن أن هناك مبالغة في ما جاءت به المذكرة، فالوقائع لا تشير إلى أن الشعب كان جائعاً، في تلك الفترة بالذَّات، بل على العكس كانت فترة نشاط وازدهار في الأسواق ورخاء عام إلى حد ما. وأن التعيينات في الدَّولة كانت بعيدة عن الطَّائفية والمناطقية، وتحقق العديد من المشاريع السكنية والاقتصادية والاجتماعية، من دون إغفال المشاكل السِّياسية كواقع حال.

كذلك حملت المذكرة تهويلاً لعلاقة عبد الكريم قاسم بالشِّيوعيين، بينما الأخيرون لم يمارسوا الهيمنة إلا تسعة شهور، وفي تحريك الشارع لا عن طريق الدَّولة، فلم يتوزر لهم وزير ماعدا الطبيبة نزيهة الدليمي (ت: 2008) وكانت تولت حقيبة البلديات لجنسها كامرأة لا لحزبها، فماهو إلا عام وبدأت السُّلطة تطارد الشِّيوعيين. ففي تلك الفترة ساءت العلاقة بين الحزب الشُّيوعي والسُّلطة وبدأت الاعتقالات تنفذ بالشُّيوعيين، وحُرم الحزب من الإجازة، التي كما بينا مُنحت للحزب الإسلامي. فبعد قضية كركوك (14 تموز 1959)، وما حصل فيها مِن صدام بين التُّركمان والكُرد بدوافع قومية، وكان أغلب الكُرد آنذاك محسوبين على الشُّيوعيين، اُتخذت هذه القضية على أنها مِن تدبير الحزب الشُّيوعي العراقي، فعندها ألقى عبد الكريم قاسم خطاباً بكنيسة مار يوسف[122] هاجم فيه الشُّيوعيين صراحة

122 تقع بالكرادة داخل بغداد، وكانت المناسبة افتتاح الكنيسة آنذاك.

(وأصدر أوامره لأجهزة الأمن صراحة بمكافحتهم)[123]. وقد تم حل (لجان الدِّفاع عن الجمهورية)، موزعة على دوائر الدَّولة، وتم حل ميليشيا (المقاومة الشَّعبية)، ويُذكر أن حل المقاومة الشَّعبية، بسبب تصرفات المجندين فيها، مثل تعرضهم لمدير الأمن العام عبد المجيد جليل (اعدم 1963) آنذاك، وهو في طريقه إلى وزارة الدِّفاع، فأصدر الحكم العسكري العام قراراً بحلها، وتسليم أسلحتها إلى مراكز الشُّرطة والمواقع العسكرية[124]. وكل ذلك حصل لإضعاف الحزب الشُّيوعي العِراقي، وكلُّ هذا حصل قبل نشر مذكرة الحزب الإسلامي.

كذلك ليس هناك حركة إلحادية تتبناها الدَّولة، بل على العكس كان عبد الكريم قاسم نفسه مصلياً صائماً، نفذ فيه العميد عبد الغني الرَّاوي (يقيم حالياً بالمملكة العربية السعودية) القتل[125].

---

123 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 90. مما يذكر محسن الرُّفيعي، وهو مدير الاستخبارات العسكرية في زمن عبد الكريم قاسم والمن المحسوبين على التَّيار القومي، أنه شخصياً رتب لإثارة عبد الكريم في هذا الخطاب ضد الشُّيوعيين، قال: «زارني في مكتبي أحد أبناء المدينة(كركوك) المدعو صابر الضَّابط، وعرض عليَّ بعض الصُّور مِن المجزرة فاقترحتُ عليه أن يهيئ عدداً مِن أطفال الضَّحايا وبالملابس السَّوداء، وبكل ما لديه ولدى الآخرين مِن صور للزَّعيم، إذ إنني أعرف بأنه سريع التَّأثر بهذه المناظر، وصادف ذلك اليوم يوم موعد خطابه في كنيسة مار يوسف، وبعد لقائه بالأطفال وتصفحه الصُّور، ذهب مباشرة إلى الكنيسة وألقى خطبته المشهورة، والتي غيرت مجرى الأحداث في البلد، ،انهت نفوذ الحزب الشُّيوعي في العِراق»(الرُّفيعي، أنا الزَّعيم، ص 59).

124 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 46.

125 في قتل الزعيم عبد الكريم قاسم قال مسعود البارزاني، وكان من محبيه: في 13 آذار 1970، وبعد إعلان اتفاقية آذار كنت في البصرة مع صالح مهدي عماش، وهو آنذاك وزيراً للداخلية، فسألته: لماذا قتلتم عبد الكريم قاسم، ولم ترسلوه إلى خارج البلاد؟ وكيف كان موقفه عندما جئتم به إلى دار الإذاعة؟ فأجاب: في الحقيقة أننا لم نجرِ محاكمة، وكان مجلس قيادة الثورة يتداول في مصيره عندما سمعت دوي=

وهو، أي قاسم، كان صائماً في 15 رمضان (9 شباط/فبراير) 1963. إلا أن رئيس الوزراء الأسبق لم يتظاهر بالتَّدين، مثلما فعل اللاحقون من بعده، فقيل نقلاً عن مرافقه الخاص إنه كان يغلق باب غرفته عند أدائه فريضة الصَّلاة، ولما سأله المرافق قال له: (أنا رئيس وزراء العراق! لا أريد أن يراني أحد على أي مذهب أُصلي)[126].

يُذكر أن التأليب ضد حكم عبد الكريم قاسم قارب بين الفكر الدِّيني السِّياسي والفكر القومي، بل انتج تقارباً مذهبياً بين القيادات الدِّينية، الإخوان كقيادة سُنِّية، على الرَّغم مِن عدم شيوعها بين أهل السُّنَّة، والمرجعية الدِّينية بالنَّجف، ممثلة بآية الله محسن الحكيم (ت: 1970).

فالمعروف، من شهود عيَّان، أيدت المرجعية تأسيس الحزب الإسلامي، لا حباً بهذا الحزب، بقدر ما هو ضد الحكم القائم، وأن يكون أحد الموازين لهيمنة الحزب الشِّيوعي العراقي. بل أظهر الباحث الألماني (دان) وكأن فتوى السَّيد الحكيم، التي حرم فيها الانضمام

= صليات من بنادق أوتوماتيكية، فخرجنا نستطلع الأمر لنجد عبد الكريم والمهداوي وطه الشَّيخ أحمد جثثاً هامدة مزَّقها الرصاص. كان مَنْ أمر بإعدامهم عبد الغني الرَّاوي دون إذن منَّا. فقد أمر جنوده بفتح النَّار والقضاء عليهم»(البارازاني، البارازاني والحركة التحررية الكُردية 3 ص 82).

وشهد طالب شبيبي: «المحكمة التي رئيسها الراوي لم تكن موجودة عندما أعدم قاسم، بل تشكلت على الورق»(سعيد، عراق 8 شباط 1963 من حوار المفاهيم إلى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، ص 105). هذه المحاكمة التي قالوا قد أقاموها وترأسها الرَّاوي القومي والإسلامي المتشدد مثلما يصفه الذين زاملوه في انقلاب 8 شباط 1963!

126 برنامج تلفزيوني بثته قناة «العراقية»، عشية الذكرى الأربعين لثورة 14 تموز (يوليو) 2008.

إلى الحزب الشّيوعي جاءت إثر رفض السُّلطة لإجازة حزب التَّحرير، إضافة إلى تعطيل وحظر الحزب الإسلامي، أو أنها جاءت في سياق الحدث[127]. وأن هناك مِن الشّيعة مَن دخل في الحزب الإسلامي، فيذكر أنه في المؤتمر الأول، الذَّي عقد في 29 تموز (يوليو) 1960 ورد في وثائق مؤتمر الحزب الآتي: (انسحب أعضاء الشّيعة عن التَّرشيح للهيأة الإدارية، وهيأة الرَّقابة والتفتيش في آخر لحظة، مما سبب لغطاً، وقيل وقال، وبعض الانتقادات، ونحن نأسف على هذا الموقف السّلبي)[128].

تبنى الحزب الإسلامي الحوار مع الشّيعة، لكن وفقاً للأُصول لدَّى السُّنَّة، وما لا يعترض عليها الشّيعة، وهي: حجة القرآن المطلقة، والنُّبوة والرِّسالة، واليوم الآخر[129]. لكن الخلاف الأكبر هو عقيدة أو أصل الإمامة، ظناً مِن الحزب الإسلامي أن التَّقارب سيتم، ومع شرط ألا يتم التَّطرق إلى جيل الصَّحابة، وهذه قضية أخرى كبيرة، فما هو الموقف مِن الصَّحابة؟! عند السُّنَّة الكلُّ أخيار قاتلهم ومقتولهم، وعند الشّيعة حسب أعمالهم، ومحاربتهم لعلي بن أبي طالب وأولاده، وما يتعلق باغتصاب الخلافة أو الإمامة. ومن ممارسة هذا التَّقارب، وأظنه كان مبرمجاً لتوحيد الصُّفوف ضد السُّلطة، في عهد عبد الكريم

---

127 دان، العراق في عهد عبد الكريم قاسم 1 ص 382 - 383.

128 المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 81.

129 المصدر نفسه، ص 139.

قاسم، تشكلت وفود مِن أهل السُّنّة لزيارة المرجعية والعلماء والمراقد بالنَّجف، وكانت عبارة عن تظاهرة، يلتحق بالوفد أعضاء الحزب مِن كلّ منطقة يمر بها بين بغداد والنَّجف[130]. كما مثل الحزب 14 عضواً مِن أعضائه في المشاركة بمولد الإمام علي بن أبي طالب بالنَّجف، في 30 كانون الثَّاني (يناير) 1961[131].

وهنا تأتي رسالة رئيس الحزب الإسلامي آنذاك نعمان السَّامرائي، إلى آية الله السَّيد محسن الحكيم، بعثها إليه مِن سجنه بموقف السَّراي ببغداد، بعد المذكرة التي نشرها حزبه ضد السُّلطة، وفي الرِّسالة، التي جاءت بعد فتوى الحكيم بتحريم الانضمام إلى الحزب الشِّيوعي، بطلب التَّضامن ضد عبد الكريم قاسم، على الرَّغم مِن أن الأخير كان يمكنه أن يمنع قرار محكمة التَّمييز، وأنه سمح للحزب في العمل بعد قرار المحكمة، بينما لم يسمح للحزب الشِّيوعي العراقي بالعمل، بل حاول إيجاد حزب رديف برئاسة داوود الصائغ. ومما جاء في نص الرِّسالة الآتي:

(سيدي الكريم، لا يخفاكم حال العراق، وما آل إليه على يد رجل فقد نعمة العقل (يقصد عبد الكريم قاسم)، ولم يفرق بين الحق والباطل، وأسرف حتى لم يعد ينفع معه نصح ناصح أو موعظة واعظ، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ومما نشاهده ونحسه لا نعتقد ببقاء هذا

130 المصدر نفسه، ص 143.

131 المصدر نفسه، ص 146.

الرَّجل، ولكن مستقبل هذا البلد مظلوم، ومستقبل الإسلام فيه أمسى مجهولاً، وما لم يكن للعناصر الإسلامية من أثر اليوم فلن يكون لها شيء في المستقبل، وإنا نفكر في غد الإسلام أكثر مما نفكر في يومه، فلا زالت الشِّيوعية معششة في البلد شاخصة بأعينها نحو روسيا، وقد نبتت نبتة جديدة حملت عن الشِّيوعية كفرها بالإسلام مع روح مسيحية تبشيرية. ويضاف لهذا وذاك عنصرية عمياء وتعصب مقيت وهؤلاء ورثة الشِّيوعية ...).

(وإننا نريد مِن مقامكم عمل شيء ولو بإصدار بيان، أو ما أشبه حسب رأيكم ونحن بعد هذه لا تهمنا إن بقينا في سجننا أم أطلقنا، فالمهم عندنا هو الإسلام ومستقبل الإسلام. ورأينا كيف أهمل الإسلام في ثورة تموز/يوليو قد طلب إخواننا علماء الشمال أن نكتب لسماحتكم في هذا الأمر عسى أن تفعلوا ما فيه الخير للإسلام والمسلمين. وأنتم تعلمون جيداً أن هذا الطاغية لا يمكن أن يؤثر عليه أحد سواكم، وسوى بيانات إخوانكم العلماء. فعسى أن تعملوا شيئاً لمستقبل الإسلام والمسلمين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً والسلام منا. ولدكم نعمان عبد الرزاق السامرائي- سجن السراي- بغداد 2/ 2/ 1961)[132]. إنها ليست الرِّسالة الوحيدة بل تبعتها أربع رسائل، وفي الخامسة كان نعمان السَّامرائي يتعرض لحزب البعث، ومؤسسه

---

132 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com.

ميشيل عفلق (ت: 1989)، مِن دون أن يسميه[133].

واستجابة لتلك الرِّسالة التي يطلب فيها سجين إسقاط النِّظام، وينعت رئيسه بالطَّاغية وهو داخل السِّجن، وليس خارجه أو خارج العراق، يُذكر أن آية الله محسن الحكيم قد بعث بحضور قائمقام النَّجف وآمر سرية التَّدريب في حاميتها العسكرية، وأبلغهما استنكاره لاعتقال الهيأة الإدارية للحزب الإسلامي[134]، إثر المذكرة التي نُشرت في جريدة (الفيحاء). هذا كل ما يُعرف حول التَّنسيق بين المرجعية الشِّيعية بالنَّجف والحزب الإسلامي، والأخير بطبيعة الحال لا يمثل، أو بالأحرى، لا يعدّ مرجعية سُنِّية بقدر ماهو حزب سياسي.

عودة على بدئه، نرى الحزب الإسلامي لم يلجأ إلى مفتي بغداد، وهو عادة يكون مِن أهل السُّنَّة آنذاك، ولا إلى فقهاء أهل السُّنَّة الآخرين، الذين كانوا يمثلون الدَّولة والمذهب الرَّسمي فيها، والسَّبب أن أولئك لا يرون الوقوف بوجه السُّلطان أو الحاكم، مهما كان مثلما مرَّ بنا في مقدمة الفصل، إلا عن طريق النصح والإرشاد إن استوجب الحال!

ويبدو مِن بلاغ الحزب التَّالي إن فكرة تأسيس الحزب، أو تشكيل فرع الإخوان المسلمين بالعراق، جاء أيضاً ردة فعل لتعاظم دور

---

133 للإطلاع على نصوص الرَّسائل راجع: المشايخي، تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العِراقي، ص 148 -154.

134 المصدر نفسه، ص 156.

ومكانة اليسار العراقي مثلما تقدمت الإشارة، والقوى العلمانية بشكل عام. نقرأ في البلاغ، المنشور على موقع الحزب الإلكتروني ما نصه: (إن قيام أحزاب غير إسلامية، تعمل في الميدان، وتحرف الشباب، والأمة جميعاً يحتم علينا تأسيس حزب إسلامي. إن الإسلام كعقيدة وفكرة في حاجة للدعوة لها، والعمل لرفع لوائها عن طريق عمل منظم)[135].

ومن خلال متابعة قرارات الحزب ونشاطاتها، تجده صبَّ هجومه ضد الحزب الشّيوعي، وعبد الكريم قاسم معاً. فقد تحدثت مذكرة من مذكرات الحزب حول أحداث كركوك والموصل، وهي وإن كان الحزب الشّيوعي طرفاً فيها. لكن ليس هي الحقيقة كلها، فبعد مطالعة أعداد جريدة الحزب الشّيوعي العراقي الرَّسمية (اتحاد الشعب) (1959-1960) نجد فيها وجهة نظر أخرى، فما يخص الموصل(1959)، قيل كان اغتيال محمود جميل بمطار بيروت أسدل السّتار على معلومات خطيرة بشأن الدَّور المصري في حوادث الموصل[136].

وأن هناك العديد مِن الشّيوعيين قد اغتيلوا، بل هُجرت العائلات، سبب الانتماء إلى اليَّسار، مِن الأعظمية، ومناطق التماس الأخرى مع التَّيار القومي أو الإسلامي. منها مثلاً: (هناك الآن (أيلول

---

135 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

136 جريدة اتحاد الشعب، العدد: 15 أيلول (سبتمبر) 1959

1959) أكثر من 200 شاب ليس بامكانهم المبيت والمعيشة في بيوتهم ومحالهم في الأعظمية، وأكثر من 100 عائلة هاجرت منها، وضمنها عوائل أشخاص بارزين، ويتسنمون مراكز في الدَّولة)[137].

ومِن خارج الشُّيوعيين، ولم ينتم يوماً ما للحزب، قال المربي والباحث غضبان رومي (ت 1989)، وكان آنذاك من سكنة حي الأعظمية، راغبة خاتون: (في أحد أيام عام 1961 جاءني المهندس عبد القادر حشمت إلى البيت، حيث كان مِن أصدقاء الدكتور عبد الجبار عبد الله[138] المخلصين، وأبلغني أن مِن الضروري أن أترك داري في راغبة خاتون، واستأجر داراً أخرى في أية محلة من محلات بغداد، لأنه موصى بإبلاغي ذلك من أحد أعضاء حزب البعث لكيلا يحدث لي ما حدث لبيت الست لميعة عباس عمارة وزوجها مبارك جودة، إذ أطلقت على دارهما النَّار ليلاً، وتركا بيتهما وسكنا ناحية بعيدة من بغداد)[139].

لكن، هناك أخطاء وتجاوزات ليست قليلة مارسها أعضاء الحزب الشُّيوعي العراقي آنذاك، وعدم مراعاتهم للواقع والإلحاح باستفزاز القوى القومية والدِّينية، والانجرار إلى مشاكستها، وبالتَّالي

---

137 ماذا يجري في الأعظمية، المصدر نفسه، العدد: 29 أيلول (سبتمبر) 1959.

138 عالم الفيزياء العِراقي المعروف، ومِن الطائفة الصابئية المندائية، نجل شيخها الكنزبرا عبد الله، وأول رئيس لجامعة بغداد (1959 - 1963).

139 رومي، مذكرات مندائية، ص 107.

واستنفارها ضده، وأن أعضاء الحزب من الكرد،بدوافع قومية، لهم يد بما حصل بكركوك، أو كان بامكانهم تجنب الصِدام، الذي كان بالأساس قومياً بين الكُرد والتركمان، لكن الأمر تغلف بغلاف حزبي، كذلك أن تسيير تظاهرة السلام إلى الموصل (1959)، في تلك الظروف، كانت غير مجدية وقراراً غير حكيم.

لا نريد الغور في تفاصيل تلك المرحلة، وفي ما يختلف به جماعة الإخوان المسلمين عن الحزب الشُّيوعي فكراً فلسفياً ونهجاً سياسياً، إلا أن دعوة الحزب الإسلامي في تلك المذكرة لتحريم عمل الحزب الشُّيوعي العراقي، وتجريمه بتحريم فكره، وسحب إجازة الحزب الصُّوري، الذي أنشأه عبد الكريم قاسم، برئاسة داوود الصائغ[140]، في كل تلك المطالب إخلال بالمادة الرَّابعة من قانون الأحزاب 1960، وهو أن لا يكون نهج الحزب المجاز متعارضاً مع الدِّيمقراطية، وتحريم وتجريم حزب، له قاعدة جماهيرية عريضة آنذاك لا ينسجم مع الدِّيمقراطية بتاتاً.

لكن، يبقى القول أنه ليس كل ما جاء في المذكرة بخصوص الحزب الشِّيوعي كان خطأً أو افتراءً؛ فاحتكار الحزب الشُّيوعي العراقي أن يكون مدافعاً عن الجمهورية، ورفع شعارات بهذا الاتجاه،

---

140 كان محامياً شيوعياً، انشق عن الحزب الشِّيوعي 1943 مؤسساً تنظيم تحت اسم «رابطة الشِّيوعيين العراقيين»، وجريدتها «العمل»، التي استمرت بالصدور السري من العام 1943 وحتى 1947 (إبراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية، ص 186. المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين 2 ص 78).

جعل الآخرين ضدها، أو في الكفة المعادية لها. كذلك فإن تصرفات العوام في الشَّارع، وعدم قدرة الحزب على ضبطها، بل الانجرار وراءها جعل الحزب في دائرة الاتهام.

كذلك لا يغفل أن الحزب الشُّيوعي العراقي لم يتصرف مع القضية الدِّينية بحذر ولياقة، مع أنه لم يحصل أن أصدر بياناً أو نشر مقالاً، أو عممَّ تعليماً صريحاً يسيء للدِّين أو العقائد. ومع ذلك ليس لأحد يمكنه الدِّفاع عن مهازل تلك الفترة، وتعصب وشراسة العديد من كوادر الحزب الشِّيوعي بسبب كلمة أو عدم حمل جريدة، أو الاعتراض على شعار، بل هناك اعتداءات حصلت حتى على عناصر كانت محسوبة على الحزب الشُّيوعي نفسه إبان العهد الملكي.

وأسوق هذا المثال: حدثني أحد الذائعي الصيت اليوم في شأن النِّفط، أنه كان إبان العهد الملكي يدفع تبرعاً مالياً للحزب الشُّيوعي العِراقي، عن طريق أحد كوادره، وبعد ثورة 14 تموز حصل أن فسر مجموعة مِن الشُّيوعيين، في أحد النَّوادي، حديث صاحبنا بأنه لا يعجبهم، وانه ضد الجمهورية والثَّورة، فضُرب مِن قِبل تلك الجماعة وسال الدَّم وجهه، ولما ذهب إلى مركز الشِّرطة، نصحه الضَّابط أن يترك الشكوى وإلا جرت عليه بلية، وظل مخيراً بين السجن خمس سنوات لأنه شتم الجمهورية، وهو لم يكن كذلك، وأن الذين ضربوه يمكن أن يسجنوا سنتين، فعليه الخيار، فترك الشَّكوى، ولما ذهب إلى مَن كان يدفه له التبرع، ليثبت أنه لم يكن خصماً للحزب، أشاح بوجهه

قائلاً: نحن في زمان آخر! تلك الحادثة جعلت صاحبنا يراجع أمره وينهي أية صلة له باليسار بعد أن كان محسوباً عليه، ومع ذلك لم يعتق بعد 8 شباط (فبراير) 1963 فقد ألقي القبض عليه وأودع بموقف بعد السَّدة بتهمة الشُّيوعية!

يمكن تفهم تلك الحالة، لو أمعنا النَّظر بما حصل مِن استهتار بالأرواح في ظل حكومة الحرس القومي (8 شباط/فبراير 1963)، وتتضح الصُّورة أكثر إذا نظرنا لما حصل مِن فوضى بعد سقوط النظام (9 نيسان/أبريل 2003)، ومِن تنظيمات إسلامية، سُنِّية وشيعية، بل كانت مرحلة قاسية على الشَّعب العراقي في ظل هيمنة الفكر الشُّمولي عموماً، الدِّيني منه والعلماني. ثم الفوضى العارمة التي رفع فيها الدِّين أو الأيديولوجية المعصومة مِن الخطأ والخالية مِنالنقص، في نظر أصحابها، شعاراً، وقُتل مَنْ قُتل، وشُرد مَنْ شُرد.

لكن، دعونا ننظر إلى النَّتائج! هو أن تدور الدَّوائر ويجد الحزب الإسلامي العراقي نفسه إلى جانب الحزب الشُّيوعي العراقي، وعلى طاولة واحدة، سواء أكان في معارضة النِّظام السَّابق، أو في مجلس الحكم (2003)، أو في الحكومات التي أعقبت المجلس، أو داخل قاعة البرلمان، وحتى هذه الساعة. ولربما نظر الحزب الإسلامي العراقي إلى فترة عبد الكريم قاسم (1958 -1963)، التي كان يعمل ضدها على مدار السَّاعة، أفضل الفترات بالنِّسبة له، فالعهد الملكي لم يُجز، قانونياً، عمل الأحزاب على أساس ديني أو قومي، وأن فترة حزب

البعث والتَّيار القومي، التي أتت بعد عبد الكريم قاسم، كانت قاسية على الحزب كل القسوة، وتحدث الحزب نفسه بمرارة عنها.

بينما كان الإسلامي، في فترة قاسم، ينشط على السَّاحة، ويُقيم المهرجانات، ويتصل بالمرجعية النَّجفية وينسق معها، ويحاور رئيس الوزراء نفسه، وأن هناك حواراً جرى بين عبد الكريم ورئيس الحزب نعمان السَّامرائي، تحدث فيه رئيس الحزب بكل انفتاح وسعة القول، ومن دون أن يخشى البطش، ويكفي مصير الشَّيخ عبد العزيز البدري المأساوي السَّنة 1969 أي بعد الفترتين القاسمية والعارفية، إن صح الوصف، دليلاً، وسيأتي الحديث عنه في محله.

عقد الحزب الإسلامي مؤتمره الأول ببغداد (قاعة الأخت المسلمة)، (ولعلها بالأعظمية) في 27 تموز (يوليو) 1960 بكل حرية، وألقى رئيسه نعمان السَّامرائي تقرير الحزب إلى المؤتمر، وأعلن فيه قصد الحزب وغايته من وجوده، وهي: (نصت المادة الثَّانية من منهاج الحزب إلى غاية الحزب تطبيق أحكام الإسلام تطبيقا كاملاً، وشاملاً لجميع شؤون الحياة وأمور الأفراد والدَّولة)[141].

ومثلما أكد الحزب الإسلامي على الوحدة الوطنية العراقية، أكد أن العراق جزء من الأمة العربية، وأنه ينشد الوحدة العربية: (يؤمن الحزب الإسلامي العراقي بالوحدة الوطنية القائمة على

---

141 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com تقرير الحزب إلى المؤتمر الأول.

أساس الجنسية للمواطنين العراقيين دون التفريق بينهم، ولا سيما أن الإسلام يلزم المسلم العمل لوطنه ورفع مستواه والذود عن حياضه، ويعتبر ذلك من متممات إيمانه. أما موقفنا من الوحدة العربية فالحزب يؤمن بأن العراق جزء من الأمة العربية، التي يجب أن تتوحد في دولة قوية على أساس الإسلام لتكون هذه الدَّولة العربية الواحدة نواة للوحدة الإسلامية الشاملة)[142].

وفي سياق الظُّرف السِّياسي آنذاك جمع الحزب الإسلامي الشُّيوعية والاستعمار في خانة واحدة، بل إنه ركز على الشِّيوعية، ويعني بالتالي الحزب الشِّيوعي القائم بالعراق، وأن الخلاف معه جذري، وليس هناك أي لتقاء، لأنه خلاف في العقيدة. ثم تناول تقرير المؤتمر، بشكل مقتضب، القضية القومية بالعراق، وأكد على حقوق العيش المشترك بالنسبة للكرد والتركمان، من دون تأكيد حقوق قومية، كانت مطروحة آنذاك وهي خالية من مفاهيم الوقت الحاضر من حكم ذاتي، أو فيدرالية.

ومن جهة طمأن التَّقرير غير المسلمين، بالنص الآتي: (كما نصت المادة السابعة على عقيدة المواطنين غير المسلمين من أهل الكتاب مصونة لا تمس بسوء، ولهم حرية إقامة شعائرهم الدِّينية في حدود النِّظام العام). لكن، تطبيق النظام العام على غير المسلمين لا

142 المصدر نفسه.

يبدو مريحاً، ويقلص الشَّراكة بالوطن، إلى حدٍّ بعيد. فالسؤال: لماذا طقوس هؤلاء تقيد بعبارة النِّظام العام، ولم تقيد طقوس غيرهم به، ومَنْ يدريك فلربَّما يُسنَّ في النظام العام تطبيق ما عرف بالشُّروط العُمرية[143]!

---

143 المصدر نفسه. نسبت الشروط العُمرية لأحد العمرين عمر بن الخطاب (23هـ 643 ميلادية) أو عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ 728 ميلادية)، وهي 21 شرطاً، ظهرت لدى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ 1327 ميلادية) من أهل السُّنَّة، ولدى آية الخميني (ت 1989) من أهل الشِّيعة. وردت الشروط في أغلب كتب الحسبة، وكتب الخراج، تحت عنوان معاملة أهل الذمة، وقد ذكرها ابن قيم الجوزية تحت عنوان «الشروط العمرية» في «أحكام أهل الذمة» (2 ص 657) وما بعدها في ستة فصول وكل فصل يتضمن على عدة مسائل. ووردت لدى أستاذه ابن تيمية بالنقاط الآتية:

1- ألا يتخذوا من مدائن الإسلام ديراً ولا كنيسة ولا قُلية (قلاية الراهب)، ولا صومعة لراهب، ولا يجددوا ما خرب منها.

2- ولا يمنعوا كنائسهم التي عاهدوا عليها أن ينزلها المسلمون ثلاثة أيام، يطعموهم ويؤوهم.

3- ولا يظهروا شركاً ولا ريبة لأهل الإسلام.

4- ولا يعلوا على المسلمين في البنيان.

5- ولا يعلموا أولادهم القرآن.

6- ولا يركبوا الخيل ولا البغال، بل يركبوا الحمير بالكُف (غطاء على ظهر الحمار وليس بسرج) عرضاً من غير زينة ولا قيمة، ويركبون وأفخاذهم مثنية.

7- ولا يظهروا على عورات المسلمين.

8- ويتجنبوا أواسط الطرق، توسعة للمسلمين.

9- ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية.

10-وأن يجذّوا مقادم رؤوسهم. 11

- وأن يلزموا زيهم حيث كانوا.

12- ولا يستخدمون مسلماً في الحمام، ولا في الأعمال الباقية.

13-ولا يتسموا بأسماء المسلمين، ولا يتكنوا بكناهم، ولا يتلقبوا بألقابهم.

14- ولا يركبون سفينة نوتيها مسلم.

15- ولا يشترون رقيقاً مما سباه مسلم.

16- ولا يشترون شيئاً مما خرجت عليه سهام المسلمين.

17- ولا يبيعون الخمور.

18-ومَنْ زنى منهم بمسلمة قُتل. =

ولا نفهم من تناول الحزب الإسلامي لوزارة المعارف، في برنامجه، إلا بما يتجاوب مع اهتمام جماعة الإخوان المسلمين بشكل عام بالمؤسسات التربوية، فهي مجال نشر الوعي الإسلامي، أو أسلمة المجتمع عن طريقها، ولعلّها إشارة أو إيماءة إلى الحكومة أن تجعل تلك الوزارة من نصيب الحزب. ذلك إذا علمنا أن جماعة الإخوان بالبلدان الأُخر كانوا ينفذون إلى المجتمع والشباب عن طريق المؤسسات التعليمية، ليس بمصر حسب بل كانوا الموجهين للتربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، واليمن، والسودان وغيرها.

جاء في التَّقرير: (يؤمن الحزب الإسلامي بأن وزارة المعارف من أخطر الوزارات والمؤسسات ذات الأثر العميق في مستقبل هذا الأمة. لأنها الوزارة المسؤولة عن تنشئة الجيل وإعداد رجال المستقبل، وبشكل يضمن حفظ عقيدتهم الإسلامية وتمسكهم بالخالق الكريم)[144].

=19- ولا يلبسون عمامة صافية، بل يلبس النَّصراني العمامة الزرقاء عشرة أذرع، من غير زينة لها ولا قيمة.

20- ولا يشتركون مع المسلمين في تجارة، ولا بيع، ولا شراء.

21- ولا يخدمون الملوك، ولا الأمراء، فيما يُجري أميرهم على المسلمين من كتابة، أو أمانة، أو وكالة، أو غير ذلك (مسألة في الكنائس، ص 134 وما بعدها). والجدير بالذكر، وردت الشروط العُمرية المذكورة نفسها في رسالة آية الله الخميني الفقهية «تحرير الوسيلة» تحت عنوان «القول في شرائط الذمة» (2 ص 451 وما بعدها) مع تقديم وتأخير، وحسب علمي نادراً ما جعلها مرجع شيعي مسألة في رسالته الفقهية، التي ينتفع بها مُقلدوه.

144 تقرير الحزب إلى المؤتمر الأول، موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

وإثر تلك المذكرة، المذكورة سلفاً، التي تحدى فيها الحزب الإسلامي العراقي السُّلطة، اعتُقلت هيأته الإدارية، وحُرم من العمل، وبذلك تحول إلى العمل السِّري، أو مثلما جاء في النُّبذة التَّاريخية في موقع الحزب الإلكتروني: تراوح عمله في السِّتينيات، من القرن الماضي، بين السِّرِ والعلن.

ولعلَّه في فترة حكم عبد السَّلام محمد عارف (قتل 1966) تأثر بما بين الحركة الأم بمصر وعبد النَّاصر. فمن المعلوم أن فترة حكم العارفين كانت متآخية مع الحكم بمصر، إلى حد الاتفاق على قرارات الوحدة بين مصر والعراق، ووصلت بغداد وحدات عسكرية ومن الشرطة المصرية، وأن القاهرة حسمت الخلاف على الرئاسة بعد مقتل عبد السلام لأخيه عبد الرَّحمن عارف (ت: 2007) ضد رئيس الوزراء عبد الرَّحمن البزاز (ت: 1973)، فهو حسب تعبير أمين هويدي: كان (مقبولاً بحذر بين أوساط القادة، وكان ساذجاً غير ضار)[145].

وبما إن التَّنظيم الأصل للإخوان المسلمين كان مطارداً، وأن سيد قطب (أعدم 1966) إثر اتهام الإخوان بمحاولة اغتيال عبد الناصر، فلا بد أن يتأثر الحزب الإسلامي بتلك الأجواء، ويبقى عمله سرياً، لكن ليس إلى حد الاضطهاد الفاحش، مثلما حدث في ما بعد في ظل الدَّولة القومية.

---

145 هويدي، 50 عاماً من العواصف، ص 183.

ونحن نقرأ في ملف تأسيس حزب الإخوان المسلمين (الحزب الإسلامي العِراقي)، وما يتعلق بفترة الرَّئيس عبد السَّلام عارف، نتأمل في معلومة مهمة يكشفها الجهادي الفلسطيني صالح عبد الله سرية (أُعدم 1974)، ألا وهي انتماء الرَّئيس العراقي المذكور إلى الإخوان المسلمين، واستمراره فيها حتى 1956[146]، وكان الرَّجل الثَّاني في ثورة 14 تموز 1958، وقد أصبح عِقب الثَّورة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية لشهور حيث أعفي من مناصبه، ثم تسلم رئاسة الجمهورية العراقية (1963 - 1966) وهو ما لا يُذكر في سيرة عبد السَّلام، مع التَّدين المعروف عنه وكرهه الحاد لليسار، ومحاولته في تطبيق الشَّريعة الإسلامية فيهم[147].

وربما يُشجع على أخذ تلك المعلومة بنظر الاعتبار أن عبد السَّلام عارف، وهو رئيس جمهورية العراق، تدخل لدى الرَّئيس المصري جمال عبد النَّاصر لاطلاق سراح سيِّد قطب (أُعدم 1966). ففي 1964 وبعد تعرض قطب لانهيار في صحته توسط عبد السَّلام لإطلاق سراحه، ونجحت الوساطة، وهناك مَن نقل قولاً للرئيس العِراقي بأن كتاب (في ظلال القرآن) كان أنيسه في السِّجن أيام عبد

146 حادث الكلية الفنية العسكرية في مصر 1974، مأخوذ مِن ملف التَّحقيق، نشره موقع ملتقى التأويل، على الرابط: http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?p=47997

147 في قضية معروفة، وهي استصدار فتاوى قتل من رجال الدين (تموز 1963)، وقد جاءت الإشارة إليها في فصل سابق من الكتاب، وفي كتابنا: الأديان والمذاهب بالعراق، الفصل الخاصة بالشيعة، وفي كتابنا: لا إسلام بلا مذاهب وطروس أُخر، طِرس: لا إكراه الردة والمرتدون.

الكريم قاسم، وما نُقل عن قطب نفسه أنه قال في وساطة عبد السَّلام (نجحت والحمد لله)[148].

كذلك ورد في أن السَّفير العِراقي زار قطب بعد خروجه مِن السِّجن، وكلفه أن ينقل عنه رسالة شكر إلى عبد السَّلام، وأن يواصل مساعيه لإنهاء قضية الإخوان مع السُّلطة المصرية، وفي هذا اللقاء عرض على قطب السَّفير العِراقي العمل بالعِراق كخبير في مجال التَّربية ومناهج التَّعليم، وكان مرشد الإخوان المصريين مشجعاً ذهابه إلى بغداد، غير أن قطب لم يقبل بالعرض وآثر البقاء بمصر[149].

ونجد لدى رئيس الحزب الإسلامي العراقي في بداية الستينيات، الشَّيخ نعمان عبد الرزاق السَّامرائي، وهو المعاشرين لعبد السَّلام عارف ثم شقيقه عبد الرَّحمن عارف، ما يفيد أن الرئيس كان ملتصقاً بالإخوان، ومنه: أن عبد السَّلام كان دعا الإخوان لمشاركته في الثَّورة ضد عبد الكريم قاسم، لكن المبعوث، وهو عديل الرئيس، لم يبلغ الإخوان[150]. وأن جمال عبد النَّاصر (ت 1970) قال لعبد السَّلام لما عاتبه على حدوث انقلاب فاشل ضده ببغداد ممَن كان يعتبر ثقة لدى عبد النَّاصر، قال الأخير: (وجماعتك الإخوان ماذا يعملون؟! أتريد أرسلهم لك كلهم)؟![151].

---

148 حمودة، سيِّد قطب مِن القرية إلى المشنقة، ص 160 - 161.

149 المصدر نفسه.

150 السَّامرائي، مذكرات، ص 274.

151 المصدر نفسه، ص 276.

ومما يّكره زعيم الإخوان العِراقيين أنه بعد مقتل عبد السَّلام عارف قدمت الحكومة المصرية الإخوان المصريين إلى المحكمة، فلما نقل السَّامرائي الخبر إلى الرئيس الجديد عبد الرَّحمن عارف علق على الخبر قائلاً: (هذا صاحبكم مات والعوض عليه تعالى)[152]. ويعني شقيقه عبد السَّلام، ويُفهم مِن الجواب أنه لا يتدخل أو يتوسط! هذا ولا نعلم هل بالفعل أُطلق سراح عبد السَّلام عارف مِن سجنه ببغداد (أكتوبر 1958 أي بعد ثورة 14 تموز بثلاثة شهور) بفعل وساطة الحزب الإسلامي العِراقي (الإخوان المسلمون) لدى عبد الكريم قاسم مثلما يروي رئيس الحزب نعمان السَّامرائي[153]! أم هناك أسباب أُخر، منها مثلاً الوشائج السَّابقة التي كانت قائمة بين الرَّجلين قبل الثَّورة! ورسائل الاسترحام، والتذكير بتلك الوشائج، التي كان يكتبها عبد السَّلام عارف إلى عبد الكريم قاسم، بواسطة آمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة (قُتل 1963)[154].

لكن حسب أحد زملائه، وهو مدير الاستخبارات العسكرية، بعد ثورة 14 تموز 1958، العقيد محسن الرُّفيعي (ت: 2003) أنه وعبد السَّلام كانا منضمين إلى تنظيم أنشأه فلسطينيون في الكلية العسكرية العام 1940، ولم يُعرف ماهية هذا التَّنظيم سوى أنه كان

---

152 المصدر نفسه، ص 277.

153 المصدر نفسه، ص 273.

154 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 144 وما بعدها. عدت رسائل نُشرت أُصولها بخط عبد السَّلام نفسه،فيها كلمات الاسترحام والاعتذار والإخلاص.

خاصاً بالضباط[155]، ولا نعلم إذا ما كان للإخوان دور فيه، مع علمنا أن الرُّفيعي شيعي، إلا أن هذا لا يمنع مِن الانضمام إلى حزب الإخوان في تلك الفترة.

ولو صحت رُّواية انتماء عبد السَّلام فإن الإخوان المسلمون لم يستفيدوا من تلك الصِّلة، أي أن يكون رئيس الجمهورية العِراقية إخوانياً سابقاً، في إعلان التَّنظيم مثلاً أو أسلمة المجتمع وهي نقطة مركزية في نضالهم السِّياسي، فلم تفرض في ذلك العهد أية مظاهر إسلامية، بل إن زوجة الرَّئيس عبد السَّلام عارف وبناته كنَّ حسرات الرؤوس، غير محجبات، حسب ما نشره أحد ضباط حمايته مِن صور لعائلة الرئيس، قبل تسلم السُّلطة بعام واحد، أي العام 1962[156]، والانتماءِ للإخوان، وحتى بعد الابتعاد عن التَّنظيم، يشترط حجاب نساء الأُسرة في أغلب الأحيان. ومِن ناحية لم يظهر تشدد ضدهم في فترة حكم عبد السَّلام، ولم يبادروا هم إلى مواجهة النِّظام، حيث كرسوا كلَّ عدائهم ضد سلطة عبد الكريم قاسم.

على أية حال، بعد تسلم حزب البعث لمقاليد السُّلطة إثر انقلاب 17 تموز(يوليو) 1968 أشتد الوضع على العمل السِّياسي والأحزاب كافة؛ ولأحزاب الإسلامية بدرجة أكبر، بأثرها استبدل الحزب الإسلامي عمله بتشكيل منظمات سِرية، وحينها تحمل أياد

---

155 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 117.

156 توفيق، عبد السَّبلم عارف كما رأيته، ص 64.

السَّامرائي، رئيس البرلمان العراقي السَّابق، المسؤولية. ولا نظن، تحت ذلك الضنك كان هناك نشاط للحزب ملفت للنظر. وفي 1980 تحمّل مسؤولية قيادة الحزب عبد المجيد السَّامرائي، وذلك بعد مغادرة أياد السَّامرائي العراق بسبب مطاردته. وفي 1987 وجهت ضربة لشخصيات الحزب، بعد كشف عملها الحزبي السري، فقرر الحزب نقل عمله إلى خارج العراق. وفي 1991 أعلن عن نشاطه، وعن أسماء بعض وجوهه، مثل: أسامة التكريتي وأياد السَّامرائي.

أما في الداخل فيبدو أن الحزب استفاد مِن حملة صدام حسين الإيمانية، فيوها كُلف أمينه العام محسن عبد الحميد، بعد 2003، وعضو مجلس الحكم باسم الحزب، أي ممثلاً لجماعة الإخوان المسلمين، بدور الدَّاعية إلى الإسلام الوسطي، وبما لا يثير حساسية السُّلطة، وبالتأكيد من دون الإشارة إلى هدف سياسي أو انتماء حزبي ما. وبلا شك، لا بد أن الحزب استغل ظروف الحصار، وما أسفرت عنه الحرب مع إيران واحتلال الكويت، ونشط في عمليات الإغاثة كواجهة للتقرب من النَّاس، إضافة إلى الدورات القرآنية، ومجالس الوعظ[157].

هناك تّكليف رسمي كُلف به محسن عبد الحميد مِن قِبل مديرية الأمن العام، بالحملة ضد أحاديث الشَّيخ أحمد الوائلي (ت:

---

157 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

2003)، عميد المنبر الحسيني المعروف بالعراق وسوريا ودول الخليج، فحسب مذكرة مدير الأمن العام ببغداد المؤرخة في 2 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2002، وموضعها كان (شبهات الوائلي)، وكان الأمر بتكليف من نائب رئيس مجلس قيادة الثَّورة عزة الدوري، حسب ما رُفع إليه من خطورة خُطب الوائلي، الذي أُشير إليه بالمجرم، وتداولها بالمقاهي والأسواق العامة وسيارات الأُجرة، وفيها ما يخص عاشوراء ومظلومية آل البيت ونقد الصَّحابة مِن غير العدول، حسب ما هو مختلف بين الشيِّعة والسُّنَّة في هذه القضية بالذات، لكن الأهم في شبهات الوائلي هو نيله مِن الحملة الإيمانية، التي أعلنها صدام حسين (أُعدم 2006) في السَّنة 1994.

مِن فقرات هذه الحملة ضد الوائلي: تشكيل لجنة مِن الأساتذة المختصين بالعلوم الإسلامية وبإشراف مباشر مِن قِبل مديرية الأمن العامة ببغداد، ونشر المقالات الصحفية اليومية والأسبوعية الرادة على أفكار الوائلي، وكان أحد لجنة الأساتذة المختصين هو الدكتور محسن عبد الحميد أمين عام الحزب الإسلامي، الذي ورد اسمه في ثلاث لجان: علوم القرآن والتَّفسير، وبرنامج تلفزيوني، وإعداد كتاب لرد الشبهات باسم مستعار[158].

ساهم الحزب الإسلامي العِراقي في تحرك المعارضة

---

158 صورة مذكرة مديرية الأمن العام، طبق الأصل، مجلة الإرشيف فصلية وثائقية مصورة، العدد الرَّابع 2010 ص 268 - 2 78.

العراقية، لكن بشكل مستقل في الغالب من الأحيان، فلم يشترك بمؤتمر المعارضة العام (بيروت) (آذار/ مارس 1991)، ولا مؤتمر (فيينا) (حزيران/ يونيو 1992)، ولا مؤتمر (صلاح الدِّين) (تشرين الأول/ أكتوبر 1992). أما مشاركة النَّاشط الإسلامي فليح السَّامرائي فهناك مَنْ اعتبرها على ملاك الحزب[159]، بينما اعتبرها آخر على ملاك (الكتلة الإسلامية)[160]. ويغلب على الظن أن التَّشخيص الأخير هو الصَّحيح، ذلك إذا علمنا إن السامرائي المذكور شارك في مؤتمر (فيينا) ضمن وفد (الكتلة الإسلامية)[161].

وقد بيَّن الحزب موقفه من مؤتمر لندن، وهو آخر المؤتمرات قُبيل الإطاحة بنظام صدام حسين، معتبراً اعتماد أُسس مؤتمر (صلاح الدِّين) لا تنسجم مع المرحلة، وبما أنه كان عضواً في لجنة التنسيق، بين أطراف المعارضة، أعلن بعد المؤتمر، الذي لم يشارك فيه، بل عُرض عليه المشاركة في لجنة المتابعة، انسحابه من لجنة التنسيق المذكورة.

جاء في رسالته، الموقعة من قِبل أياد السامرائي، والمؤرخة في 11 كانون الثَّاني (يناير) 2003: (مع تقديرنا لعرض القوى العراقية مشاركتنا في لجنة المتابعة، إلا أننا نجد أن ظروف المؤتمر ونتائجه لا

159 الشمراني، صِراع الأضداد، ص 260.

160 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 148.

161 المصدر نفسه، ص 10.

توافقنا، بذلك نعلن انسحابنا من المشاركة في اللجنة)[162].

وكان قد شارك في ما عُرف بـ (ائتلاف القوى الوطنية العراقية- في بريطانيا)، الذي شكل عقب مؤتمر لندن (14 -16 كانون الأول (ديسمبر) 2002، مع جمهرة من الأحزاب والشخصيات الإسلامية والعلمانية، وبينها حزبي: الدعوة الإسلامية والشيوعي العراقي، وكان ممثل الحزب الإسلامي، ممثلاً فيها بأياد السامرائي وعبد المجيد الحسيني، وكان موقف الائتلاف صريحاً ضد الغزو والضربة العسكرية، بل وناقضة لما اُتفق عليه في مؤتمر (لندن)[163].

بعد سقوط النظام، واحتلال القوات الأمريكية العراق 9 نيسان (أبريل) 2003 وجد الحزب الإسلامي العراقي نفسه أمام محنة كبرى، بين ممارسة العمل الحزبي واستغلال ظرف العلنية والمشاركة في الحكم، وبين الإعلان عن مقاومة المحتلين، كونه حزباً إسلامياً، وعلى نهج وطريق بقية فروع الإخوان المسلمين، الذين أعلنوا حربهم الخطابي، وممارسات أخرى، ضد الأمريكان، بل وضد مَنْ يجد له محط قَدم في ظل احتلالهم للبلاد.

وخلافاً لتنظيم الإخوان الأم بمصر، وفروعه في بقية البلدان، استقر رأي قادته على نقل تنظيمه إلى داخل العراق، واعتبر يوم 20

---

162 المصدر نفسه، ص 552.

163 المصدر نفسه.

نيسان (أبريل) 2003 يوم (الظُّهور من الجديد)[164]، حيث إعلان مغادرة العمل السري، الذي مارسه الحزب خارج العراق (1992-2003) والمشاركة في مؤسسات الحكم، مع وجود الاحتلال، وانتخبت قيادة الحزب ابن كركوك محسن عبد الحميد أميناً عاماً، وناطقاً رسمياً باسم الحزب، وهو شخصية إسلامية كوردية الأصل، وأصبح عضواً في مجلس الحكم وأول جمعية وطنية.

وفي 2005 انتخب طارق الهاشمي أميناً عاماً، ليصبح عبد الحميد رئيس مجلس شورى الحزب. ودخل الحزب إلى جانب فئات سُنِّية أخرى في جبهة التَّوافق، وهو كما يبدو كان محوراً لها، وفازت بـ 44 مقعداً، وشاركت في الحكومة بعدد من الوزراء، وأصبح الهاشمي نائباً لرئيس الجمهورية.

وحسب قادته، إنه لم يعد الحزب الإسلامي العِراقي فرعاً لجماعة الإخوان الأم بمصر، هذا ما صرح به أمين عام الحزب الجديد إسامة التكريتي، بُعيد عقد مؤتمر الحزب وانتخابه أميناً عاماً (2009). قال: (ليس هناك علاقة بين الحزب وبين أي جهة خارج الوطن من الناحية التنظيمية، إلا أننا نستثمر كل إيجابية في العلاقات مع الآخرين من أجل المشروع الوطني والإسلامي الذي نسعى له خدمة للدين والوطن. (وأن) مراحل العمل الإسلامي في العراق اقتضت أن

---

164 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

أكون مراقبا عاما للإخوان المسلمين العراقيين قبل 2003 ... أما اليوم فقد انتهى الأمر إلى واقع عراقي جديد، يستوعب الرجال والأفكار التي تحقق المصلحة، وتبني ما تهدم من العراق من خلال الحزب الإسلامي كمجهود سياسي، ومن خلال مؤسسات الدعوة والإرشاد ومؤسسات المجتمع المدني، وما فيها من جهات اجتماعية وإغاثية وثقافية وصحية وسواها)[165].

كان الحزب الإسلامي العراقي أكثر القوى السُّنَّية الدِّينية هدوءاً واتزاناً في مواجهة الحدث؛ لم يفوه شعار المقاومة بالسلاح تحت ضغط القوى القومية والدِّينية العربية، ومنها الأقرب له من جماعات الإخوان المسلمين بمصر أو الأردن، بل كان على خلاف مع تشدد (هيأة علماء المسلمين) تجاه الواقع السِّياسي، والمشاركة فيه. ولم يكن بمنأى من عمليات القتل والاغتيال والتهديد المستمر، وذلك لاعتراضه على التَّفجيرات والقتل العشوائي، أو استخدام السلاح قبل الأوان.

ويمكن متابعة موقف الحزب السِّياسي العام من خلال بياناته، التي سجل فيها رأيه إزاء العديد من الحوادث وسجل موقفه منها. وهي بيانات متعددة الأغراض: الاحتجاجية منها ضد التَّفجيرات وقتل الأبرياء، والتَّضامنية، والاعتراضية، ومنها يُستدل على موقفه السِّياسي العام في هذه المرحلة، وهو يعمل علانية ومشارك في أعلى

---

165 موقع إسلام أون لاين: http://mdarik.islamonline.net مقابلة أجرتها سارة علي بتاريخ: 23 حزيران (يونيو) 2009.

مراتب الدَّولة وضمن جبهة التَّوافق البرلمانية (نيابة رئاسة الجمهورية، ورئاسة البرلمان ورئاسة الوزراء، وزراء).

ويفهم من بيانه الأول الصَّادر في 20 آذار (مارس) 2003، عشية انطلاق العمليات العسكرية، أن هذا التَّاريخ بمثابة تأسيس جديد، أي قبل شهر من إعلان (الظُّهور من جديد) ويعبر بأن الحزب قد عانى من الانقطاع عن المجتمع، وبالتالي أصابه الجمود، حتى عاد إلى الحياة إثر سقوط النظام. حدد الحزب في هذا البيان جملة من الأهداف والرؤى:

1- الإسلام نظام شامل للحياة، ولذلك يهدف الحزب لتطبيق أحكامه تطبيقاً كاملاً على جميع شؤون الحياة وأمور الأفراد والدَّولة، من خلال عقلية أصولية عصرية تحقق مصالح البلاد والعباد حتى يسعدوا بطاعة ربهم في الدنيا والآخرة.

2- الإيمان بأن الإنسان قيمة كبرى في الشريعة الإسلامية يجب أن يصان وجوده ويحافظ على حريته ضمن المفاهيم الإسلامية.

3- التَّعاون التَّام مع القوى الدِّينية والسِّياسية المؤثرة في رسم مستقبل العراق، والعمل المشروع لإنهاء الاحتلال، وترسيخ الاستقلال.

4- العمل على محاربة الاستبداد والانفرادية وإلغاء الآخر، وتربية أفراد المجتمع على هذه المفاهيم كافة.

5- العمل على إحداث وعي إسلامي رشيد معتدل ومتوازن مع أُصول الإسلام وحركة العصر، بعيداً عن الانغلاق والتطرف والغلو الذي لا يتناسب مع كون الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان ورحمة للعالمين.

6- إقرار سيادة العدل، لكي يطمئن الإنسان على حياته ودينه وأولاده وأمواله ومستقبله، بعيداً عن مظاهر التفرقة والخصومة بإقامة نظام قضائي إسلامي نظيف ومستقل.

7- إقامة الحياة السِّياسية على مبادئ الحرية المنضبطة على الصدق والصراحة والتعددية في إطار العمل المشترك والتداول السلمي للسلطة؛ لتحقيق المصالح الحقيقية للأمة، وحقها في الاختيار الحر لممثليها في المجالس البلدية والنيابية ومؤسسات الدَّولة.

8- العمل على تربية الأجيال شعبنا على الأخلاق الفاضلة المنبثقة من تعاليم الإسلام الحنيف لبناء مجتمع عامل فاضل قوي سعيد.

9- بذل أقصى الجهود في إعادة إعمار العراق، وبنيته التحتية الحضارية والثقافية، منها والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها بالتَّعاون مع أبناء بلدنا العزيز كافة.

10- إقرار الحقوق الثقافية والسِّياسية للقوميات الرئيسية، وبقية الأقليات والطوائف الأخرى، التي يتكون منها المجتمع العراقي

الموحد، واختيار مَنْ يمثلهم في المجالس الرسمية والشعبية، الإقليمية والعامة.

11- دعم مؤسسات المجتمع المدني والعمل من خلالها لصالح المجتمع.

12-التأكيد على تربية الفرد العراقي على المسؤولية الاجتماعية، واحترام ممتلكات الفرد والدَّولة، والإيمان بالعمل الجاد لخدمة المجتمع.

13- يتحمل الحزب مسؤولية الحكم والاشتراك فيه بالوسائل المناسبة، إذا رأى في ذلك مصلحة الشعب ووحدة البلاد والحفاظ على أمته.

14- يؤمن الحزب بمبادئ العدالة الاجتماعية والقضاء على سوء توزيع الثروات، بتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على أساس الكفاية والتكافل الاجتماعي وإنهاء حالة الفقر بالبلاد[166].

وإذ وقَّع الحزب بيانه الأول تحت اسم القيادة العامة للحزب الإسلامي العراقي (20آذار/مارس 2003)، أخذت بياناته اللاحقة توقع باسم المكتب السِّياسي للحزب. وأصدر بياناً في يوم الإعلان عن الحكومة الموقتة في(1 حزيران/يونيو 2004)، برئاسة أياد علاوي، شاكياً من أنها حكومة علمانية.

---

166 موقع الحزب الإسلامي العراقي www.iraqiparty.com

جاء فيه: (الحزب الإسلامي العراقي يرى أن هذه المداولات جاءت بحكومة علمانية لم يمثل بها التيار الإسلامي حق التمثيل، قياساً إلى حجمه ووزنه في الساحة الإسلامية، مع أن الجانب الشّيعي الإسلامي كان ضخماً فيها، وفي المؤسسات الأخرى).

وهنا عاد الحزب واعترف بوجود إسلام سياسي سُنّي يمثله هو، وإسلام سياسي شيعي تمثله أحزاب شيعية، مع أنه يهدف إلى تطبيق الإسلام كاملاً في الدَّولة والمجتمع! ألا يجد في هذا الأمر تناقضاً لبلد مثل العراق على وجه الخصوص!

وتجده يبرر مشاركته في الحكومة بالآتي: (ومع هذا فإننا قررنا المشاركة على أساس أن غيابنا هو ضرر أكبر، متمثل بغياب دور السُّنَّة العرب عن المشاركة في تشكيل مستقبل العراق السّياسي، في هذه المرحلة الحرجة من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يفقدنا التأثير المباشر لإحباط المساعي التي تريد إضفاء الشرعية على إبقاء المحتل في عراقنا الحبيب. وهذا يدفع بضرر أصغر هو المشاركة بهذه الحكومة الانتقالية الجديدة، وسنعمل على إسداء النصيحة لهذه الحكومة والتفاعل معها بطريقة تخدم مصالح شعبنا، وسنحيط أهلنا بالعراق أولاً بأول بما نراه من خطأ وصواب، خدمةً للعراق و العراقيين جميعاً)[167].

167 البيان رقم 22 الصادر بتاريخ 6 حزيران (يونيو) 2004.

وبعد خمسة شهور مِن انضمامه إلى الحكومة الموقتة، أعلن الحزب انسحابه منها، إثر القتال الدائر بشدة، آنذاك، بالفلوجة، مع جماعة القاعدة وسواهم من المسلحين، واستمرار قصفها من قبل القوات الأمريكية، جاء ذلك في بيانه المرقم 50 والمؤرخ في 9 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2004. ثم قرر عدم المشاركة في الانتخابات الأولى العامة للجمعية الوطنية.

وجاء في بيانه المرقم (59) والمؤرخ 20 كانون الثَّاني (يناير) 2005: (على أثر إعلان الحزب الإسلامي العراقي انسحابه من المشاركة في الانتخابات العامة للمجلس الوطني القادم والمزمع إجراؤها في 30 كانون الثَّاني (يناير) 2005. فقد بذلت أطراف عدة جهودها لإقناعنا بالعدول عن هذا الانسحاب كما روجت بعض وسائل الإعلام أخباراً مفادها أن الحزب ربما غير موقفه في اللحظة الأخيرة، وأنه يتفاوض لدعم قوائم انتخابية معينة...). وبهذا تكون الفترة الانتقالية ثم الموقتة خالية من مشاركة الحزب الإسلامي عملياً، بعد خروجه من الوزارة، ثم قراره بعدم المشاركة في الانتخابات، للجمعية الوطنية، وبالتالي لتشكيل حكومة انتقالية، مثلما تقدم.

وإن أخذ الحزب الإسلامي موقفاً من الحرب على القاعدة بالفلوجة، فإنه يعود في بيانه الرقم (91) ويحدد موقفه ضد أبي مصعب الزَّرقاوي (قُتل 2006)، وكان قائد الإرهاب آنذاك واللاعب القوي بالفلوجة، عندما كانت حكومة أياد علاوي والأمريكان يشنون

الحرب عليه وعلى جماعته، وضد تصريحات ضد الشِّيعة، وبياناته بقتلهم، وشن الحرب عليهم، لإلهاب الفتنة الطَّائفية، وكانت كذلك، من دون أن ينجر إليها المجتمع العراقي على المستوى العام.

وجاء في البيان المؤرخ في 14 أيلول (سبتمبر) 2005: (يبرأ الحزب الإسلامي العراقي إلى الله مما نُسب إلى الزَّرقاوي من إعلان الحرب على الشِّيعة بالعراق أينما وجدوا. إن مثل هذا الموقف الذي يستبيح الدماء البريئة المعصومة، ويستحل قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، مخالفٌ لما ثبت في الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة في تحريم سفك دماء المسلمين).

واجه الحزب الإسلامي العراقي انتقادات شديدة من جهات عدة، منها القومية- البعثية، ومنها إسلامية مثل (هيأة علماء المسلمين)، بسبب مشاركته المبكرة في العملية السِّياسية في ظل الاحتلال الأمريكي، وخصوصاً ما يتعلق بالدستور، وموافقته على الاستفتاء، بعد وضع المادة 142 والخاصة بجواز مراجعته وتعديله. ويبدو أن تلك الانتقادات وصلت إلى حد التكفير والاتهام بالردة عن الدِّين والتخوين، وهي التهمة الخالدة في الذاكرة السِّياسية الدِّينية، هذا ما يفهم من بيانه الـ 99 والصادر في 20 تشرين الأول(أكتوبر) 2005، الذي أورد فيه الآيات التي تدفع عنه التهمة:

(إن الحزب يؤمن أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام. لذلك

يرى أن لا حكم إلا لله (هكذا وردت)[168]. وأن لا إيمان إلا بالرضا والتسليم لكل ما أمر به الرَّسول (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[169]. وأن الحزب قضى عقوداً طويلة يعلّم النَّاس التوحيد ويحثهم على الالتزام بالإسلام شريعة، ويحذر من عبادة الجبت والطاغوت، وقد واجه من العلمانيين واللادينيين حرباً شعواء تمثلت بإعدام الكثير من أعضائه وسجن وملاحقة الكثير).

(إن الحزب الإسلامي (حصراً) مَنْ ثقف الجماهير بخطورة الدستور الحالي من خلال طبع البوسترات، ونشر المطويات واللافتات والبيانات، التي تبين مساوئ الدستور، وحشدنا لغرض رفضه كل إمكانيات الحزب المتاحة. إلا أن قبولنا الأخير ليس لما جاء فيه إنما لما يترتب من إعطاء الحق للجمعية القادمة في إعادة النظر في بنوده. فالقبول لغرض التوصل إلى التصحيح الحق، وهذا لا يعني الإيمان ببنود الدستور التي بينا عورها. لذلك فإن الحزب لم يوجه أعضاءه لقول نعم! وقد قال منتسبونا: لا. وخير شاهد ما حصل فعلاً في محافظتي صلاح الدِّين والأنبار من رفض الدستور بنسب مطلقة حيث يتمتع الحزب بحضور قوي (...) لا يحكم بالردة إلا على من أنكر معلوماً من الدِّين بالضرورة، وأي أمر من الأمور الثابتة أنكرناها)!؟

---

168 ورد النَّص: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (سورة يوسف، آية: 40 و67، وسورة الأنعام، آية: 57).

169 سورة النساء، الآية:65.

وعلى الرَّغم مما يتردد عن الحزب الإسلامي العراقي أنه يمتلك ميليشيا، هي (الجيش الإسلامي)، إلا أنه نفى ذلك في بيانه رقم 149 المؤرخ في 3 آذار (مارس) 2007، راداً على نائب من الائتلاف الموحد الشيعي، الذي أتهم أمينه العام طارق الهاشمي بأنه صاحب ميليشيا، ويمارس الإرهاب. جاء في البيان: (أكدنا مراراً أنَّ الحزب الإسلامي لا يملك ميليشيا مسلَّحة، وأننا لو كنَّا نملكها لما استحيينا من أن نجهر بها، وبأعلى صوتنا. إلا أننا أدركنا أنه ليس من الصواب أن ننجرَّ إلى ما يمكن أن يُحوِّل الساحة العراقية إلى حمام دماء، كما تورَّطت بعض التيارات والأحزاب، وانزلقت إلى المشاركة بالعنف الطائفي من حيث تشعر أو لا تشعر).

ومن دون تشكيك في هذا النفي، كان لا بد للحزب من حراسات خاصة، لمقاره، وقياداته، وفي ظرف العراق الأمني لا تتميز الحراسات لكثرتها عن الميليشيا! وقد أشارت بيانات الحزب إلى التأكيد على المشاركة السِّياسية بديلاً، وتجاوبه مع الحلول العامة، واتصاله بالأمريكان (ينظر زيارة أمينه العام الهاشمي إلى واشنطن ولقاءه بالرئيس الأمريكي)، وأن بيانه رقم 159، والمؤرخ 18 تشرين الأول (أكتوبر) 2007 الخاص بتأييد تشكيل مجلس المقاومة، مشروطاً بعدم التورط بالدم العراقي.

جاء فيه: (بعد أن أعلنت مجموعة مِن فصائل المقاومة الوطنية العراقية تشكيل مجلس سياسي لها؛ اطلع المكتب السِّياسي

للحزب الإسلامي العراقي على برنامج المجلس وأعلن دعمه وتأييده للمشروع... إننا نتمنى أن يكون المجلس مفتوحاً لقبول جميع الفصائل الراشدة، التي لم تدنَّس سمعتها الإسلامية والوطنية بل ولجميع الاتجاهات السِّياسية الوطنية على كامل التراب العراقي، كي يتحول المشروع إلى مشروع وطني شامل).

وعلى هذا الصعيد أُتهم الحزب بصلات ما مع التنظيمات المسلحة، مثل جماعة القاعدة، وبثت قناة العراقية الفضائية الرسمية، إلى حد كبير، اعترافات قائد تنظيم القاعدة، وخليفة أبي مصعب الزَّرقاوي، إلا أن الحزب ردَّ بشدة في بيانه المرقم (171) والمؤرخ في 18 أيار (مايو) 2009، قائلاً: (إن موقف الحزب من تنظيم القاعدة وكافة التنظيمات والجماعات الإرهابية التي تستهدف العراقيين والأبرياء معروف للجميع وقد دفع الحزب الإسلامي نتيجة موقفه هذا الألوف من أعضائه وقياداته ، إن دماء العزِّي وعمر محمود عبد الله وخالد عثمان وجواد الفلاحي وغيرهم كثير كلها تشهد على بطلان هذه التهمة وتردَّها خائبة على من أطلقها).

عموماً، كل البيانات التي أصدرها الحزب الإسلامي العراقي، وهي حتى الرقم 174 المؤرخ في 1 آب (أغسطس) 2009، وهو ما أطلعنا عليه، حال إعداد المادة، وكان الذكرى التاسعة والأربعين لتأسيس الحزب (1960)، تشير إلى عقلانية الحزب وميله إلى العمل السِّياسي السلمي، بعيداً عن التزمت وعدم تقدير

الحال، وما تتطلبه مواجهة الأمريكان، والقبول بتوافق تدريجي، للحصول على ما هو أكثر.

كذلك، لا تجد في سياساته الإصرار على الشعارات القديمة، مرحلة الستينيات من القرن الفائت وما بعدها، وإذ وجد الحزب نفسه أمام متغيرات شديدة، لا بد من التعامل معها، فلو أطلعنا على تشدده ضد اليسار العراقي آنذاك لم يجد اليوم حرجاً من التعامل معه، ولا تراه يطالب مثلما كانت مذكراته بإنزال أشد العقوبات، ومنها الإعدام بطبيعة الحال، على حوادث ليست من المؤكد أنها من فعل المطالب بعقوبتهم، لكنه العداء الحزبي والعقائدي، حتى نجده تجاوز بيانه غير المتوافق مع المرحلة، والذي أصدره في 20 آذار (مارس) 2003.

وبالمقابل لا تجد الحزب الشُّيوعي العراقي آنذاك أقل مطالبة بإلغاء تلك القوى، وهو الآن لم يظل أسيراً لبناء الدَّولة العقائدية، ذات القوة الحديدة مثلما كانت بالاتحاد السوفيتي مثلاً، ولا الحزب الإسلامي ظل أسيراً لحاكمية سيد قطب والمودودي، كون تاريخه جزءاً من تاريخ الإخوان المسلمين.

ومعلوم أن الظروف هي التي دفعت الحزبين وغيرهما من الأحزاب العراقية إلى تلك السياسات الجديدة، وليس دائماً القول (مرغم أخاك لا بطل) خالياً من الفائدة. لكن، لا يستطيع الحزب إقناعنا من أنه حزب عراقي صرف، ولا أعني هنا الولاء أو الوطنية،

بقدر ما أعني أنه حزب فئوي، مثله مثل حزب الدعوة الإسلامية الشِّيعي، أي محطّ جذب واهتمام ورعاية فئة عراقية بعينها، وبهذا يدفع الاصطفاف الحزبي حوله صوب الطّائفية، وعلى الرغم من أن الحزبين يحاولان طرح نفسهما على الساحة العراقية ككل.

كان للحزب الإسلامي موقع قطب الرحى في جبهة التَّوافق ذات الأربعة والأربعين مقعداً في البرلمان، له منها أكثر من النصف، وحصلت الجبهة على مراكز في الدَّولة بعد انتخابات 2005: نيابة رئاسة الجمهورية، ونيابة رئاسة الوزراء، ووزارة التَّعليم العالي، ووزارة التَّخطيط، ووزارة الثَّقافة، ووزارة الدَّولة للشؤون الخارجية، ووزارة الدَّولة لشؤون المرأة. ومِن برلمانيي الحزب الأربعة والعشرين هناك عشر نساء.

إلا أن الجبهة بدت غير متماسكة عندما جرت المداولات لتعيين القيادي في الحزب الإسلامي أياد السامرائي رئيساً للبرلمان، بعد استقالة رئيسه السابق محمود المشهداني. ولعلَّ مكونات جبهة التَّوافق أول مَنْ بادر إلى طي صفحة المحاصصة الطّائفية عند التحالفات الجديدة، سيراً على خطى ائتلاف دولة القانون، التي يرأسها رئيس الوزراء الحالي نوري المالكي. ومع ذلك احتفظت التَّوافق بوجودها في التكتل السابق نفسه (جبهة التَّوافق)، وأعلن عنها في 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2009 استعداداً لخوض الانتخابات النيابية (2010)، وتبدو أنها ظلت محتفظة في طابعها الطائفي السُّنِّي.

ربما لم يحصد الحزب الإسلامي تلك النتيجة، في الانتخابات السَّابقة (2005) مع الفتور الانتخابي بالمناطق الغربية، التي أطلق عليها الأمريكان، أو الإعلام الغربي، عموماً بالمثلث السُنِّي، لولا أن السياسة شيدت على أساس الطَّائفية، لا على أساس البرنامج، والأشخاص المرشحين. والأمر صحيح بالنسبة للأحزاب الأُخر، فالمحاصصة أتت لصالح الأحزاب الدِّينية والقومية، لكنها سيئة بالنسبة للعراق عموماً.

جدول (1) نسبة التَّوافق في البرلمان العراقي

السَّنة	مجموع الأعضاء	نسبة الرِّجال	المعممون منهم	نسبة النِّساء
2005	17	8	1	9
2010	6			

فلو تأملنا النتائج التي أسفرت عنها انتخابات كانون الأول (ديسمبر) 2005 نجدها أفرزت المحاصصة من أعلى هيئات الدَّولة وحتى أصغرها: رئيس الجمهورية كوردي، ونائباه: شيعي وسُنّي؛ ورئاسة الوزراء: رئيس الوزراء شيعي، ونائباه: كوردي وسُنّي. وكذلك الحال بالنسبة لرئاسة البرلمان: الرئيس سُنّي، ونائباه: شيعي وكوردي. وهلم جرًّا!

عدَّ الحزب الإسلامي العراقي شهداءه بأربعمئة شهيد، هذا ما جاء في رده على يونس الرجوب المسؤول، في منظمة فتح الفلسطينية- الأردن، في بيانه المرقم 147 والمؤرخ 27 كانون الثَّاني (يناير) 2007، عندما انتقده للمشاركة في العملية السِّياسية بوجود الجيش الأمريكي.

ويمكن التعرف على أسماء مَنْ قتلوا بعد سقوط النظام 9 نيسان(أبريل) 2003 مِن بيانات الحزب وتعازيه فيهم، وأنهم قضوا على أيدي جماعات، منها السُنّية ومنها الشِّيعية. ويصعب في دوامة القتل، التي اجتاحت العراق، تشخيص القاتل وهويته بشكل دقيق، فمرة يأتيك بثوب ميليشيا، وأخرى بثياب الجيش والشرطة. وخاض الحزب ضمن جبهة التَّوافق السُّنِّية انتخابات المجالس المحلية، ويبين الجدول رقم (2) المقاعد التي حصل عليها الحزب ضمن تلك الجبهة، التي تمزقت على ما يبدو في ما بعد، فالانتخابات المحلية عادة تجري ضمن المحافظات، وأجريت على أساس طائفي.

جدول (2) نسبة الإسلامي مع التوافق في مجالس المحافظات عدا إقليم كُردستان

المحافظة	إجمالي المقاعد ٢٠٠٩	النسبة
الأنبار	57	0
بابل	35	0
بغداد	29	7 (توافق)
البصرة	28	2
ديالى	31	9 (توافق)
الديوانية	28	0
ذي قار	31	0
صلاح الدِّين	28	5
كربلاء	29	0
كركوك	تأجيل	
المثنى	26	0
ميسان	27	0
النَّجف	28	0
نينوى	37	3
واسط	28	0

مِن غير أشقاء أمين عام الحزب السَّابق طارق الهاشمي الثَّلاثة: ميسون الهاشمي، والفريق عامر الهاشمي، والمهندس محمود الهاشمي، طالت عمليات الاغتيال: جواد أحمد الفلاحي نائب مسؤول فرع الكرخ الشمالي للحزب الإسلامي. والمهندس وعد جاسم العاني القيادي في الحزب، الذي مضى على انتسابه أكثر من ثلاثين عاماً، واغتيل في عملية واحدة: المهندس أياد أحمد عطية العزِّي، عضو المكتب السِّياسي والشَّيخ علي حسين العيساوي، وتحسين علي كرماش

اللهيبي، والداعية سعد محمد محمود المهداوي مسؤول فرع المقدادية للحزب بمركز ديالى.

واغتيل بالموصل، أثناء حملة الانتخابات، عضو الحزب محمد شاطر عبد الرحمن المعماري واثنان آخران من أعضاء الحزب. وتم اغتيال كادر الحزب عبد الستار صابر حسين الخزرجي. واغتيال القيادي في الحزب عمر محمود عبد الله بالموصل. واغتيل بمدينة الثورة (الصَّدر) إمام وخطيب جامع السَّجاد، وعضو الحزب الشَّيخ حازم الزَّيدي، والشَّيخ عبد الصمد إسماعيل الأعظمي إمام جامع أبو عبيدة الكائن بحي الشعب- بغداد.

حزب العدالة التُّركماني

خرجت من الحزب الإسلامي، حيث الانضمام له على أساس جماعة الإخوان المسلمين، الجماعة التركمانية لتشكل حزب (العدالة التركماني) العام 2004، ومِن الجماعة الكُردية خرج حزب (الاتحاد الإسلامي الكُردستاني)، مثلما ستأتي الإشارة إليه في الفصل الخاصة بالحركة الإسلامية الكُردية العِراقية. تشكل حزب العدالة بعد سقوط النِّظام العِراقي، العام 2004، وكان أعضاؤه جزءاً مِنْ الحزب الإسلامي العِراقي، وقيل إنه التُّركمان المنضوين في حزب الإخوان خرجوا (احتجاجاً على الميول، التي أظهرها رئيس الحزب الإسلامي محسن عبد الحميد(كردي مِن أهالي كركوك) نحو

الأكراد، عندما مثل الحزب الإسلامي العِراقي في مجلس الحكم في عهد بريمر)[170].

قال السِّياسي العراقي التُّركماني عبد العزيز صمانجي: (اتصل بيَّ في كركوك، عام 2003 أو 2004، بعض هؤلاء... سألوني عن إنطباعي حول ميول رئيس الحزب، فهمت أنهم قرروا الانفصال مِنَ الحزب الإسلامي، وتشكيل حزب مستقل، سموه حزب العدالة التركماني، مستلهمينه، على ما يبدو، مِنْ اسم حزب العدالة والتَّنمية التُّركي الذَّي يقوده أردوغان في تركيا)[171]. انضم إلى الجبهة التركمانية العراقية العام 2005، ويترأسه أنور بيرقدار، وهم من الناحية المذهبية من أهل السُّنَّة.

نضم (حزب العدالة التُّركماني) تحت مظلة الجبهة التركمانية العراقية التي يترأسها د. سعد الدِّين أركيج، والتي تشكلت في آذار(مارس) 1995 برعاية الدكتور إحسان الدوغرامجي. والأحزاب التي تحت مظلتها إضافة إلى الحزب المذكور: الحزب الوطني التركماني العراقي، تأسيسه الفعلي 1991، وحركة المستقلين التركمان، تأسست بأربيل العام 1995، وحزب العدالة التركماني، تشكل بعد سقوط النِّظام، والحركة الإسلامية التركمانية تشكلت

170 صمانجي، حزب العدالة التُّركماني، ضمن ملف الإخوان المسلمين في العراق، كتاب مسبار الشهري، العدد 41 مايو (أيار) 2010، ص 165.

171 رسالة خطية مِن الناشط السِّياسي التركماني العراقي عزيز قادر صمانجي.

بدمشق في تسعينيات القرن الماضي، وانضمت إلى الجبهة التركمانية العراقية العام 2003 [172]. وينقل آخرون: أن الجماعة الأخيرة تشكلت بدعم من سوريا، وليست ذات حضور، وهناك مَنْ يشير إلى مؤسسها أو كيانها بين التركمان كجماعة كاكائية[173]!

فالتركمان بدورهم انقسموا على خلفية الحالة الطَّائفية، وائتلفوا في انتخابات 2005 مع جبهة التَّوافق السُّنية، ومحورها الحزب الإسلامي العراقي، وإذ شكلت الجماعة السُّنيَّة (حزب العدالة)، فقد سبقهم إلى هذا التوزع الطَّائفي الشِّيعة التُّركمان فكانت أحزابهم كواجهات تركمانية لحزب الدعوة الإسلامية، والمجلس الأعلى، مثلما سبقت الإشارة.

---

172 صمانجي، حزب العدالة التُّركماني، ضمن ملف الإخوان المسلمين في العراق، كتاب مسبار الشهري، العدد 41 مايو (أيار) 2010، ص 165.

173 جماعة دينية تعيش بشمال العراق، كركوك، وأربيل، والموصل، ويشار إليها من عامة الناس بالعلي إلهية. هي ذات نشأة دينية قديمة ممزوجة بالتصوف. اسمها الظاهر جاء من المفردة الكُردية (كاكا)، أي الأخ الأكبر، وما لذلك من صلة بعالم الفتوة، وحضور شخصية علي بن أبي طالب بينهم. إلا أنه ما زالت تحضر بين الكاكائيين المفردة الكُردية القديمة «يارستان»، وتعني الله، والمعشوق، فتكون «الله وحده المعشوق». وتبدو مفردة يارستان هي أقرب المفردات لتعامل الكاكائية، وأقرب بمدلولها من مصطلح الفتوة، فاليارستية تعني التضامن الكامل بين هذه الجماعة، إلى حد الفداء بالأنفس(لقاء مع المثقف الكُردي فلك الدِّين كاكائي، أربيل في أيار/مايو 2007).

وللاستزادة حول أصحاب هذه العقيدة الغامضة على الكثيرين راجع: (العزاوي، الكاكائية في التَّاريخ، بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة 1949. ونوري ياسين الهرزاني، الكاكائية دراسة أنثروبولوجية للحياة الاجتماعية، أربيل: دار ئاراس للنشر 2007، ومحمد حسين محمد شواني، التنوع الإثني والدِّيني في كركوك، أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2006، وكتابنا، الأديان والمذاهب بالعراق، كولونيا- بغداد: منشورات الجمل، الطبعة الثَّانية 2007، وكتابنا، المجتمع العراقي.. تُراث التسامح والتكاره، بغداد، أربيل، بيروت: معهد الدراسات الاستراتيجية العراقية 2008).

لكن حسب تعريف الحزب لنفسه أنه لم يعد تحت عباءة الإخوان المسلمين، ب أنه حزب (سياسي مدني إصلاحي، يعمل من أجل حل جميع قضايا الشعب التركماني العراقي السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة، من منظور إسلامي بما يحقق العدل والرخاء والحريات العامة لتركمان العراق، وأن يكون للتركمان دوراً في إدارة الدولة، ونيل جميع حقوق الشعب التركماني الثقافية والادارية والسياسية وغيرها)[174].

حسب ما ورد مِن شرح للشعار الحزب أنه يتألف شعار من الرافدين حرصاً منه على وحدة العراق، وميزان ترمز كفتاه للعدالة والحقوق التركمانية والعراقية، وهلال يحتضن الرافدين، أما اللونان الأحمر والأزرق فهما يرمزان إلى تاريخ للتركمان. دخل الحزب في الانتخابات العراقية العامة، كانون الثاني (يناير) 2005 ضمن جبهة التَّوافق السُّنية، وحصل على ثلاثة مقاعد، هم على ما يبدو منتخبيه مِن التركمان السُّنَّة.

كانت تجربة الإسلام السِّياسي العراقي، وليس الحزب الإسلامي حسب، في السُّلطة فترة اختبار للشعارات التي انتشر بها هذا التيار، فقد تعرضت إلى انتكاسة خطيرة، إلى درجة لم تتمكن هذه التجربة من تحقيق جزء يسير من شعاراتها، بل فشلت فشلاً ذريعاً في

---

174 موقع حزب العدالة التركماني، على الرابط:
3http://turkmenadalet.org/static.php?idsta=34

عصمت أعضائها من الفساد في المال العام، والتجاوز على الأمانة التي أنيطت بها من قبل الناخبين، وهذا أمين عام الحزب الإسلامي السابق طارق الهاشمي، الذي ترك الحزب للتفرغ للعمل الرسمي كنائب رئيس الجمهورية، ثم إطلاقه تنظيم خاص به تحت مسمى (التجديد).

قال في مقابلة مع جريدة (المدى) البغدادية ما نصه: (تسييس الدِّين في التجربة الواقعية أثر بالسلب على واقع الأحزاب الدِّينية، فالسؤال المهم هل أن الأحزاب تبنت المشروع الدِّيني أم لا، حزب الدعوة أو المجلس الأعلى لم يطرحا في مشروعهما السِّياسي نظام دولة ولاية الفقيه، ولا الحزب الإسلامي الذي هو طرف في الاتهام طرح في مشروعه السِّياسي مسألة العودة إلى الخلافة الإسلامية، الكل يطرح أنموذجاً وطنياً، الإشكالية هي في الممارسات الخاطئة لكونها أعطت انطباعاً للشعب العراقي أن هذا هو السلوك الإسلامي، وهذا الانطباع خطأ وليست هذه حقيقة الأمور).

(فالمشاريع التي طرحت من تلك الأحزاب هي مشاريع وطنية ومقبولة، وللأسف الممارسات كانت خاطئة، هؤلاء محسوبون على تيارات إسلامية، وبالتالي أصبح الإسلام هو المتهم، أنا في تصوري الإسلام بعيد عن كل تلك الشبهات، لكن الممارسات السيئة جعلت الشعب يؤمن بأن الأحزاب الإسلامية كانت سبب المحنة التي يعيشها العراق. وبالتالي قناعة النَّاس بتلك الأحزاب أصبحت ضعيفة مع الأسف الشديد، ولكنني أجزم بأن الدِّين من تلك الممارسات براء،

والممارسات هي المتهمة ولا ينبغي أن نعلق الفشل على الإسلام)[175].

نقول: نعم، الدِّين من تلك الممارسات براء، لكن عندما يحزب الدِّين ويُسيس لا بد أن يتحمل سيئات السياسة والحزبية! هذا أما الإخوان الكُرد فتوزعوا على عدة تنظيمات، ويمثلهم اليوم بشكل واضح حزب الاتحاد الكردستاني الإسلامي، والذي سيجري الحديث عنه ضمن فصل الحركة الكُردية الإسلامية العِراقية.

175 جريدة المدى، العدد: 1610 التّاريخ 17 أيلول (سبتمبر) 2009 حاوره: يوسف المحمداوي.

الفصل الثَّالث

حزب التَّحرير والكتلة الإسلامية

لم يفلح (حزب التحرير الإسلامي) في ترسيخ وجوده بالعراق، على الرغم من محاولات قيادته من غير العراقيين، من العمل بين صفوف الشِّيعة، وقد انتسبت إليه بالفعل وجوه شيعية، تحولت في ما بعد إلى حزب (الدعوة الإسلامية)، مثلما تقدم في الباب الأول. ظهرت الدعوة إلى تأسيس حزب التحرير بالعراق العام 1953 كفرع للحزب المؤسس بالقدس على يد الشَّيخ تقي الدِّين النبهاني (ت: 1977) [176].

حيث نشأة الحزب الأم بالأردن أواخر الأربعينيات، من القرن الماضي، وهو الآخر خرج من تحت مظلة أو عباءة الإخوان المسلمين بعد انشقاق في الحركة. وكان السبب في استقلال عدد من الإسلاميين بحزب خارج الإخوان، وفي تنظيم خاص أُطلق عليه اسم حزب التحرير كتعبير (عن ردة الفعل من نهجهم التربوي، والفردي على نشاطهم،

---

176 فلسطيني الأصل، من حيفا أسس حزب التحرير بالقدس، وتحول نشاطه إلى الأُردن (راجع للاستزادة حول حزب التحرير والشَّيخ النبهاني كتاب مسبار الشهري، حزب التحرير، آب/أغسطس 2007).

والذي لم يكن في موضع قناعة البعض... محدداً أهدافه بإقامة الدَّولة الإسلامية، التي لا تقوم الحياة الإسلامية إلا بقيامها، وفقاً لمفهوم المؤسسين للحزب)[177].

كان مجمل الأعضاء المنتظمين في فرع الحزب من العراقيين ولطلبة العرب الدارسين ببغداد، ومن بغداد امتد حزب التحرير إلى الموصل، والبصرة، والنَّاصرية[178]. وكان من أوائل المنتسبين: الشَّيخ عبد العزيز البدري (قتل 1969)، وعبد الغني الملاح (غير الكاتب والصحفي)، وطالب السامرائي، ونزار النائب، وهشام أبو عمارة، وعبد الفتاح الكيلاني، وخالد الحسن، وإبراهيم مكي، وحسين أحمد الصالح، ويوسف عبد الرحمن المعمار، وعبد الله البيرماني، ومحمد الكواز، وهادي السُّبيتي (شيعي تحول إلى حزب الدعوة وأُعدم في السبعينيات من القرن الماضي)[179]. وكان الأبرز والقيادي بينهم هو الشَّيخ البدري.

كذلك هناك أكثر مِن إسلامي شيعي انضم إلى حزب التحرير، مثلما مرَّ الحديث عن ذلك في الفصل الخاص بحزب الدَّعوة، وهم حسب الشَّيخ الفضلي: السَّيد طالب الرِّفاعي، المهندس

177 الآلوسي، العالم المجاهد الشهيد، ص 67.

178 شبر، العمل الحزبي بالعراق 1 ص 253.

179 المصدر نفسه. الآلوسي، عبد العزيز البدري العالم المجاهد الشهيد، ص 67- 68. كذلك راجع الفصل الرابع من الكتاب «حزب الدعوة الإسلامية» وما ذكره السَّيد طالب الرِّفاعي حول السبتي وشخصيات أُخر.

محمد هادي السُّبيتي، الشَّيخ عارف البصري، المهندس محمد مهدي السُّبيتي، الدُّكتور جابر العطا، الشَّيخ سُهيل نجم[180]. وحسب الشَّيخ الفضلي أيضاً أن حزب التَّحرير كان لم يظهر التَّعصب ضد الشِّيعة، وبعد إعلانه هذا التَّعصب استفتى هؤلاء آية الله محسن الحكيم، وحينها طلب السَّيد الحكيم مِن الشَّيخ محمد أمين زين الدِّين قراءة كتب مؤسس الحزب الشَّيخ النبهاني، وبعد إطلاع الحكيم على ما حوته تلك الكتب (أصدر فتوى بحرمة الانتماء لحزب التحرير)[181].

ومثلما وصف هذا الحزب، القريب مِن الشَّيخ البدري، الشَّيخ محمد الآلوسي بأنه حزب انقلابي، أي يؤمن بالاستيلاء على السُّلطة عن طريق الانقلاب عبر العمل السِّياسي، وليس العمل التربوي والإصلاحي مثلما هو حال جماعة الإخوان المسلمين[182].

بعد فترة وجيزة مِن نشاطه قدم الحزب طلب إجازة العمل الحزبي، أوان العهد الملكي (1954)، إلا أن الطَّلب رُفض، ومن بعد رفعه إلى مجلس الوزراء ورُفض، وإلى مجلس النواب ورُفض أيضاً. ولم يقطع الحزب الأمل بالحصول على إجازة عمل فأعاد الكرَّة في العهد الجمهوري، ورُفض كذلك مِن وزير الدَّاخلية، ولما لجأ طالبي الإجازة إلى محكمة التميز للبت بالأمر لم تجزهم المحكمة، حيث

---

180 - الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدكتور الفضلي، ص 31.

181 - المصدر نفسه.

182 - الآلوسي، المصدر نفسه، ص 67.

صادقت على قرار الرَّفض الصادر مِن وزير الداخلية([183])، بحجة أن منهاج الحزب كان (مخالفاً لروح العصر ومجافياً لمبادئ الشَّريعة الإسلامية... فضلاً عن أنه مرتبط بحزب آخر ناشط خارج الجمهورية العراقية)[184].

وأورد الباحث الألماني (دان) أن أول الموقعين على طلب إجازة الحزب هو عبد الجبار عبد الوهاب الحاج، الموظف الحكومي، وهو وبقية المؤسسين يتحدرون من بغداد، والموصل، والرمادي (الأنبار)، و(كلهم من السُّنَّة على ما يبدو)[185]. بعدها أخذ الحزب يصدر البيانات المنددة بحلف بغداد، المعقود بين العراق وإيران وباكستان وبريطانيا ببغداد في الخمسينيات من القرن الماضي، وقد ألغي بعد سقوط العهد الملكي، وبأثرها ألقت الحكومة القبض على عدد من أعضائه، وأصدرت أمر حظره، على الرغم من عدم إجازته.

اعتمد نشوء فرع حزب التحرير بالعراق على العائدين من الأردن، وأعضاء من جمعية (الآداب الإسلامية) و(الشبان المسلمين) والإخوان المسلمين ممَنْ لا يجد جدوى من طريق الإصلاح والعمل التربوي، وتم الاتصال بالشَّيخ عبد العزيز البدري، إلا أنه قرر السفر إلى الأردن واللقاء بزعامة الحزب وجهاً لوجه، حيث رئيس الحزب

---

183 خالص، ذاكرة الورق.. ستون عاماً مِن تاريخ العِراق الحديث 1 ص 610.

184 دان، العراق في عهد عبد الكريم قاسم 1 ص 382.

185 المصدر نفسه.

الشَّيخ تقي الدِّين النبهاني. وبعد أن أمضى شهراً من الزمن هناك عاد إلى بغداد عضواً رسمياً وقيادياً في الحزب.

وسرعان ما تقدموا بطلب الإجازة، وأصبح الشَّيخ البدري رئيساً لفرع الحزب العراقي، وعضواً في أمانته العامة إلى جنب مؤسسه الشَّيخ النبهاني، وظل على ذلك الحال حتى اختلف مع الحزب العام 1956 وقرر اعتزاله. وكان السبب هو السبب نفسه الذي انشقت به جماعة التحرير عن الإخوان المسلمين، وهو اليأس من قيام دولة إسلامية. فمن تعاليم الحزب (بغية العمل لإعادة دولة الخلافة الإسلامية إلى الوجود، حتى يعود الحكم بما أنزل الله)[186].

ولا نظن أن الشَّيخ البدري سيستقر سياسياً على نموذج الدَّولة العثمانية، كدولة إسلامية، مع ما فيها من استبداد والتزام شكلي بالشريعة الدِّينية بالنسبة للسلطان وأركانه حكمه. تلك الدَّولة التي ينشدها جماعة حزب التحرير ويُذكر باحتفالات كبرى بذكرى سقوطها (1924). وهي على ما يبدو فكرة طوباوية، وذلك لاستحالة إعادة عجلة الزمن إلى الوراء مثلما يريد حزب التحرير، وقد حدد كراسهم التعريفي جهازها بالآتي: الخليفة، معاون التفويض، معاون التنفيذ، أمير الجهاد، الولاة، القضاة، الجهاز الإداري لمصالح الدَّولة، مجلس الأمة، غير المنتخب لعدم إيمان الحزب بالدِّيمقراطية كونها من لدن الكفر، ثم الجيش[187].

186 حزب التحرير، كراس 1985 ص 2.

187 المصدر نفسه، ص 32.

لم يستمر الشَّيخ عبد العزيز البدري مع حزب التحرير، ولخص رأيه إزاء السُّلطة بما ورد في رسالة مؤسسه ومشرفه العام الشَّيخ تقي الدِّين النبهاني إلى الشباب، أنه (اقتصرت معارضته لحكام الجور على البيانات، التي تنتقد أفعالهم وسياساتهم، دون اللجوء إلى أي أسلوب عملي لإقصائهم عن السُّلطة بسبب ظهور جورهم). وحسب الآلوسي: إن الحزب اعتبر (الطاعة فرض على المسلمين للحاكم ولو ظلم، ولو أكل الحقوق، ما لم يأمر بمعصية، وما لم يظهر الكفر البواح... الجهاد فرض تحت راية الحاكم الفاسق)[188].

لقد توصل الشَّيخ إلى قناعة عبر عنها الآلوسي بالقول: إن حزب التحرير (تحول أو كاد أن يتحول إلى فرقة كلامية جدلية إن لم يتحول إلى جماعة خيالية تواكلية بدلاً من أن يكون حزباً سياسياً، يمارس الأساليب العملية)[189]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحزب نفسه لم يعد يستوعب نشاط الشَّيخ، وهو في رئاسته، في مطلب الخروج من العمل الفكري والتنظيمي إلى المشاركات السِّياسية الحادة، والجالبة للأنظار والسريعة التأثير مثل المشاركة في الاضرابات والمظاهرات، حتى (أصبح أكثر شهرة من الحزب، الذي ينتمي إليه ويتولى قيادته بالعراق، بمعنى أن الحزب أصبح متخلفاً عنه)[190].

---

188 الآلوسي، صدام حسين بين إسلامية المواقف، ص 69، 75.

189 الآلوسي، عبد العزيز البدري العالم المجاهد، ص 69.

190 المصدر نفسه، ص 70.

وبهذا ابتعد الشَّيخ البدري عن الحزب من دون أن يترك العمل الإسلامي ككل، ولكن، بالنسبة له، خارج حزب التحرير وجماعة الإخوان المسلمين لا يبدو العمل الحركي، بين الإسلام السُنَّي، مجدياً، إنما ظل يتحرك هنا وهناك، حتى تقدم إلى تأسيس كيان خاص به هو (الكتلة الإسلامية)، والتي سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

وحزب التحرير، الذي لم يعد له حضور ملحوظ على الساحة العراقية، بعد ترك الشَّيخ عبد العزيز البدري العمل فيه، ما زال يرفع على الساحة العربية والأوروبية شعاره القديم، إعادة الخلافة الإسلامية.

فبين حين وآخر، قبل الرقابة والخطر من العمل الإسلامي السِّياسي ببريطانيا، تلحظ إعلانات لصقت على أعمدة الشوارع والجدران، موقعة باسم (حزب التحرير) مبشَّرة بالخلافة الإسلامية، أو تجد ملتحياً يقف بركن حديقة (الهايدبارك)، في أيام الآحاد، ويخطب ويوزع كتيِّبات ومنشورات، لا تجد بينها وبين الزمن، وأنت المسلم العربي القادم من الشرق الأوسط، أي تجاذب وتفاعل، فكيف بالغربي المسيحي أو اللاديني؟!

ولا يُعدم الحزب ككل من برنامج لعمله نحو الهدف الأعلى، وهو إعادة أو تأسيس الخلافة الإسلامية، بعد سقوطها باستانبول (1924)، عبر المراحل الآتية، تلك التي أقرها مؤسسه الشَّيخ النبهاني.

وهي: مرحلة التثقيف للإعداد الحزبي، ومرحلة: التفاعل مع الأمة، وبعدها تأتي مرحلة الدَّولة، والمراحل، حسب ما حددها المؤسس، لا تتعدى جميعاً الثلاثة عشر عاماً، وهي فترة الدعوة النَّبوية السرية بمكة[191]. انتهت الثلاثة عشر عاماً، ومضاعفات مثلها، والحلم بالخلافة الإسلامية ما زال حيًّاً في مخيلة الناشطين في الحزب، ويبدو أن الشَّيخ عبد العزيز البدري، والفرع العراقي عامةً، كشفوا عدم جدوى الانتظار، فتحولوا إلى تنظيم آخر.

وحسب تقارير للشرطة السِّرية العراقية في الخمسينيات، أصبحت بيد النَّاس بعد اجتياح الدَّوائر الأمنية، في الأيام الأولى مِن احتلال بغداد، أن بريد الحزب كان يصل إلى العراق مِن إمارة الكويت، ومِن هناك يُرسل إلى شخصيات عِراقية، سُنَّة وشيعة، وكان يركز فيها على قضية فلسطين واللاجئين الفلسطينيين، وضد طرح القضية في الأمم المتحدة، على اعتبر أنها قضية سياسية عسكرية وليست قضية لاجئين وتعويضات عن أراضٍ استولت عليها إسرائيل(1948)، بل فيها فرض الجهاد على المسلمين لإنقاذها، هذا ما ورد في بيان الحزب، والمرسل من الكويت، ومن دوائر بريد مختلفة بحدود العام 1957، فقد جاء في رسالة أمنية رقم (19) داخلها نشرة الحزب وملحق يتضمن حكم الإسلام في الشِّراء بالتقسيط، مِن الذين بعثت إليهم الرِّسالة

---

191 أحمد مبارك البغدادي، حزب التحرير رؤية مستقبلية، كتاب المسبار، حزب التحرير، أغسطس/آب 2007 ص 15. عن النبهاني، التكتل الحزبي، ص 30-36.

عالم الدين الشيعي المعروف السيِّد علي بحر العلوم (ت 1960)، وباحث الاجتماع المعروف علي الوردي (ت: 1995)، ونجل السيِّد محمد رضا الحكيم (ت: 1991)، وشخصيات كردية مثل معروف البرزنجي بكركوك وغيرهم العديد[192]. تنبيك هذه الرسالة عن تعدد نشاطات الحزب، وقضيته الأساسية آنذاك بعد الخلافة فلسطين، وقد وقعت الرِّسالة باسم الحزب ومقره بالقدس، مع علمنا أن له فرع عراقي، لكن على ما يبدو حاول الحفاظ على سريته، وإبعاد عين السُّلطة عنه، وإلا لماذا يبعث الحزب رسائله عبر الكويت وله فرع ببغداد!

أخيراً، قيل إنه بعد سقوط النظام (أبريل 2003) دخل جماعة، مع مَنْ دخل من القوى كافة، أو من الموجودين بالأصل داخل العراق، وأبدوا الهمة لإعادة تأسيس الحزب بفرعه العراقي، لكن لم تسفر تلك الهمة عن شيء يُذكر، أو نشاط ملموس، فالزمن غير الزمن، والدعوة إلى الخلافة لا تغري أحداً! وعلى ما يبدو أن حزب التَّحرير، كونه تنظيماً دولياً، يعمل في العديد مِن الحالات عن طريق الخلايا النَّائمة، فمثلما سبت بالعِراق وظهر بعد سقوط النِّظام 2003، لكن لم يوفق في خلق تنظيم يُعتد به. ونراه يظهر بتونس بعد سقوط نظامها السَّابق في 14 يناير (كانون الثَّاني) 2011 فقد ظهرت جماعة التحرير، وهي محسوبة على السَّلفية بشكل مِن الأشكال، براياتها

192 بغداد، الشرطة السرية، حزب التحرير، رقم الإضبارة 5998 لدي صورة طبق الأصل مِن الرسالة، بحدود 1957.

وشعراتها مِن أجل الحكم بما أنزل الله، مع أن أحد قيادي الحزب ينفي أنهم يسعون إلى أسلمة المجتمع أو إعلان دولة دينية، وكان فرع التَّحرير بتونس تأسس العام 1983 في عهد الرئيس الحبيب بو رقيبة (ت: 2000)[193].

الكتلة الإسلامية

تعد محاولة (حزب التحرير) القصيرة بالعراق، واحدة من محاولات العمل السِّياسي الدِّيني الإسلامي المشترك بين السُّنَّة والشِّيعة، وبعدها تشكلت (الحركة الإسلامية) العام 1959 ، كتنظيم إسلامي عام، غير متمذهب على الرغم من كيانه وطابعه السُّنِّي الذي تفرضه حالة المجتمع، إلا أنه مفتوح من حيث المبدأ، ولعلَّ ذلك ما تظاهر به أو يعنيه كل حزب إسلامي، لكن لا يتم الدخول إلا بشروط الحزب، وبما أنه لا يوجد إسلام مجرد، إنما لابد أن يُقدم عن طريق أُصول وفروع مذهب محدد، فلا يمكن وجود حزب إسلامي خالٍ من انتماء مذهبي.

193 تقرير مجدي الورفلي: حزب التحرير يثير مخاوف علمانيّي تونس من المد السّلفي، موقع إيلاف 23 فبراير (شباط) 2011 على الرابط:
http://www.elaph.com/Web/news/2011/2/634077.html

يبرز اسم الشَّيخ عبد العزيز البدري[194] في تأسيس الحركة الإسلامية، عندما اجتمع حوله عدد من الشباب الطالبين عونه لتأسيس كيان إسلامي سياسي، وقد عُرض منهاج هذا الكيان على مفتي القُدس الحاج محمد أمين الحسيني[195]، المقيم بلبنان حينها. وما أن تأسست

---

194 ولد 1929 بسامراء، ودرس العلوم الدِّينية ببغداد، ثم تولى الوعظ والإرشاد بمساجد بغداد، احتجز أيام الزَّعيم عبد الكريم قاسم بسبب جرأته على السُّلطة، ثم اعتقل أيام عبد السَّلام وعبد الرَّحمن عارف، وبعد مجيء البعث إلى السُّلطة اعتقل وسلمت جثته إلى ذويه في 25 حزيران (يونيو) 1969. وردت في سيرته التي كتبها المستشار عبد العقيل مبالغات منها أنه قاد لتظاهرة عند إعدام الطبقجلي وصحبه في أيلول (سبتمبر) 1959 بأربعين ألف متظاهر(مِنْ أعلام الحركة والدعوة الإسلامية، ص 626)، وهنا يصعب التحقق مِن الرَّقم إن كانت هناك تظاهرة مثلاً. وهذه المبالغة ليست عند العقيل تجاه رفاقه الإخوانيين تجدها عند مؤرخي أو موثقي الحركات السياسية عامة مِن دون استثناء، وبهذا تضيع الحقائق.

195 مفتي القدس، واشتهر بالإمام الأكبر، وظهر، حسب تحقيقات رسمية عراقية، أن له دوراً بأحداث الفرهود ضد اليهود (1941) وطُرد من العراق. ولمعروف الرصافي (ت 1945) على خلاف من ذُكر من مناقب للمفتي رأي به، إذ تعرف عليه وهو لايزال طالباً بمدرسة القدس التي كان يُدرس فيها (1919-1921). ويومها كان المفتي هاوياً لفن لتمثيل. ثم دخل الأزهر بالقاهرة لستة أشهر فقط، ولما توفي أخوه المفتي الأكبر سعى جماعة من أهل القدس لتعيين أمين، كي لا يذهب منصب الإفتاء عن عائلة آل الحسيني، ومن قبل تعامل مع البوليس الإنكليزي بالقدس.

ومما قاله الرصافي فيه، وهو يرد على نوري السعيد (قتل 1958) عند إشادته بفتاوى الحسيني في الحرب العالمية الأولى (1914)، وإرساله للمتطوعين دعماً للثورة العربية الكبرى بقيادة الهاشميين: «لم تكلفه عملية إجلاسه على منصب الإفتاء أكثر من إلباسه جُبَّة وتعميمه عمامة. فمِن هذا نعلم أن المفتي الأكبر لم يكن، عندما وقعت الحرب العامة 1914، لا مفتياً أكبر ولا أصغر، ولم يكن إلا دون العشرين من العمر، فكيف ومتى كان يمد ثوار العرب في الحجاز بالجنود المتطوعين» (الرصافي، الرِّسالة العراقية، ص 184 وما بعدها). أما الإخواني المستشار عبد العقيل فيقول ممجداً: أنه أقام بالأزهر ودار الدَّعوة والإرشاد(التي أنشأها محمد رشيد رضا) بالقاهرة لعدة سنين، وتخرج ضابط إحتياط باستانبول، وانه كان مناضلاً ضد بريطانيا، ونست له اضطرابات بيسان 1920، وطارده الإنكليز إلى دمشق، ثم عاد إلى القدس، وبعد وفاة أخيه كان الحسيني مفتي القدس السنة 1922 انتخب بدلاً عنه بلقب مفتي فلسطين الأكبر(مِنْ أعلام الحركة الإسلامية، ص 125) وبين الروايتين بون شاسع، ويبقى الرَّصافي شاهد عيان، حيث كان يُدري الحسيني بمدرسة القدس آنذاك.

الحركة الإسلامية حتى عرض مجموعة من ضباط الجيش العراقي المتدينين على الشَّيخ البدري رئاسة تنظيمهم الإسلامي داخل الجيش؛ وهنا توحد التنظيمان، المدني والعسكري، والعامل المشترك بينهما هو الشَّيخ البدري، فظهر تنظيم جديد تحت اسم (الكتلة الإسلامية)، يلبي طموح الشَّيخ في تثقيف الأمة والتأثير السريع لاستلام السُّلطة عبر المؤسسة العسكرية، (على أن يبقى كل تنظيم محافظاً على كيانه التنظيمي فقط، مع التنسيق الكامل، وعمل كل منهما في مجاله)[196]، ومعلوم أن للعمل داخل الجيش خصوصيته ومخاطره ومسؤوليته.

حُكم الإسلام في الاشتراكية

ألف زعيم الكتلة البدري كتاب (حُكم الإسلام في الاشتراكية) العام 1962، حيث كتب مقدمة طبعته الأولى في 13 آب (أغسطس) 1962، وقد جمع فيه الرَّد على الشُّيوعيين والقوميين والبعثيين في آن واحد، ولا يُعد أنه موجه ضد حكم عبد الكريم قاسم، ففي حينها كان الحزب الشُّيوعي العراقي ممنوعاً مِن العمل العلني، لا في الإعلام، حيث أغلقت جريدته (اتحاد الشَّعب)، ولا في واجهة الدَّولة رسمياً، ثم أعاد طباعته العام 1965 أي في أوج تطبيق القوانين الاشتراكية تيمناً بمصر النَّاصرية، وبهذا يُحسب الكتاب موجهاً ضد الحكم القومي الاشتراكي، في زمن عبد السَّلام محمد عارف، أي تحريمها مهما

---

196 الآلوسي، عبد العزيز البدري، العالم المجاهد الشهيد، ص 75.

كانت أشكالها عربية أو غير عربية. أعاد طباعته، حسب قوله إثناء (الاستراحة الإجبارية)، وعني به اعتقاله بمنزله لمدة أقل مِنْ الشَّهر (1964)، بعد اعتقال بدائرة الأمن العام لمدة أسبوع[197].

قدم للكتاب الفقيه أمجد الزَّهاوي، الذَّي اعتبر الاشتراكية في مواجهة الدِّين الإسلامي، وبذلك تكون بمنزلة الكفر، قال الزَّهاوي: (فإن الاشتراكية بجميع أشكالها مضادة للدِّين الإسلامي الحنيف، المبنية أحكامه على احترام الملكية... لما شاع القول بوجود نوع مِن الاشتراكية في الإسلام، وذلك تَقوُّل على الإسلام، ومدخل إلى المروق منه)[198]. أيد الكتاب أكثر مِنْ شخصية إسلامية، فكتب وهبي الألباني، أحد فقهاء دمشق، قائلاً: (إن الإسلام مِنْ عند الله وإن الاشتراكية مِنْ عند الإنسان، الإسلام يقم على العقيدة والاشتراكية تقوم على المادة)[199]. ونسى الألباني أن الاقتصاد مادة بالأساس، والاشتراكية مذهب اقتصادي، أما الدِّين فعقيدة وهذا صحيح.

كما علقت عليه ابنة الشيخ الزَّهاوي الحاجة نهال، باسم جمعية (الأخت المسلمة في العراق)، قائلةً: (وفي الحق إن القول بالاشتراكية الإسلامية أو الاشتراكية في الإسلام ليؤذي سمع كلُ

197 البدري، حُكم الاشتراكية في الإسلام، المقدمة.

198 المصدر نفسه، ص 9-10.

199 المصدر نفسه، ص21.

مسلم مخلص)[200]. وقرظه أيضاً المحامي والدَّاعية الإسلامي محمد الآلوسي معتبراً الاشتراكية (لوثة)، وأن قيمة الكتاب في جرأته لا في مادته[201].

يعتبر البدري مُزدك (ذلك الرَّجل الإباحي الملحد) مؤسساً للاشتراكية، ومعتمداً في ذلك على ما أورده صحاب (الملل والنِّحل) الشَّهرستاني (ت: 548 هـ)، مكرراً سذاجة ما وصف به الشهرستاني هؤلاء بأنهم يشتركون في النِّساء والأموال، ثم تبناها (ماركس اليهودي وأنجلز الإنكليزي)[202]، ومعلوم أن فردريك أنجلز (ت: 1895) كان ألمانياً. قسم البدري في كتابه الاشتراكيين إلى عالميين ومحليين، وأن الأخيرين آمنوا فيها (كنظام اقتصادي فقط، فإن جوابهم لهذه المسألة كجواب الرأسماليين)[203].

وكان اعتراضه على الاشتراكية أنها نظام مستورد، ولا يجوز للمسلمين استيراد نظام، وأن الاشتراكية العربية هي عقيدة الاشتراكية العلمية نفسها، وليس للعرب عقيدة سوى عقيدة الإسلام[204]. يرجع ناقداً اشتراكية البعث وما جاء في كتاب ميشيل عفلق (ت: 1989) (في

200 المصدر نفسه، ص 23.

201 المصدر نفسه، ص 28.

202 المصدر نفسه، ص 55 -56.

203 المصدر نفسه، ص 38.

204 المصدر نفسه، ص 50.

سبيل البعث). والبدري يأخذ بالقاعدة الفقهية: (درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح)، عندما يفترض أن في تسمية الاتجاه الاقتصادي بالاشتراكية مصلحة، لكن لماذا لا يُسمى بالاتجاه الإسلامي وحده من دون لفظة (الاشتراكية)، مثلما يقولون: (اشتراكية إسلامية)[205].

على أية حال، كان الكتاب استفزازياً، ضد الفترة القومية (1963 -1968)، وتطبيقات التأميم، التي كانت في عهد عبد السّلام عارف، وأبرز مدبريها كان القومي، وأكثر استفزازية لنظام البعث في ما بعد. وفي هذا الكتاب يستبعد البدري غير المسلمين من الحقوق السياسية كالولاية معتبراً شأن ذلك شأن استبعاد المرأة من الولاية، فلا تجوز ولاية غير المسلم ولا ولاية غير الرَّجل، مستشهداً بالحديث: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً)[206]. وهنا يركز الشَّيخ البدري على الحرف أو الأداة (لن) بأنها أداة نفي الأبدية[207]. وأقول متسائلاً: هلا توقف الشَّيخ عن هذه الأداة عندما جاءت في الآية لتمنع الزَّواج مِنْ أكثر بواحدة: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ) (النِّساء: 129)! وماذا يعتبر ما جاء به أبو الحسن الماوردي (ت 450 هـ)، وهو الإمام

---

205 المصدر نفسه، ص 53.

206 الكتب الستة، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كُتب النَّبي إلى كسرى وقيصر، ص 363 رقم الحديث: 4425 وجامع الترمذي، باب الفتن، ص1880 الحديث رقم: 2262. راجع مناقشة هذا الحديث وإبطال الطبري له في ثنائه على المقصودة بالحديث الملكة بوران بنت كسرى: كتابنا، بعد إذن الفقيه، فصل النِّساء الشَّرائع والأحكام، بيروت: دار مدارك 2011.

207 البدري، حُكم الاشتراكية في الإسلام، ص 65.

وقاضي القضاة في عصره بشأن ولاية غير المسلم، الكتابي، لوزارة التنفيذ. قال: (يجوز أن يكون هذا الوزير من أهل الذِّمة، وإن لم يجز أن يكون وزير التَّفويض منهم)[208].

لعل الوحيد، حسب علمي، الذَّي ردَّ على الكتاب (في طبعته الأولى 1962)، في إحدى الصحف البغدادية غير متفق معه، وبالأخص على مقدمة الشَّيخ الزَّهاوي، هو الشَّيخ جلال الحنفي (ت: 2006) إمام جامع الخلفاء وسط بغداد، ونشر رده وذلك عندما حكم الزَّهاوي على المعتقد بالاشتراكية بالمروق مِن الإسلام. معتبراً ذلك نصاً جائراً، فإذا كان شارب الخمر ليس بكافر، فكيف يحكم على مطبق الاشتراكية بالمروق، أي الكفر، لأنه أمم ملكيات كبيرة جمعها أصحابها مِن السحت والغش والاختلاس والمقامرة، (أفكانت هذه الأموال أكرم على الله مِن الدِّماء والحقوق والحرمات المهمة، التي يعتبر مقارنها مارقاً مِن الدِّين)[209]؟

ويعلق البدري على شرعية الاشتراكية عند الحنفي بالقول: (الغرض مِن الزَّكاة هو سد حاجة المحتاجين، وإن هذه الحاجة تزول عن طريق الاستيلاء على الأموال فلا يبقى داعياً للزَّكاة متشبثاً بالحديث الشَّريف، الذَّي ذكره فقال: فإن الزَّكاة إنما فرضت لتنحو

---

208 الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 27.

209 البدري، حُكم الاشتراكية في الإسلام، ص 155.

بالفقراء نحو الرَّخاء وخفض العيش...)[210]. يرفض البدري، في كتابه المذكور، مع رفضه للاشتراكية، الدِّيمقراطية أيضاً، فهي (مخالفة لأحكام الإسلام، ومناقضة له، بل ليس لها أي واقع حتى عند الدِّيمقراطيين أنفسهم)[211]. فالتشريع ليس تشريع البرلمان إنما هو تشريع الله ورسوله، أي ما جاء في القرآن والسُّنَّة النَّبوية! فحسب عبارته (إن في الإسلام للفرد حقوقاً لا حريات)[212].

ألف البدري كتابه (حكم الإسلام في الاشتراكية) (1962) بعد تأليف محمد باقر الصَّدر(إعدام 1980) كتابه (فلسفتنا) بحوالى ثلاث سنوات، وألف الصَّدر كتابه (اقتصادنا) بعد كتاب البدري بعشر سنوات (1972)، مع اختلاف طبيعة الكتابين، مِن حيث الموسوعية، لكن الهدف واحد هو مواجهة مد الاشتراكية عن طريق الإسلام السِّياسي، أشرت إلى ذلك لوحدة الغرض، لكني لم ألحظ إشارة أحدهما إلى الآخر، ويستبعد أنهما لم يطلعا على تأليف بعضهما بعضاً.

هذا وللبدري كتاب آخر لا يقل استفزازية من سابقه وهو (الإسلام بين العلماء والحكام) (1966)، وحسب المستشار العقيل أنه ألفه لصد العلماء والفقهاء الذِّين أكثر عليه بالنصيحة في أن لا علاقة

---

210 المصدر نفسه، ص 162.

211 المصدر نفسه، ص 137.

212 المصدر نفسه، ص 144.

للدِّين بالسِّياسة[213]، ومجمله ضد طاعة الحاكم، وإنهم يفسرون آية التَّهلكة على مزاجاتهم[214]. ذاكراً فيه محن العديد مِن العلماء والأئمة في العصور الإسلامية المختلفة. لكن العقيل ربط ذلك بالموقف مِن عبد الكريم قاسم، مع أن تأليف الكتاب كان في زمن متأخر.

وصلة بكتاب (حُكم الإسلام في الاشتراكية)، عندما وصل المفكر القومي العربي نديم البيطار إلى بغداد، وكانت الاستعدادات جارية لإلقاء محاضرته، في نادي الاقتصاديين، وفي عهد عبد الرحمن عارف (1966-1968). وقيل طلب البدري مِن المسؤولين منع المحاضرة، ولما وجد طلبه غير مجاب طلب أن تكون مناظرة معه لا محاضرة، وإما أن يُسمح له إلقاء محاضرة في القاعة نفسها، أو السَّماح له بمناظرة المحاضر، ولما لم يحصل ذلك، توجه البدري راجلاً بعد الصَّلاة يرافقه مجموعة مِن الإسلاميين، وهو يهتف: الله أكبر، فألغيت المحاضرة، وغادر البيطار بغداد[215]. وقيل اُعتقل البدري، لكنه اعتقال بعده إفراج سريع، غير أن هذا السلوك حسابه عسير عند مَنْ سيتغلب على السُّلطة بعد حين.

فما هي إلا سنوات حتى عاد البعثيون إلى دفة السُّلطة (17

---

213 العقيل، مِنْ أعلام الحركة والدَّعوة الإسلامية، ص 627. راجع الكتاب: الإسلام بين العلماء والحكام، المدينة المنورة: المكتبة العلمية 1966.

214 راجع: البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، ص 25، و65.

215 السَّامرائي، مذكرات، ص 286. العقيل، مِنْ أعلام الحركة الإسلامية، ص 628- 629.

تموز/يوليو 1968)، وأُعدم مؤسس التّنظيم العسكري العميد محمد فرج الجاسم السّامرائي (1970)، وأحد المؤسسين الرّائد عبد السّتار العبودي، وأمين التّنظيم، في ما بعد، عبد الغني شندالة، بعد إعدام زعيم التنظيم الشّيخ عبد العزيز البدري (1969). ومن قبل قُتل من تنظيم الكتلة الإسلامية عبد الرّزاق شندالة، والشّيخ هاشم عبد السّلام، ويُذكر أن الاثنين قُتلا العام 1959 إبان أحداث ثورة الشّواف بالموصل[216].

يذكر نعمان السّامرائي أنه ألقتى البدري بالرياض، وهو يمر إلى مكة حاجاً في موسم 1968، أي بعد استيلاء حزب البعث على السُّلطة، ونصحه أن يحذر مما سيحصل له قائلاً: (يا شيخ نحن نعلم شجاعتك، ونعلم وتعلم دموية البعث، فالبعث ليس كنظام عبد الكريم قاسم، الذي يفرض عليك الإقامة في البيت، اليوم لا يعرف البعث سوى الموت)[217]. بيد أن البدري كان مصراً على المواجهة فكان جوابه: (الآجال بيد الله، ولن يخيفني البعث ولا سواه)[218].

من أهداف الكتلة الإسلامية، حسب أحد نشطائها: تحرير البلاد الإسلامية من النُّفوذ (غير الإسلامي، فكري أو عملي)[219].

---

216 الآلوسي، عبد العزيز البدري، العالم المجاهد الشهيد، ص 75.

217 السّامرائي، مذكرات، ص 288.

218 المصدر نفسه.

219 الآلوسي، صدام حسين بين إسلامية المواقف، ص 171.

ومن أهداف هذه الكتلة المثالية، إن صحت العبارة: إقامة دولة إسلامية (لجميع مسلمي العالم)، على أساس أن الأمة الإسلامية هي (أمة واحدة)! وأن كل ما يتعارض مع وحدة الإسلام ما هو إلا جاهلية مرفوضة! وأن تحقيق هذا الهدف يأتي عبر الكفاح السِّياسي والفكري، واعتبار كل المسلمين أعضاء طبيعيين في الحركة الإسلامية!

كذلك لا تستبعد الكتلة ممارسة الانقلاب لاستلام السُّلطة، كخطوة متقدمة للدولة الإسلامية العالمية، مثلما كان يفكر مؤسسها الشَّيخ عبد العزيز البدري. على اعتبار أن الواقع المعاش بالبلدان الإسلامية ليس إسلامياً، بسبب (عدم تحكيم شرع الله). ومعلوم أن هذا الطرح هو طرح الإخوان المسلمين، الممثل بالحاكمية، التي روَّادها المعاصرون: سيد قطب (أُعدم 1966)، وأبو الأعلى المودودي (ت: 1979)، بعد طرحها قديماً بهتاف بسيط من قِبل الخوارج، في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

حاولت (الكتلة الإسلامية) جمع المذهبين، الشِّيعة والسُّنَّة، في كيانها، لكن بحجة توفيقية، بعيدة عن أصل الخلاف، مفادها أن (جوهر التَّشيع، هو رفع الواقع الإسلامي، كما أن جوهر التسُنَّن هو المحافظة على الواقع الإسلامي والدفاع عنه)[220].

220 الآلوسي، صدام حسين بين إسلامية المواقف، ص 171-172.

وكم تبدو الفكرة بسيطة، عندما تصاغ بهذا الشكل، وكأنه اتفاق أو توافق في مناظرة كلامية، متجاوزة قضية عصت على الأولين والتالين، ألا إنها قضية الإمامة، والاختلاف في الأُصول، ثم الاختلاف في الفروع والفروض، بداية من رفع الأذان إلى نظام الصَّلاة، والاختلاف بتحريمات الطعام، مع الاتفاق بتحريم الثلاثة: الميتة والدم ولحم الخنزير، إلى فصل المسجد، والمقبرة، وحتى الأسماء: هذا يستحسن ما عُبد من الأسماء للأئمة والسادة والأنبياء، وذاك يستكرهها، وهناك مَنْ يُحرمها! ناهيك من خرافة الهدف في قيام دولة لمسلمي العالم، من دون حساب بقية الفروق: القومية، والاجتماعية، والبيئية، والتَّاريخية.. وسواها! ولا أخذ مستجدات الزمن بنظر الاعتبار.

وعند وضع هدفها في إقامة دولة إسلامية دينية، لم تضع الكتلة الإسلامية حساباً لبقية الأديان، وما يتعلق بشكل الدَّولة من الناحية المذهبية والاختلاف الجوهري حول مسألة الإمامة بالذات. فتراها تعترف أن العراق مثلاً: (يتكون من سلالات متعددة، تنتمي في أكثريتها إلى الإسلام، وقد ساهموا جميعاً في صنع تاريخه وحضارته. وأن هذه الحقيقة تفرض أن يكونوا جميعاً شركاء متساوين في الحقوق والواجبات العامة، وإدارة شؤون الدَّولة، وضمان أمن البلاد، ووحدتها باعتبارهم أبناء أمة واحدة من دون تمييز)[221].

---

221 المصدر نفسه.

وإن جعلت الكتلة غير المسلمين من أمة الإسلام، على الحقيقة أو المجاز، فهي لا تضع لغير الإسلاميين من المسلمين نصيباً في إدارة تلك الدَّولة، المنصوبة في الخيال، فالكتلة (تحترم الرأي المخالف ما دام إسلامياً، آخذاً بالقاعدة المشهورة: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب)[222].

تذكرنا مفاهيم الكتلة الإسلامية، والتي ربما صاغ منهاجها شخص واحد لا يريد أن يرى الدنيا خارج عتبة تنظيمه أو طموحه الفكري والحركي، بمسودة دستور أولية، صاغها أحد رجال الدِّين، واشترط في عضو البرلمان، أو مجلس الأمة، لدولة مثل العراق: (أن يكون مسلماً، ملتزماً بظاهر الشريعة)[223]. هذا من غير أن يُصار إلى غير الشريعة الإسلامية (إلا بعدم وجود نص أو حكم إسلامي).

لقد اشترط في النائب أن يكون مسلماً وملتزماً، مع أنه يعرف بوجود غير المسلمين بالعراق، وأن يمارس شعائره الدِّينية، من دون تعارض (مع صريح أحكام الله والشريعة الإسلامية، دين الغالبية العراقية، وأخلاقها وآدابها)[224]. وهنا، سواء كان دستور (الكتلة الإسلامية) أم دستور (جمعية التضامن الإسلامي) ومرشدها الشَّيخ باقر النَّاصري، يظهرون حقوق بقية المواطنين من غير المسلمين حقوقاً

222 المصدر نفسه، ص 173، والقول للإمام الشافعي.

223 الشَّيخ باقر الناصري، مسودة أولية مقترحة لدستور دائم، الناصرية 2004 ص 19.

224 المصدر نفسه، ص 5.

عبادية حسب، أما في السياسة وإدارة البلاد فليس لهم هذا، بل ليس لغير الملتزمين بظاهر الشريعة، أي الذين هم خارج الإسلاميين.

نعود ونقرأ في تاريخ (الكتلة الإسلامية) أنها تأسست العام 1963 بعد التوحد بين الحركة الإسلامية المدنية والجماعة العسكرية، بجهود وإشراف الشَّيخ عبد العزيز البدري، والعميد محمد فرج الجاسم[225]. في ما بعد حاول الشَّيخ محمد الآلوسي إعادة الروح فيها، لكن، حسب ما اقتضته الظروف من دون جناحها العسكري لاستحالة ذلك، وقيل (اتخذت من السعودية مقراً لها)[226]. وحاولت أن تجد لها فرعاً بلندن، بشخص صاحب مكتبة الحكمة حازم السامرائي[227].

يغلب على الظن أن ما ورد من منهاج للكتلة الإسلامية هو من صياغة باعثها مرة أخرى الشَّيخ الآلوسي؛ وكان الأخير معارضاً للنظام السابق، وصرح ضد ما عُرف بالحملة الإيمانية، التي أطلقها صدام حسين، لترميم سلطته واستيعاب المد الدِّيني، في التسعينيات من القرن المنصرم.

قال الآلوسي في تلك الحملة، مميزاً بينها وبين الصحوة الإسلامية: (دفاعاً عن الصحوة الإسلامية، التي أصبحت مطمع الطامعين من الطواغيت، محاولين احتواءها، وركوب موجتها،

---

225 الآلوسي، صدام حسين بين إسلامية المواقف، ص 173.

226 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 418.

227 حسب رسالة تكليف شخصية من محمد الآلوسي، زودني بصورة منها السَّيد حازم السامرائي.

واستثمارها لمصالح سياساتهم عن طريق بعض المتصدّين للعمل الإسلامي، وهي صحوة ما قامت أساساً إلا تعبيراً عن الكفر بالطاغوت، وولاء الله والرَّسول)[228].

كذلك كتب الآلوسي، ناعتاً حملة صدام الإيمانية بالتوبة المزعومة، وهي إن صحت العبارة تعد واحدة من فروع الفعل الدِّيني، فهناك ما يشير إلى تدين صدام خلال تلك الفترة، ويعدُّ تفكيره تفكيراً إسلامياً، لكن بطريقته وبزعامته بطبيعة الحال. قال واضعاً على صدام الشُّروط: إن هذه التوبة، التي هي من أولويات حملته الإيمانية تقتضي: الاعتراف الصريح بالأخطاء، والإقرار بالجرائم، والتوقف عن ممارسة الظلم وسفك الدماء، وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها، وأول هذه الحقوق (إعادة السُّلطة إلى الشعب)[229].

ونجد لدى الآلوسي انتقاداً لجماعة الإخوان المسلمين بالعراق، ولعلهم من خارج الحزب الإسلامي، لتعاونهم مع سلطات البعث، وذلك أنهم سارعوا (من دون تبصر للمشاركة في حكومة البعث، التي تشكلت على إثر الانقلاب ضد عبد الرحمن عارف، شاركت بوزير واحد، الذي أُنيطت به وزارة الأوقاف)[230].

---

228 الآلوسي، صدام حسين بين إسلامية المواقف، ص 6.

229 المصدر نفسه، ص 41-42.

230 المصدر نفسه، ص 64.

كذلك انتقد الآلوسي مواقف بقية الإسلاميين، من غير العراقيين، إزاء دولة البعث. قال: (لقد احتج البعض بأن وقوف صدام في وجه إسرائيل موقف المواجهة، وتهديده لها بالحرب والتدمير، وصيرورته عدواً لها، ولِمَنْ ساندها، وساهم في وجودها، يبرر الوقوف إلى جانبه، والاستجابة لندائه، خصوصاً إذا كانت بصيغة الله أكبر، وحي على الجهاد)[231]. وهنا يقصد بطبيعة الحال دخول صدام الكويت، وموقف الإخوان المسلمين، وغيرهم من الإسلاميين والقوميين، من إسناده إثناء الحرب إعلامياً.

ختاماً، لم تنتشر الكتلة وتتوسع بقدر ما ظلت اسماً في المعارضة العراقية، ويبدو أنها انطفأت إثر إعدام شيخها وموجدها عبد العزيز البدري ورفاقه من العسكريين والمدنيين، الذي ظل يعتمد نهج المواجهة إزاء العهد الملكي، وعهد عبد الكريم قاسم، الذي حاوره وتودَّد له[232].

ثم عهد عبد السلام عارف، وعلى الرغم من مواجهات الشَّيخ البدري له بحدة وتشهير، مع ذلك كان يكتفى باعتقال مريح، أو بإقامة إجبارية قصيرة، من دون انقطاع عن الأجواء، حتى أتت النهاية على يد أمن سلطة البعث، حيث اعتقل، ثم سُلمت جثته لذويه في 26 حزيران (يونيو) 1969 بادعاء أنه مات حتف أنفه بالسكتة القلبية! مع تحذير السُّلطة من عدم الكشف عن الجنازة أو التشييع بموكب، كما

---

231 المصدر نفسه، ص 44-45.

232 الآلوسي، عبد العزيز البدري العالم المجاهد والشهيد، ص 77 وما بعدها.

جرت العادة في تعاملها مع المعدومين، إلا أن أخاه محمد البدري كشف عن وجه شقيقه قبل الدفن فشُوهد على جسده: (كسور في الأطراف، وكي بالنَّار، وجروح بآلات قاطعة...)[233].

اتخذت الكتلة الإسلامية، ممثلة بشخص الشَّيخ محمد الآلوسي، من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية مقاماً لها، ولخمولها طلبت الرياض، بعد تحرير الكويت 1991 (من الشَّيخ محمد الآلوسي... تنشيط حركة الكتلة الإسلامية، كتنظيم سُنِّي لموازنة نفوذ الأحزاب الشِّيعية)[234]. لكن الكتلة لم تتمكن من النَّشاط أكثر مما شاركت فيه، والأمر يعتمد على تحرك زعيمها الآلوسي، وهو رجل مُسن، لا يتحمل عبء الحراك السِّياسي، ولم يجد صدىً له بداخل العراق، فمَنْ يريد النشاط السِّياسي الدِّيني من أهل السُّنَّة فباب الحزب الإسلامي مفتوح.

شاركت الكتلة الإسلامية في عدة مؤتمرات واجتماعات للمعارضة العراقية، في (لجنة العمل المشترك) بدمشق، والتي تشكلت العام 1989، بعد انفتاح الإسلاميين على فصائل المعارضة الأُخر، مثلما سبقت الإشارة، وظهر اسمها على بيان اللجنة، الذي أسفر عن اجتماع ما بعد غزو الكويت، أي في 27 كانون الأول (ديسمبر) 1990، ممثلة بشخص الشَّيخ محمد الآلوسي[235].

233 المصدر نفسه، ص 199.

234 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 70.

235 المصدر نفسه، ص 68. الشمراني، صِراع الأضداد، ص 192.

وإذا لم يظهر اسم الكتلة بين الأحزاب والمنظمات التي شاركت في مؤتمر (بيروت) (1991) إلا أنها ساهمت في لجنة لتنشيط عمل المعارضة والإعداد لمؤتمر موسع، وكانت الكتلة عضواً في اللجنة التحضيرية، حضرت اجتماعات دمشق (كانون الثَّاني/ يناير 1991)[236]، ثم شاركت في مؤتمر (فيينا) ممثلة بأمينها الشَّيخ محمد الآلوسي، وفليح السامرائي، وندى السامرائي، وحازم السامرائي[237]، والأخير ممثلها بلندن، حسب ما تقدم. أما في مؤتمر (صلاح الدِّين) فمثلها فليح السامرائي[238]. إلا أنها قررت الانسحاب معترضةً على إقرار الفيدرالية، في هذا المؤتمر[239].

بعد هذا لم يظهر نشاط جدير بالذكر للكتلة الإسلامية، ولم تدب الحياة فيها، كبقية التنظيمات الدِّينية، بعد سقوط النظام، ولم يظهر لها نشاط عبر بيان أو رسالة، وأما باعثها أو مؤسسها الثَّاني الشَّيخ الآلوسي، بعد الشَّيخ عبد العزيز البدري، فما زال بعيداً من العراق، ولا يؤهله العمر لتحمل مشاق إعادة تنظيمها في أجواء العراق القائمة.

---

236 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 91.

237 المصدر نفسه، ص 108.

238 المصدر نفسه، ص 148.

239 المصدر نفسه، ص 135.

العلاقة بصالح سرية

هناك ما هو مخفي في تاريخ الكتلة الإسلامية، وهي صلة أحد أبرز أعضائها العميد محمد فرج السَّامرائي بمؤسس، إن صح التوصيف، الجهادية الإسلامية، وبطل إحدى الحوادث الجسام في تاريخ مصر، إلا وهو الفلسطيني صالح عبد الله سرية، فوجدنا مِن المفيد تسليط الضوء على قصة ارتباط سرية بالكتلة ومِن قبل بالإخوان المسلمين العراقيين، حيث بدأ إسلامه السِّياسي بفضل مؤسس حركة الإخوان محمد محمود الصَّواف، ولا يفوتنا القول إن الاتجاه الذَّي مثله الشَّيخ عبد العزيز البدري زعيم الكتلة الإسلامية، في الإسلام السِّياسي السُّنِّي، كان نهجاً خطيراً، يقوم على المغامرة والثورة.

اتصل سرية بمسؤول التَّنظيم العسكري الإسلامي، محمد فرج السَّامرائي، وخطط للانقلاب العسكري بالتنسيق مع آمر الحرس الجمهوري إبراهيم عبد الرحمن الداوود، إلا أن الأخير كان قد اتفق مع حزب البعث للقيام بالانقلاب، وحصل ذلك في 17 تموز 1968. وهنا ننقل عن ملف التحقيق مع صالح سرية (أعدم 1974) في قضية الكلية الفنية العسكرية بمصر قصة سرية مع الإخوان المسلمين بالعراق وصلته مع جماعة عبد العزيز البدري في (الكتلة الإسلامية) بعد تصفية الأخير.

ولد سرية بفلسطين، وأكمل المدرسة الابتدائية، ثم لجأت عائلته إلى العراق بعد نكبة 1948، أكمل المدرسة الثانوية بالعراق، ولم يستطع دخول الكلية بسبب أنه غير عراقي، فتوسط له مرشد الإخوان حينها محمد محمود الصَّواف، فقُبل بكلية الشريعة، وكان الصَّواف رئيساً لجمعية إنقاذ فلسطين، وبهذه الصِّلة انتمى صالح سرية لجماعة الإخوان، بحدود العام 1951، وانغمس في العمل مع الإخوان حتى صار من صفوف القيادة. ثم دخل كلية التربية، وحصل على شهادة الماجستير. وقام بالتخطيط لعملية سطو على شركة تجارية يمثلها يهودي عراقي بحي البنوك (ولعلها بشارع البنوك وكان يسمى شارع السموأل وسط بغداد)، ولقي دعم وتشجيع من مفتي القدس أمين الحسيني(ت 1974) حينها.

ظل سرية يدفع بالإخوان العراقيين للوثوب على السُّلطة كقادة وليسوا مشاركين مع حزب أو جماعة، ولهذا الغرض اتصل بالضابط محمد فرج جاسم السَّامرائي، الذي جمعه تنظيم واحد مع الشيخ عبد العزيز البدري، وكان فرج يعمل في وزارة الدِّفاع. وحينها أنشأ تنظيم فدائي باسم (جبهة التَّحرير الفلسطينية)، مع دخوله إلى الجيش الفلسطيني الذي أنشأه رئيس الوزراء ووزير الدِّفاع العراقي عبد الكريم قاسم، وحينها فاتح قيادة الإخوان في أمر اغتيال عبد الكريم والسيطرة على الحكم والقضاء على الشيوعيين. إلا أن مرشد الإخوان عبد الكريم زيدان رفض هذا الطلب.

وفي العام 1962 اتصل البعثيون بسرية للقيام بمحاولة انقلاب عسكري ضد عبد الكريم، لكنه رفض ذلك لأنه لا يريد للإخوان أن يكونوا مشاركين بل أراد لهم القيادة في التغيير. فاعتقل على أثرها عقب انقلاب 8 شباط 1963 القومي والبعثي، وظل في المعتقل حتى 1964. وحينها خطط لقتل ملك الأردن الحسين بن طلال (ت: 1999) وقلب نظام الحكم، وبعد الاتصال بالرئيس العراقي عبد السلام عارف رفض الأخير الفكرة، وظلت صلاته بعبد السلام جيدة حتى وصل عبره، العام 1965، إلى درجة وكيل كلية الهندسة التكنولوجية بجامعة بغداد.

ولما قرر الرَّحيل عن العراق زار الرئيس العراقي عبد الرَّحمن عارف (ت: 2007) مودعاً، ومرَّ بطريقه بآمر الحرس الجمهوري إبراهيم عبد الرَّحمن الداوود، فسره الأخير بأن هناك نية للانقلاب على الحكم، ويود مفاتحة الإخوان المسلمين لمشاركتهم، فاتصل سرية بالعميد محمد فرج السامرائي وتم الاتفاق على المشاركة، إلا أن الداوود اتفق مع حزب البعث ونُفذ الانقلاب في الليلة المتفق عليها نفسها. بعد نجاح الانقلاب عُين مرشد الإخوان عبد الكريم زيدان وزيراً في أول وزارة، فانقسم الإخوان إلى فريقين: جماعة يقودها زيدان وأخرى مناكفة لهم يمثلها محمد فرج السامرائي، وكانت النتيجة أن أُعدم الأخير صحبه الضباط، وكلهم مِن جماعة الإخوان[240].

---

240 سبق أن ذكرنا أن الضابط محمد فرج وجماعته العسكريين قد اتصلوا بعبد العزيز البدري، والأخير =

عاد سرية إلى العِراق ثانية في عهد حزب البعث، وظلت فكرة قلب نظام الحكم لصالح الإخوان المسلمين تراوده، حتى بعد إعدام الضباط الذين كانوا الأمل بحدوث مثل هذا الانقلاب، ولما علم أن الرئيس أحمد حسن البكر (ت: 1982) يرقد بالمستشفى (مدينة الطب حسب ما كتبه برزان التكريتي) عمل على اغتياله عن طريق ممرض كانت له صلة بالإخوان المسلمين، إلا أن سرية تراجع عن الفكرة لكن بعد أن وصل أمر التنفيذ في 31 آب (أغسطس) 1971 (241) لكنها فشلت، وغادر العِراق في اليوم نفسه، ثم وصل مصر وكان ما كان من أمره في حادث الكلية الفنية العسكرية بمصر 1974، والتي رام منه قتل الرئيس أنور السادات (قُتل 1981)، هذا وقد انتهى صالح سرية متحولاً من إسلام الإخوان السياسي إلى الإسلام الجهادي، ويُلخص سرية تحوله بالقول: (بدء العمل بإسلوب جديد، وهو تكوين مجموعة مِن الشباب باعوا الدُّنيا نهائياً، وهمهم الشَّهادة في سبيل الله)(242)، ولا أظن أن هذا الأسلوب ببعيد عن أسلوب الشيخ عبد العزيز البدري، الذي أخذ يبحث عن أي منفذ للسيطرة على الحكم، وإقامة نظام إسلامي.

=قُتل في أواخر 1969، وربما لم يترك فرد تنظيم الإخوان كلية خلال تنسيقه مع الشيخ البدري

241 حسب ما أكده رئيس جهاز المخابرات برزان التكريتي، في كتابه: محاولات اغتيالات الرئيس صدام حسين، ص 42.

242 حادث الكلية الفنية العسكرية في مصر، مأخوذ مِن ملف التَّحقيق، نشره موقع ملتقى التأويل، على الرابط: http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?p=47997

بيد أن برزان التكريتي(أُعدم 2007)، أخو صدام غير الشّقيق، ورئيس جهاز المخابرات العراقية حتى 1982 وظف محاولة اغتيال رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر من قبل صالح سرية بمدينة الطب إلى اغتيال صدام حسين، وأن الذين خططوا لاغتياله هم فئة صغيرة من حركة (الإخوان المسلمين)، ولعله يقصد بها الكتلة الإسلامية، ونقل برزان: أن صالح سرية هو مسؤول التنظيم، وقد أبلغ مجموعته قائلاً: (إن مسألة القيام بحركة انقلابية أمر صعب، وغير ممكن حالياً، لذلك أطرح عليكم فكرة الشُّروع بتنفيذ عمليات اغتيال، لإرباك الوضع وإضعاف النِّظام، مِن أجل تهيئة الظُّروف للقيام بتحرك أوسع في مرحلة لاحقة)[243]. وحسب برزان التكريتي أن مجموعة صالح سرية، أو حسب ما سمَّى عمليتها بعملية مدينة الطِّب، أن المخابرات دست أحد ضباطها، وهو فائز أحمد مع تلك المجموعة، وسرب هذا الضَّابط لسرية وجماعته خبر عيادة صدام حسين لأحمد حسن البكر، وكان كلُّ نشاط تلك المجموعة مكشوفاً للمخابرات، مِن الخطط أو التسليح أو التدريب على السِّلاح بمنطقة اليوسفية القريبة مِن بغداد، ويوم التنفيذ حضرت المخابرات إلى داخل مدينة الطِّب، والمتفق أن الضَّابط فائز أحمد، والعضو المفترض في الجماعة، يُهيء دخول العناصر التي تقوم بالتنفيذ على أنهم طلبة كلية الطب يدخلون حاملين كتبهم وبملابسهم الدراسية، يخفون تحتها مسدساتهم،

243 التكريتي، محاولات اغتيالات الرئيس صدام حسين، ص 37.

وينتهي برزان الحادثة باتصال فائز أحمد بصدام حسين، بعد أن أُلقي القبض على أفراد الجماعة فـ(ابتسم الرفيق صدام، وكانت على وجه سيادته علامات الانشراح والطمأنينة، ولدى إجابته على الهاتف ضحك وقال: بارك الله فيك)[244]. واضح أن برزان حول الحادثة، وهي صحيحة الوقوع و المطلوب كان أحمد حسن البكر، إلى قصة من القصص البوليسية، ومَن يكمل قراءة الكتاب (محاولات اغتيال الرئيس...) يشم فيها خيال البريطانية أغاثاكرستي، أو هي الأقرب إلى قصص الجاسوسية التي دأب على كتابتها المصري صالح مرسي، ويغلب على الظن أنها مكتوبة بقلم آخر غير قلم برزان، فلم يُعرف عنه أنه كاتب أو صاحب خيال في الكتابة، وقصة مدينة الطِّب هي الثانية مِن ثماني قصص.

244 المصدر نفسه، ص 43.

الفصل الرَّابع

الإسلامية الكُردية

تبدو الحركة الإسلامية الكُردية العراقية مزدوجة المهام، فهي من جهة تسعى إلى دولة إسلامية، أو بسط الإسلام على المجتمع والدَّولة، ومن جهة ثانية يشغلها الهم القومي الكُردي، حتى أن خطابها في العديد من الأحايين يصطدم بخطاب شقيقاتها من الحركات الإسلامية الأُخر، وفي المسألة القومية تحديداً. فمن طبيعة تنظيم الإخوان المسلمين الأم بمصر أو الفروع، وعلى وجه الخصوص الفرع العراقي منه، يربط الإسلام بالعروبة، حتى يظهر كأنه تنظيم قومي، فلما تَكشف لعدد من شخوص الحركة الإسلامية الكُردية تهاون تنظيمات الإخوان في كارثة حلبچة والأنفال، والميل إلى السكوت لصالح الدَّولة القومية بالعراق، اهتزت العلاقة مع تلك التنظيمات. ولعلَّ حدوث الطلاق بين الإخوان العرب العراقيين والكُرد كان للسبب نفسه.

كانت كارثة حلبچة، وعدم التضامن الكافي مع المنكوبين، مثلاً، نقطة تحول في تحرك أحد الناشطين الإسلاميين الكُرد[245] الملا

---

245 توضيح: اجتهدت باستعمال التسمية: الكُرد، لا الأكراد، بعذر أن الأخيرة تبدو قرينة بالأعراب، والآية واضحة (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) (سورة الأنفال، آية 97)! وبناءً على ذلك جاء في الرسائل الفقهية لمراجع كبار، مثل: الحر العاملي (ت 1104هـ 1595 ميلادية) باب عدم الجواز بالزواج: «لاتنكحوا من =

نجم الدِّين كريكار، حيث تخلى بسببها عن علاقته بتنظيم الإخوان المسلمين عموماً، ومال إلى التَّعاون مع جماعة الجهاد بمصر، وتأسيس فرع لها بكوردستان- العراق، تراه قَدم على هذا الأمر يأساً من تضامن عربي مع قضيته الكُردية، وما أسفرت عنه تلك الكارثة (16 آذار/مارس 1988)، حيث ضُربت المدينة بالسلاح الكيمياوي، وكانت مجزرة لخمسة آلاف ضحية، أطفالاً وشيوخاً ونساء[246].

ونقرأ لدى إسلامي كوردي، في الفكر لا في السياسة، حول خصوصية الحركة الإسلامية الكُردية بطابعها القومي، وأن الإسلام لا يكفي أن يكون موحداً في العمل السِّياسي، بل تراه تحدث عن عراق مصطنع، ولا وجود لهوية عراقية وطنية، مع أن الإسلام يشكل فيها الأغلبية الساحقة. قال: (الحركة الإسلامية في كردستان لها خصوصية، كونها منتمية إلى بلد ووطن مختلف، ومتميز عن

= الأكراد أحداً فإنهم جنس من الجن كُشف عنهم الغطاء»(وسائل الشيعة 14 ص 54).

والمرجع محمد كاظم اليزدي (ت 1919): «يكره تزويج شيء الخلق والمخنث والزنج والأكراد والخزر والأعرابي والفاسق وشارب الخمر»(العروة الوثقى 2 ص 376).

ولأبي الحسن الأصفهاني (ت 1946): «ولا ينبغي للمرأة أن تختار زوجاً سيء الخلق والمخنث والفاسق وشارب الخمر ومَنْ كان من الزنج أو الأكراد أو الخوزي أو الخزر»(وسيلة النجاة 3 ص 142). وآية الله محسن الحكيم (ت 1970): «يكره تزويج سيء الخلق والمخنث والزنج والأكراد والخزر والأعرابي والفاسق وشارب الخمر»(الحكيم، العروة الوثقى 14 ص 8).

ومن طريف ما أورده ياقوت الحَموي(ت: 626 هـ 1228 ميلادية)، وهو يتحدث عن بلاد الكُرد شَهْرزُور، قال: «في ملح الأخبار التي تُكسع بالاستغفار: أن بعض المتطرفين قرأ قوله تعالى: الأكراد أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا! فقيل له: إن الآية الأعراب أَشَدُّ كُفْرًا! فقال: إن الله عزَّ وجلَّ لم يسافر إلى شهرزور، فينظر إلى ما هنالك من البلايا المخبَّآت في الزوايا»(معجم البلدان 3 ص 376)، فمثلما هناك أعراب هناك أكراد أيضاً.

246 الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين ابن لادن وصدام حسين، ص 178 وما بعدها.

بلدان الحركات الإسلامية الأخرى بعامل إضافي، ألا وهو الاحتلال الأمريكي)[247].

وأكثر من هذا، وبلا عناية بتاريخ العراق، نجد الكاتب يذهب إلى القول: (فالعراق نفسه ليست له مبررات شرعية، بل هو من صنع الاستعمار، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طبيعة الحكم بالعراق ليست إسلامية، أي لا تحكم العراق حكومة إسلامية، بل هي علمانية منذ نشأتها وحتى العهد الجديد)[248].

لكن، مع ذلك لا يجعل الكاتب العيش أو الاعتراف بالعراق الوطن، عيش الكُرد مع بقية الأقوام، مستحيلاً، ولا ينسى التذكير، وهو يتحدث عن العراق كوطن، بكوردستان المحتلة. قال: (بشرط أن تكون الحركة الإسلامية بالعراق (أو أي قسم من أقسام كردستان المحتلة)، حاملة لهموم وأهداف كردستانية ووطنية وإنسانية)[249].

بطبيعة الحال، تجد في هذا الرأي الكثير من الانغماس في الفكر القومي على حساب الوطني وحتى الدِّيني، وهي الرؤية، إزاء القومية، لدَّى الإخوان المسلمين العراقيين العرب نفسها. وإن فشل الأحزاب الشٌيوعية أو الليبرالية في تثبيت نظام أو دولة لا صلة له بهذا

247 مسعود عبد الخالق، أسس ومبررات الحركات الإسلامية الكُردستانية.. كتاب المسبار، الحركة الإسلامية الكُردية، ص 49 العدد 18 لسنة 2008.

248 المصدر نفسه، ص 53 .

249 المصدر نفسه، ص 49.

المفهوم، لا من بعيد ولا من قريب، والحقيقة أن التجاوز اليساري أو الليبرالي، على وجه العموم، الديني والقومي، لصالح الوطني هو نجاح لا فشل.

يضاف إلى ذلك أن العراق كيان جغرافي واحد متعدد اجتماعياً منذ أزمنة غابرة، وأن هناك أكثر من دليل تاريخي وجغرافي أن الكُرد في حيز ما يسمى بكوردستان الجنوبية، من سكان تلك الجغرافيا، وأن شهرزور كانت تدار من كركوك، والأخيرة تدار من الموصل. بل على العكس فإن المطالب القومية تجد لها النجاح في ظل الوطنية، لكن ليست الوطنية المقترنة بالقومية، على حد ما دعت إليه القوى القومية العربية والكُردية الإسلامية على حدٍّ سواء. وبهذا يكون القومي العربي يتحدث عن العراق العربي، والقومي الكُردي يتحدث عن جنوب كوردستان لا شمال العراق[250]!

---

250 هناك تعدٍّ على الواقع التَّاريخي والجغرافي إذا أشرنا إلى العراق بمفرد «المصطنع»، أو المختلق من قِبل الاستعمار على حد العبارة. أقول: من حق أي جماعة أن تقرر مصيرها، على أساس القومية أو أي رابط أخر، وحتى المكان، لكن ليس من حقها تجاوز الحقائق التَّاريخية والجغرافية، ودعم ما تريد بأوهام وأحداس. العراق حقيقة مثبتة في كل الكتب البلدانية، وإن انتماء شهرزور أو بلاد الكُرد عموماً لهذه الجغرافيا أمر مفروغ منه، وليس لأرض العراق هوية قومية، عربية أو كوردية، إنما أقامت فيه الأقوام وتعارفت، والله الذي باسمه يريد إسلاميو العرب أو الكُرد إقامة دولة أو نظام إسلامي يقول (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحُجرات، الآية: 13).

وردت حدود العراق لدى البلدانيين المسلمين، ونذكر ما أثبته أحمد بن عمر المعروف بابن رستة (ت 290 هـ 902 ميلادية)، قال: في طوله: «حد أرض آثور (لا حظ التسمية وقدمها) وهي الموصل». وفي عرضه: « من منقطع الجبل من أرض حلوان (خانقين) إلى منتهى طرف القادسية»(كتاب الأعلاق النفيسة، ص 104-105). =

= وهذا ما أورده أبو الحسن المسعودي (346هـ 957 ميلادية): «السواد وهو العراق، فقالوا حده مما يلي المغرب، وأعلى دجلة من ناحية آثور()، وهي الموصل القريتان، القريتان المعروفة إحداهما بالعلث من الجانب الشرقي من دجلة وهي من طسوج مسكن (حيث الدُجيْل). ومن جهة المشرق الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسي المعروفة بميان روذان من كورة بهمن أردشير وراء البصرة»(المسعودي، التنبيه والأشراف، ص 36-38). وكتب زكريا القزويني (ت 682 هـ 1283 ميلادية): «العِراق ناحية مشهورة، وهي من الموصل إلى عبادان طولاً، ومن القادسية إلى حلوان (خانقين) عرضاً»(القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 419).

أما على المستوى السّياسي، فندع الدول السّابقة، ونأتي إلى الدّولة العثمانية، لنرى حدود بغداد، والتي أحياناً يسمى العراق بها، وما يظهر في تقرير أسقفها بابيه عمانوئيل، أسقف بغداد (ت 1773)، الذي كتبه إلى حضرة البابا بروما العام 1753 ميلادية:

«بغداد من المدن الشهيرة جداً إذ كانت عاصمة دولة. أما الآن فهي ولاية خاضعة للسلطنة العثمانية. وهي واسعة جداً إذ تشمل مناطق عديدة هي كلدة وما بين النهرين، وقسماً من البادية العربية، وتمتد حدودها إلى بلاد فارس وإلى ديار بكر شمالاً، وتشمل منطقة مادي شرقاً، وهي المعروفة بكردستان. ورغم أن هذه الولاية الواسعة خاضعة للدولة العثمانية، إنما في الواقع يعتمد ولاتها على قوتهم الخاصة، ويتناوبون الحكم في أسرة واحدة بطريقة أشبه ما تكون بالوراثية»(مجلة بين النهرين، العدد 43 السنة 1983 ص 234). ربما قصد صاحب التقرير، عندما أشار إلى الوراثة في حمن بغداد في زمنه بوزير بغداد أو العراق حسن باشا وولده أحمد باشا (1704 – 1747) راجع: علي، تاريخ العراق في العهد العثماني (1638-1750) ص 101-116.

ونقرأ في كتاب الشّيخ رسول الكركوكلي (ت 1824)، وقد نُشر ببغداد (1830). قال في «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء»: «لقد أثمرت المساعي، التي بذلها الأهلون والعشائر والرؤساء، ولا سيما أمراء الأكراد، الذين قدموا العرائض والالتماسات إلى المقامات العليا بيد خاص إلى الآستانة، وصدر الفرمان البادشاهي بتعيين داود أفندي والياً على بغداد والبصرة وشهرزور وعن رتبة وزير، فكان لتعيينه رنة استحسان في سائر أنحاء العراق»(كركوكلي، دوحة الوزراء، ص 275).

ونجد العراق قُسم إدارياً إلى عشرة سناجق (ألوية)، قبل سيطرة (الاستعمار) البريطاني بحوالى نصف قرن، أي السنة 1869، ويضمنها مناطق كوردستان، والقائمة حتى هذه الساعة، تلك التي نظمها الوالي مدحت باشا (قُتل 1884): بغداد، شهرزور (مركزه كركوك)، السليمانية، الموصل، الدليم (الأنبار)، كربلاء، الديوانية، البَصْرة، العمارة (ميسان)، المنتفك (ذي قار) راجع (النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ص 130 عن جريدة الزوراء، العدد 2 12 ربيع الأول 1286 هـ).

ومن الناحية الاجتماعية وما يُطلق عليه بأهل العراق فالكُرد أحد أقوامه، وأن العراق لا يعني أرض العرب. جاء في كتاب صنفه، في الفترة العثمانية، إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري (ت 1882): «وأما عشائر الأكراد من أهل العراق فهم كثيرون، فمنها عشيرة السورجية، وهي كثيرة جداً، منهم علماء =

يجد الباحث في شأن الحركة الإسلامية الكُردية، أو الكُردستانية كما يرغب زعماؤها بتسميتها بالمكان لا بالقوم إشارة إلى كوردستان الكبرى، صعوبة في بحثه، وذلك لحداثة الحركة، وعدم توافر المصادر، وسرعة الانشقاقات وتعدد الكيانات. وبشكل عام للإسلام السِّياسي، وبروز شخوصه المؤسسين، بالمنطقة الكُردية ووجوده المتزامن مع الوجود بمناطق العراق الأخرى. فهو على ما يبدو امتداد لحركة ونشاط الإخوان المسلمين بالموصل وبغداد، إلا أن هناك مَنْ أشار إلى ظهور حزب تحت اسم (الحزب الإسلامي) بالسليمانية، بعد نفي الشَّيخ محمود الحفيد البرزنجي (ت 1956)[251] إلى الهند،

= العام. ومنها عشيرة الخوشتار، وهي أيضاً كثيرة، وأهل شجاعة وإقدام... ومنها عشيرة البالكية، وهي كثيرة ونشأ منهم أعلام وصلحاء، منهم شيخي العلامة الفهامة أحمد الهلالي، ومنها عشيرة كوزة، وهم كثيرون وأهل إقدام، ومنها عشيرة الكروية بفتح الكاف، وهم كثيرون وأهل إقدام وشجاعة، ونشأ فيها علماء، ومنها عشيرة الزيبارية، وهي كثيرة جداً، ونشأ منهم علماء أعلام فحول ...»، وعشائر كثيرة لا مجال لذكراها جميعاً (الحيدري، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص120-122). وهذا قليل من كثير مما يثبته التَّاريخ والجغرافيا، فيا ترى كيف يكون العراق مصطنعاً من قِبل الاستعمار، ولا يُليق أن يكون بيتاً للكورد مثلما هو بيت للعرب وبقية الأقوام؟!

251 ولد بالسليمانية (1881) ودرس علوم الشريعة ومبادئ الصوفية، قاتل الإنكليز بالشعيبة من البصرة تلبية لنداء الجهاد، عُين من قبل الإنكليز حاكماً على منطقة كوردستان، بالسليمانية، ولما أعلن الاستقلال عن الإنكليز في 19 أيار(مايو) 1919 اعتقل ونفي إلى الهند، وعاد إلى السليمانية وتولى السُّلطة مرة أخرى، إلا أنه أعلن نفسه ملكاً، فاحتل الجيش العراقي السليمانية (1924)، بمساندة الجيش البريطاني، وقد تم الصلح على أن يعيش الشَّيخ محمود خارج العراق مع أسرته، وزار بغداد، وأقام بجنوب العراق، وبعد حين عاد إلى السليمانية (1941)، وبعد قيامه بتمرد جديد فشل واستسلم للحكومة ليقيم ببغداد حتى وفاته (1956)، ودفن بمدينته السليمانية(بصري، أعلام الكرد، ص40-41).
ومن طريف ما رواه لي الشَّخصية الكُردية المعروفة إبراهيم أحمد: أن الإنكليز وافقوا للشيخ محمود الحفيد أن يكون ملكاً على كوردستان- العراق أو الجنوبية لكن بشرط أن يكون ظلاً للمندوب السامي البريطاني، لا يقوم بالصَّغيرة والكبيرة إلا بعد مشورته وموافقته، فهو بحقيقة الأمر الملك الفعلي. إلا =

أي في بداية العشرينيات. يتألف قوام هذا الحزب من (رجال الدِّين، والعشائريين الأصدقاء للشيخ محمود، ومجموعة من الضباط الكُرد في الجيش العثماني)[252].

أما التنظيم الإخواني فقد دخل المنطقة الكُردية عن طريق الموصل، وأول مَنْ تبناه، في بداية الخمسينيات من القرن الماضي،، ملا عثمان عبد العزيز[253]، الذي سيبرز، في ما بعد، مؤسساً للحركة الإسلامية الكُردية، وملا صالح عبد الكريم، وشخص آخر يُدعى الحاج سليمان. ومن بين مؤسسي ونشطاء الإسلام السِّياسي بكركوك، من ذوي المهن والطَّبقات غير الدِّينية: كاتب بمحكمة، وصاحب مكوى

= أن الشَّيخ الحفيد حسب حسابه فوجد نفسه مجرد موظف، فأتى صباح اليوم التالي إلى البريطانيين، واقترح عليهم قائلاً: «أن أكون أنا المندوب السامي، والمندوب السامي ملكاً»(لقاء بداره بكرويدن، جنوب لندن 1996، نشر في مجلة النور الإسلامية!).

252 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 39.

253 - ولد عام 1922 بقرية بريس العليا، من أسرة علمية ودينية، بمحافظة السليمانية. أخذ العلم عن والده. وحتى أخذ الإجازة العلمية منهما، فتفرغ للتدريس والإفتاء، وتخرج على يديه كثيرون ممن نشروا العلم والفقه بين الناس، وبرز منهم علماء أجلاء، بحيث يمكن اعتبار الشَّيخ أباً روحياً ومرجعاً لعلماء المنطقة دون استثناء. وقد أهلته مؤهلاته لكي يتبوأ مكانة سامية في قلوب الناس سواء القاصي والداني، ولتقع عليه أعين علماء أهل السنة بالعراق كواجهة لعلماء الكرد في المؤتمرات، والاجتماعات العلمية والدِّينية. وله كتاب تفسير القرآن في خمسة عشر مجلداً، وشرح صحيح البخاري.
كان له الدور المباشر أثناء قيام الثورة الكردية بقيادة الرَّاحل مصطفى البارزاني بتأسيس اتحاد علماء الدِّين، كما أسهم في إعادة تنظيم حركة الإخوان المسلمين العام 1979 وساعده في ذلك أخوه الأصغر الشَّيخ صديق عبد العزيز، هاجر العام 1987 إلى إيران، وأسس الحركة الإسلامية في كردستان العراق، وانتخب مرشداً عاماً لها، واستمر في عمله الإرشادي حتى العام 1998، حيث اعتزل العمل السِّياسي وتفرغ للتأليف والتدريس حتى وافته المنية في دمشق ليلة 11-12 أيار (مايو)1999(صباح محمد البرزنجي، الحركة الإسلامية في كردستان العراق.. الشخصيات والرموز، كتاب مسبار الشهري، العدد 18 السنة 2008).

ملابس بالسوق العصري، إلى جانب الشيوخ والملالي. ونشط بأربيل الحاج يونس عزيز، ونظام عبد الحميد، الشقيق الأكبر لمحسن عبد الحميد أمين عام الحزب الإسلامي قبل طارق الهاشمي، وكان عضواً في مجلس الحكم بعد سقوط النظام العراقي (2003)، ومدير إحصاء أربيل، والسَّيد خليل المعروف بأبي سيد قطب[254].

ويعرف تنظيم الإخوان المسلمين بالمنطقة الكُردية بالأسرة الثَّالثة بين تنظيمات العراق ككل، أو الجيل الثَّالث بعد الأسرة الأولى بالموصل، والثَّانية ببغداد. وكانت البداية بانضمام الشَّيخ عثمان عبد العزيز إلى الحركة الإخوانية (1952)، وهو (تنظيم تجميعي لمَنْ أفرزتهم العاطفة الإسلامية)[255]. إلا أن هذا النشاط ظل حركة محصورة بأفراد، ولم ينجح في تأسيس تنظيم، أو جماعة مسلحة خلال الثورة الكُردية، التي بدأت سياسياً وعسكرياً في عقد الأربعينيات من القرن المنصرم، حيث قامت جمهورية مهاباد وتأسس الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المعروف بالبارتي.

وقد غلب على الحركة الطابع العشائري العلماني (فصل الدِّين عن الدَّولة والسياسة) مع أن انحدار أبرز قادة الحركة من أُسر دينية وصوفية مثل الملا مصطفى البارزاني (ت: 1979)، ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بطبيعة الحركة الصوفية وبعدها عن الشأن

254 المصدر نفسه، عن مراجع باللغة الكُردية.

255 مشير مصطفى عبد الله، الحركة الإسلامية الكُردية، مجلة النور (الصَّادرة بلندن)، العدد 105.

السِّياسي والحزبي بشكل عام، وأن دخول الملا البارزاني في المعترك السِّياسي ليس بشخصه أو انتمائه الصوفي والدِّيني بل العشائري والقومي.

لم تبرز الحركة الإسلامية الكُردية، طوال فترة النضال القومي الكُردي، كفصيل من فصائل التحرر القومي إلا بعد الثورة الإيرانية، والحرب بين النظامين الإيراني والعراقي، وتأثراً بالصحوة الإسلامية ووجود ظروف مناسبة للتحرك السِّياسي والعسكري الدِّيني. عمد أولئك الإخوان الأوائل إلى الاتصال بالإيرانيين، وقد أسفر ذلك عن تأسيس ما عُرف بالجيش الإسلامي الكُردستاني (1980). وكان خليطاً غير متجانس، تزعمه شخص يُدعى عباس عبد الله شاهين أبو أُسامة من مناطق الموصل، المحاذية للمنطقة الكُردية من العراق، ولم يكن له خبرة في مناطق العمق الكُردستاني، بأربيل والسليمانية، إنما إمكانيته أتت من الدعم الليبي والإيراني[256]. كان الدعم مزدوجاً من إيران وليبيا، إلا أن نهاية هذا الجيش أو التنظيم كانت على يد الاتحاد الوطني الكُردستاني (1982)، وقيل استمر موجوداً شكلياً حتى 1989 [257].

هذا، وهناك مَنْ تحدث عن نشوء بادرة إسلامية سياسية كوردية في أوائل القرن الماضي، ظهرت على يد مجموعة من الملالي

---

256 مشير مصطفى عبد الله، الحركة الإسلامية في كوردستان، ص 14.

257 المصدر نفسه، ص 15.

وشيوخ الدِّين، بما يشبه الحركات الإصلاحية، أو على شكل حركات مسلحة ضد (انقلاب الاتحاديين في تركيا الحالية 1924، وتارة أخرى في مقاومة الاحتلال البريطاني)[258]. ويصعب اعتبار وجود مدرسة إسلامية أو تكية وعظ أنها بادرة لحركة إسلامية سياسية، مثلما ذهب إلى ذلك محمد سيد نوري البازياني، وزير الزراعة السابق بإقليم كوردستان والناشط في الحركة الإسلامية والمستقل حالياً.

فمثل هذا التصور يؤشر إلى إسلام جديد أو خلو المكان من الإسلام بالأساس، ولعلَّ الإسلاميين يذهبون إلى ذلك، بل يربطون وجود الإسلام بالتحرك السِّياسي في العديد من المواقف، مع أن الأمر مختلف كثيراً، ولا قلق على وجود الإسلام خارج المنطق السِّياسي، بل تحول إلى عادات وتقاليد وحضارة، ولم تنقطع العبادة عن المكان في يوم من الأيام.

ولم يتحدث البازياني، أو الملا كريكار، عن الجيش الإسلامي، المار الذكر، بقدر ما تحدث الأول عن تأسيس الحركة الإسلامية العام 1978، إلا أنها بقيت سرية، واقتصرت مهامها على الإعداد من خلال تربية الشباب[259]. أما كريكار فيذكر أن أربعة عشر شخصاً، وهو أحدهم، ثمانية منهم من أهل الولاء الإخواني، على حد عبارته، التقوا بإيران أواخر العام 1982، حاملين رسائل من الشَّيخ عثمان

258 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 89.

259 المصدر نفسه، ص 95.

عبد العزيز، الإخواني الكُردي الأقدم، إلى آية الله الخميني وآية الله الخامنئي، وكان الأخير إمام صلاة جمعة طهران آنذاك، وتسمت الجماعة بـ (جماعة الأنصار الإسلامية)[260].

وهناك مَنْ أشار إلى اتصال تلك الجماعة بحركة الجهاد الأفغانية عبر إيران وباكستان، ومن مطالبها التزود بالسلاح من الجمهورية الإيرانية، وفتح مكاتب حزبية لها، لكنها لم تلق الاستجابة من قادة الثورة الإيرانية، وما حصل أنها ظلت مرتبطة بقوام الإخوان المسلمين عبر تنظيم العراق[261]. ويذكر كريكار أن بين تلك الجماعة تركمانياً، وآخر شيعياً تحول إلى المذهب السُنّي حينها.

وثمة بداية حركية أخرى جمعت الإسلاميين الكُرد حيث تأسيس (حركة الرابطة الإسلامية) (1984)، وأصبح الشَّيخ محمد نجيب البرزنجي[262] مرشداً عاماً لها، وعُرف جناح الحركة العسكري،

---

260 الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 175.

261 مشير مصطفى عبد الله، الحركة الإسلامية في كوردستان، ص 16.

262 الشَّيخ بقلم نجله: «العالم الفاضل الشَّيخ محمد بن نجيب بن حسن، ولد سنة 1945 في أسرة دينية استوطنت قرية سركت التابعة لناحية بيارة، تلقى العلوم الإسلامية لدى خيرة العلماء الأكراد، وأخذ الإجازة العلمية في الإفتاء وتدريس المعقول والمنقول 1965، كما حصل على بكالوريوس آداب في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة بغداد 1978، تتلمذ على يديه جمع غفير من علماء كردستان إيران والعراق في الفترة من 1965-1987، وهو من مؤسسي الرابطة الإسلامية وبعدها الحركة الإسلامية، بل من أبرز قادتها ومشايخها. كان له دور فاعل في تقريب وجهات النظر بين أطرافها والحيلولة دون وقوع الانشقاق فيها، والحرص على وحدة صفها وحمايتها من التحديات الداخلية والخارجية. وهو الآن مرشد الجماعة الإسلامية الكردستانية»(صباح محمد البرزنجي، الحركة الإسلامية في كردستان العراق الشخصيات والرموز، كتاب مسبار الشهري، ص 175 العدد 18 السنة 2008).

الذي أنطلق عام 1985 بـ (له شكري قورئان) (جيش القرآن)، وانتخب الشَّيخ عبد اللطيف البرزنجي[263] مرشداً عاماً بعد محمد نجيب البرزنجي، وذلك بعد إطلاق سراحه من السجن بالعراق. أشار البازياني أنه بعد تسلُّم الشَّيخ عبد اللطيف لزمام الحركة أخذ يطغى عليها البعد الأكاديمي، فالشَّيخ كان عالم دين ومدرساً بجامعة السُّليمانية، مما أدى إلى انضمام جامعيين لها[264].

كانت مدينة حلبچة محل نشاط واستقطاب النشاط السِّياسي الإسلامي، وهي مقر الشَّيخ عثمان عبد العزيز، ومنها أفتى بهجرة طلاب العلم (1987) من أماكن دراستهم وسكناهم، وتحول جماعة الرابطة الإسلامية إليه، وبايعوه على الجهاد، ومن يومها تغير اسم الرابطة إلى (الحركة الإسلامية في كوردستان العراق)[265]. بعدها شكلت الحركة ذراعها العسكرية (جيش القرآن). واندمجت العام

---

263 ،ولد 1942 في قرية كوره داوى بشهربازار، أخذ الإجازة العلمية من كبار علماء كردستان عام 1964، وواصل دراسته الأكاديمية بكلية الإمام الأعظم حتى نال شهادة الماجستير في الفقه وأصوله 1974، كان عنوان رسالته: التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية. أسهم في تأسيس الرابطة الإسلامية وتولى مسؤولية التنظيم الداخلي فيها، اعتقل وأطلق سراحه، ليهاجر إلى إيران عام 1986، انتخب مرشداً عاماً للرابطة عام 1986، ثم شارك في تأسيس الحركة الإسلامية 1987 فانتخب معاوناً لمرشدها الشَّيخ عثمان، وعضواً في المكتب السِّياسي، كان رحمه الله مثالاً للعالم الرباني والداعية المجاهد، وكان له باع طويل في الفتوى والتدريس، ومكانة بين العلماء، توفي في حادث سير بتأريخ 1993/6/21،(صباح محمد البرزنجي، الحركة الإسلامية في كردستان العراق الشخصيات والرموز، كتاب مسبار الشهري، ص 175 العدد 18 السنة 2008).

264 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 96.

265 المصدر نفسه.

1999 (الحركة الإسلامية) مع حركة (النَّهضة الإسلامية)، وتشكلت منهما (حركة الوحدة الإسلامية)[266].

بعد فترة وجيزة ظهرت انشقاقات في الحركة الوليدة حول الفتوى في اتخاذ القرارات وتحديد المواقف، وكان أغلبية حركة النهضة مع جماعة الشَّيخ علي بابير، عضو المكتب السِّياسي في حركة الوحدة الإسلامية، ومن الجماعتين تشكل تنظيم جديد (العام 2001) تحت اسم (الجماعة الإسلامية الكوردستانية)، وأصبح بابير أميراً عليها[267].

وهنا نلاحظ تغير ألقاب القادة، من مرشد أو شيخ إلى أمير، وهي تسمية تنسجم تماماً مع الجهاد واتخاذ طريق العنف، بل تنسجم مع التوجه السلفي، مثلما نلاحظه في الجماعات المسلحة الإسلامية بالعراق. بينما ظلت بقية الحركة الإسلامية مع التنظيم الأم بزعامة الشَّيخ والمرشد علي عبد العزيز (ت: 2007)، وأخيه صدِّيق عبد العزيز، وقد أطلقا تنظيماً عودة إلى التنظيم القديم، وهو (الحركة الإسلامية في كوردستان العراق).

ويظهر على خارطة الإسلام السِّياسي الكُردي تنظيم (الاتحاد الإسلامي في كوردستان العراق) (1994)، وهو جماعة

---

266 المصدر نفسه، ص 97.

267 المصدر نفسه، ص 98.

إصلاحية وريثة لتنظيم الإخوان المسلمين، وهي عبارة عن تنظيم غير مسلح، واشترك بحقيبة وزارية في حكومة إقليم كوردستان منذ 1996، وزارة الإقليم أولاً (بمثابة وزارة الدَّولة)، ثم وزارة العدل، وساهم في اجتماعات مؤتمر المعارضة العراقية بلندن (كانون الأول/ديسمبر 2002)، وكان ضمن الـ 65 عضواً في لجنة المتابعة والتنسيق، المنبثقة من المؤتمر المذكور، وهو آخر مؤتمر موسع قُبيل سقوط النظام.

ثم أصبح أمينه العام صلاح الدِّين محمد بهاء الدِّين عضواً في مجلس الحكم العام 2003 ببغداد، وتقلد حقيبة وزارة البيئة في الحكومة المنبثقة عن المجلس المذكور، وشارك في الانتخابات العامة 2005، والانتخابات الخاصة بإقليم كوردستان، وحصل على خمسة مقاعد في البرلمان العراقي، وتسعة في برلمان الإقليم، و10 أعضاء في مجالس المحافظات، ويشارك في حكومة إقليم كردستان بوزيرين: التجارة والدَّولة. وللحزب إمكانية إعلامية كبيرة نسبة للمنطقة وبقية الأحزاب، لديه 11 محطة تلفزيونية محلية و 12 إذاعة محلية كذلك، فضلاً عن إصدار عدد من الجرائد والمجلات[268].

رفع الاتحاد الإسلامي شعاري: الإصلاح والاعتدال، ومارسهما على أرض الواقع، قياساً ببقية التنظيمات، وهو بقية الإخوان المسلمين بالمنطقة. وتمكن من أن يبرز في المستوى الثَّالث بعد الحزبين الرئيسيين:

---

268 إدريس سيويلي، نشأة وتطور التيارات الإسلامية في كردستان العراق، كتاب مسبار، ص 29- 31 العدد 18 السنة 2008.

الحزب الديموقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني الكردستاني. وأما الأعمال الخيرية التي كان يقدمها هذا الحزب بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية الخيرية، فكان لها دور الفعال في كسب هذه الجماهيرية[269]. ويذكر للشيخ علي القرداغي، أمين عام الاتحاد الإسلامي في العالم والمقيم بقطر، دور في دعم منظمات الإغاثة.

أما (الجماعة الإسلامية الكوردستانية)، وأميرها الشَّيخ علي بابير، فقد واجهت الصعوبات في حركتها، حيث قصفت مقراتها إبان الحرب الأخيرة في 21 آذار (مارس) 2003، من قِبل القوات الأمريكية بمنطقتي: خورمال، وأحمد آوا، واعتقل أميرها في تموز(يوليو) 2003 حتى نيسان(أبريل) 2005. وبالجملة: (إنَّ هذا الحزب، مع إيمانه بالعمل الجهادي، يؤمن كذلك بالعمل السلمي والمدني والانتخابات البرلمانية، حيث شارك في جميع الانتخابات الكردستانية والعراقية، ويملك الآن عضواً واحداً في البرلمان العراقي، وستة أعضاء في البرلمان الكردستاني، وأربعة أعضاء في مجالس المحافظات، ويشارك في حكومة إقليم كردستان بوزير واحد، وزارة البيئة، وله مراكز ومقار في كثير من مدن وقرى كردستان)[270].

ومَنْ يطَّلع على خطب وكتابات أمير الجماعة الشَّيخ علي بابير يجده متأرجحاً بين قبول الدِّيمقراطية، على مضض، والعين على

269 المصدر نفسه، ص 29.

270 المصدر نفسه، ص 32.

العنف، ويظهر ذلك من تبريره لعمليات الاغتيال والعنف، من مفهوم الدفاع وواقع الحال وتسيير النَّاس على الطريق الصحيح، حسب اعتقاده، هذا ما نفهمه من كتابه (مسائل عصرية رائجة.. نظرة واقعية وتقييم شرعي).

كذلك ظهرت مقدمات في عقد الثمانينيات، من القرن الماضي، لحركة تحت مسمى (الجهاد الإسلامي في كوردستان)، اتخذت من الجامع الكبير بناحية خليفان مقراً لها، ومؤسسها ملا أمين يرداود خوشناو، وهي جماعة دعت إلى القرآن والسُّنَّة، وإعداد الشباب للجهاد، ودعت إلى حكم الشريعة بالتبليغ والسلاح، أعلنت عن تأسيسها إبان انتفاضة آذار(مارس) 1991، وقد اغتيل أميرها السَّني 1997 في مجمع بستورة من منطقة صلاح الدين بأربيل، ويذكر أنه كان مسؤولاً عن اغتيالات طالت الحركة الإسلامية نفسها قبل غيرها، ثم التحق معظم الأعضاء بالجماعة الإسلامية الكوردستانية، جماعة الشَّيخ علي بابير[271].

وتشكلت (جند الإسلام) من جماعتين: (حركة المقاومة الإسلامية- كوردستاني) وجماعة (مركز تحفيظ القرآن)، وأصبح أبو عبد الله الشافعي أميراً عليها، وتردد أنها كانت مسؤولة عن اغتيال عضو المكتب السِّياسي للحزب الديمقراطي الكُردستاني فرانسو

271 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 82.

الحريري (18 شباط/فبراير 2001) بأربيل. بعدها اندمجت (جند الإسلام) بكتلة فاتح نجم الدِّين كريكار المسماة (الإصلاح) (2001) لتظهر جماعة جديدة تحت مسمى (أنصار الإسلام)، وأميرها كريكار نفسه[272].

جاء في تأسيس (جند الإسلام): (إنَّ إعلان الجماعة الإسلامية كان نتيجة لانفجار المشاكل بين الكتل، في المؤتمر الأول لحركة الوحدة الإسلامية، لكنَّ الكتلة الموالية للقاعدة، لم تلتحق بصفوف الجماعة الإسلامية، ولم تعترف بها، فتوحدت هذه القوة مع مجاميع إسلامية صغيرة أخرى، والتي أسسها بعض الشباب، وكانت ظروف كردستان مساعدة على ظهورها، لكنها لم تكن تملك قاعدة جماهيرية، ولم يكن لها تأثير في مسار الأحداث، ومنها: منظمة الحماس الإسلامية، وجماعة التوحيد الإسلامية، وقد توحدت جميع تلك الجماعات في 2001/9/1، وأسست منظمة باسم جند الإسلام في كردستان، ومنذ اليوم الأول أعلنت الحرب على الاتحاد الوطني الكردستاني، والقوى العلمانية الأخرى، الموجودة على الساحة الكردستانية، وفعلاً هاجمت قوات الاتحاد الوطني الكردستاني عدة مرَّات)[273].

272 المصدر نفسه، ص 99-100.

273 إدريس سيويلي، التيارات الإسلامية في كوردستان العراق، كتاب مسبار الشهري، ص 33- 34، العدد 18، السنة 2008.

أما الملا كريكار فتحدث عن تياره أنه برز من داخل الحركة الإسلامية في مواجهة تيار الشَّيخ علي عبد العزيز والشَّيخ علي باپير، وأشار إلى تشجيع الاتحاد الوطني الكُردستاني لعلي باپير ليعلن عن (الجماعة الإسلامية الكوردستانية)، وقد أعلن كريكار تياراً وسطاً يتألف من (الإصلاح) و(هيز سوران)، أي قوة سوران، والأخيرة هي قوة جماعة سلفية، من مدينة أربيل، انفصلت عن حركة الوحدة الإسلامية، ليعلن (الإصلاح) و(هيز سوران) بزعامة كريكار نفسه. وتحدث الملا كريكار عن المواجهات مع جماعة باپير بدعم من الاتحاد الوطني وإيران، حيث هوجمت مقراته بالسليمانية، واستولوا على محطة تلفزيون جماعته، والمسجد الذي كان يؤم به أتباعه. وعندها أعلنت كتيبة سوران السلفية عن (جند الإسلام في كوردستان) (أيلول/ سبتمبر 2001)[274].

حسب كريكار، وبعد تلك الانشقاقات، انقسمت الحركة الإسلامية إلى أربع جماعات: (الحركة الإسلامية في كوردستان العراق) بقيادة الشَّيخ علي عبد العزيز ومقرها حلبچة، و(الجماعة الإسلامية في كوردستان العراق) بقيادة الشَّيخ علي باپير ومقرها خورمال، و(جند الإسلام في كوردستان العراق) بقيادة أبي عبد الله الشافعي ومقرها بياره، و(جماعة الإصلاح) بقيادة الملا كريكار

274 الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 233-235.

ومقرها كولب[275].

ونرى كريكار يوزع مجمل الإسلام السِّياسي الكُردي إلى أربع جماعات فقط: (الرابطة الإسلامية)، وكانت نهايتها السَّنة 1987، والحركة الإسلامية في كوردستان العراق)، و(الجماعة الإسلامية الكوردستانية)، و(أنصار الإسلام في كوردستان) [276]. ولا نجد الملا كريكار ذاكراً (الاتحاد الإسلامي)، الذي أُعلن عنه عام 1994، ولعله لا يعد من الإسلام الراديكالي أو المسلح، لأنه تنظيم (غير مسلح وليس لديه مكتب عسكري، يؤمن بالنشاط السلمي)[277]. مع أن الملا كريكار كان قد نسق بطهران مع أمين عام الحزب الإسلامي صلاح الدِّين محمد بهاء الدِّين، قبل تأسيس الحزب، بصدد إطلاق تنظيم إسلامي[278].

ومما لا ريب فيه أن للدولة الإيرانية الإسلامية دوراً في النشاط الإسلامي بكوردستان العراق، ويشار إلى أن التنسيق كان يحصل عبر (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) (السَّيد محمد باقر الحكيم)، وكان التمويل من الدَّولة الإيرانية، حتى أن الشَّيخ محمد نجيب البرزنجي، مرشد (الرابطة الإسلامية في كوردستان العراق)،

---

275 المصدر نفسه، ص 235. والمناطق الثلاث هي: خورمال وبياره وكولب، وكلها من توابع قضاء حلبجة من محافظة السليمانية، القضاء المعروف كمركز للحركة الإسلامية الكُردية.

276 المصدر نفسه، ص 199.

277 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 80.

278 الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 175.

كان عضواً في المجلس الأعلى، مع أبي بكر صديقي وشخص آخر، على الرغم من اختلاف المذهب[279]. وفتح الإسلاميون الكُرد العراقيون مكاتب لهم في مناطق الحدود المتاخمة لإيران، واستُقبلت وفودهم بحفاوة من قبل القادة الإيرانيين. لكن، حسب الملا كريكار كان ذلك يجري بتحفظ وحذر، بسبب الاختلاف المذهبي، حتى الحرب بين العراق وإيران اعتبرها كريكار ما بين الشِّيعة والسُّنَّة.

على صعيد آخر كان للرابطة الإسلامية في كوردستان العراق صلاتها مع المملكة العربية السعودية، وهي (علاقات قديمة كان الشَّيخ عثمان عبد العزيز المرشد العام للحركة على علاقة متينة بالملك الرَّاحل فيصل بن عبد العزيز (قُتل 1975)، وتعود تلك العلاقة إلى عام 1974، عندما كان ممثلاً لوفد علمائي كوردستاني، وبتكليف من الزعيم الكُردي الرَّاحل الملا مصطفى البارزاني للتعريف بالقضية الكُردية... وكان الشَّيخ الصواف (محمد حامد الصَّواف) مستشار الملك في تلك الفترة حلقة وصل بين الوفد الكُردي والملك)[280].

لا يبدو التعاطف السعودي، حسب رواية الملا كريكار، على ما يُرام مع الإسلاميين الكُرد العراقيين، حيث حصل أن التقى كريكار بمعرفة رجل سوري ببيشاور مع وفد سعودي، وتم اللقاء لطلب المعونة بعد حدوث كارثة حلبچة (16 آذار/مارس 1988)، وقد تم اللقاء (ولم

279 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 116.

280 المصدر نفسه، ص 117.

ينتج شيئاً)، وكان أُسامة بن لادن أحد الحضور، وبدا متأثراً بالصور التي عرضها الملا كريكار عن كارثة حلبچة، وقد حاول معه عراب الجهاد الأفغاني عبد الله عزام (لكنه (بن لادن) أجابه أن المال أُعطي له ليصرف على الأفغان)[281].

وحسب كريكار كان وراء عدم الحماس السعودي آنذاك لمساعدة الإسلاميين الكُرد كونهم معارضين للنظام العراقي؛ الذي تربطه علاقات جيدة بالمملكة العربية السعودية، وما لذلك من صلة بالحرب الدائرة بين العراق وإيران، والموقف السعودي من التمدد الإيراني الشّيعي. قال كريكار: إن الموفد السعودي (كان يقول لنا: إن توجهتم بأسلحتكم ضد إيران ستجدون منا كل دعم. وأعلموا أن خطر الإيرانيين أكبر وأعمق من خطر البعثيين. إن البعثيين يشكلون تجمعاً علمانياً، وسيزولون كعبد النَّاصر واتحاده الاشتراكي. لكن خطر الشّيعة له جذوره التَّاريخية، وسيظل يهددنا نحن أهل السُّنَّة)[282]!

إلا أن الأمر تبدل بعد دخول الجيش العراقي إلى الكويت، وأصبح الشَّيخ عثمان مرشداً للحركة، حيث تمت استضافته من قبل حكومة المملكة العربية السعودية، وحصل على مساعدات محدودة

---

281 - الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 203. وحسب كريكار كان هذا اللقاء هو الأول والأخير بأسامة بن لادن، حيث وجهت له بهولندا ثم النرويج تهمة الصلة مع بن لادن، وبالتالي بتنظيم القاعدة.

282 المصدر نفسه.

خلال التسعينيات مِن القرن الماضي[283]. ومن تلك المساعدات قبول طلاب الحركة الإسلامية الكُردستانية للدراسة بجامعات المملكة، وقد تمت خلال تلك الفترة لقاءات بين المرشد والشَّيخين السعوديين: عبد العزيز بن باز (ت: 1999)، ومحمد بن عثيمين (ت: 2001) وغيرهما. وحصل أن استُضيف الشَّيخ عثمان عبد العزيز في ندوة حول كارثة الأنفال. أخبرني أحد النَّاشطين مِن الإسلاميين الكُرد، وأراد عدم ذكر اسمه، والذي زار السعودية وساهم في اللقاءات مع المسؤولين السُّعوديين، واقترح أن يكون الدعم ليس لأشخاص بل للحركة الإسلامية الكردية عموماً، ومنه قبول طلبة للدراسة في المعاهد والجامعات السُّعودية. ومعلوم أن الدول كافة تتعامل مع الحركات المعارضة عبر أجهزة المخابرات[284].

---

283 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 118.

284 أخبرني الناشط الإسلامي نفسه بالآتي: "في أحد اللقاءات، وعلى هامش موسم الحج، سأل هذا الشَّخص عن أحوال اللاجئين العراقيين بمعسكر رفحاء، بحضور جماعة مِن الأحزاب الشِّيعية، ومنهم رئيس الوزراء الحالي نوري المالكي، وعن إمكانية زيارة المعسكر للإطلاع على أحوال العراقيين هناك، وهم في غالبيتهم، إن لم يكن كافتهم مِن الشيعة العِراقيين، الذي هربوا مِن العراق إثر فشل الانتفاضة الربيعية عقب تحرير الكويت مِن القوات العراقية. بان على وجه المسؤول السعودي الامتعاض ورد أن اللاجئين برفحاء أفضل من اللاجئين بدول أخر، فهي كانت تضمن المعاش والعلاج والتعليم. لكن لم ينطق أحد مِن القيادات الحزبية، الحاضرة الاجتماع بمكة، وكنت سمعتُ منهم بسوء أحوال اللاجئين العراقيين هناك، واخبرني المسؤول السعودي إذا رغبت بالذهاب إلى المعسكر فتفضل، لكن لم تسمح الظروف بذلك".

كذلك هدأ الخلاف القومي مع تركيا، ففي بادرة غير مسبوقة، بالنسبة لموقف الأتراك السلبي من القضية الكُردية عموماً، وما لديهم من ثقل المشكلة القومية الكُردية، استقبل البرلمان التركي وفداً من الحركة الإسلامية الكُردية العراقية (1993)، وأكثر من هذا أن رجال الوفد دخلوا إلى قاعة البرلمان بالثياب القومية الكُردية[285]. وربما تفسر خطوة البرلمان التركي بتشجيع دور الحركة الإسلامية بالضغط على القوى الكردية الأخرى في مسألة دعم حزب العمال الكُردستاني بتركيا، الذي عادة يجد في الحدود والجبال العراقية ملاذاً آمناً، وقاعدة للانطلاق ضد السلطات التركية.

ويعزو محمد سيد نوري البازياني أسباب القتال مع حزب الاتحاد الوطني الكُردستاني بالآتي: (لازدياد ظاهرة التدين، وإطلاق اللحية، والتَّحجب بين الشَّباب والشَّابات، مما أدى إلى حالة من التشنج بينهم وبين الحركة الإسلامية، بدعوى تسييس المساجد، وكان هذا أحد أسباب اندلاع القتال بين الحركة الإسلامية والاتحاد الكُردستاني، وفتور العلاقة بينها وبين الحزب الديمقراطي الكُردستاني)[286].

ولعلَّ التَّوسع الإعلامي كان سبباً آخر، فقد أسست الحركة الإسلامية محطة تلفزيون بأدوات محطة تلفزيون كركوك الحكومية، التي سيطرت عليها إبان انتفاضة آذار (مارس) 1991، وأخذت

---

285 المصدر نفسه، 119.

286 المصدر نفسه، ص 122.

تبث باسم (تلفزيون الحركة الإسلامية في كوردستان العراق)! أما حزب الاتحاد فقد عزا دوافع القتال إلى تبني الحركة الإسلامية، أي الفصائل التي دار القتال معها، إلى إشاعة الإرهاب.

بيد أن أمير الجماعة علي باپير تخلى عن حمل السلاح على اعتباره وسيلة لا غاية، ولا حاجة له في الوقت الحاضر بالنسبة للحركة الإسلامية، ومنها الجماعة السلفية، خارج الإخوان المسلمين، الذين يمثلهم حزب الاتحاد الإسلامي الكُردستاني، وغير المسلح من الأساس. جاء ذلك في مقابلة بثتها فضائية (الجزيرة) (4 حزيران/ يونيو 2006) ضمن برنامج (المشهد العراقي).

قال: (نحن صرحنا مراراً أننا ننظر إلى السلاح كوسيلة وليس كهدف، الهدف لنا كجماعة إسلامية خصوصاً وكالتيار الإسلامي عموماً هو إقامة شرع الله سبحانه وتعالى، بحيث نجعل مجتمعنا العراقي ككل، والكردستاني خصوصاً، مجتمعاً إسلامياً تحكمه شريعة الله سبحانه وتعالى. هذا هو الهدف ونحن متمسكون بالهدف! لكن، لسنا متمسكين بالوسائل لأن الوسائل تتغير، فالسلاح وسيلة احتجناها في السابق فحملنا السلاح، أو ربما كان بسبب حمل السلاح كنا نتضرر بأكثر مما ننتفع فوضعنا السلاح. لكن، إذا احتجناها مرة أخرى فنحن قلنا وصرحنا هذا مراراً بأنه نحن ندور مع مصلحة العمل الإسلامي ومصلحة شعبنا إذا اضطرتنا مصلحة شعبنا أن نحمل السلاح نعود لحمل السلاح)[287].

---

287 http://www.alibapir.com/

ويستشف من العبارة الأخيرة أن الشَّيخ باپير قالها مهدداً ومبرراً في الوقت نفسه، تهديد من توقع خصومة جديدة من قبل حزب الاتحاد الكُردستاني المهيمن على المنطقة، وتبرير لمَنْ ينتقد من الإسلاميين التخلي عن حمل السلاح، وبالتالي التخلي عن الجهاد!

إلا أن الساسة الغربيين، والإعلام الغربي، حسبوا الجماعة الإسلامية الكوردستانية (علي باپير)، والحركة الإسلامية (الشَّيخ علي عبد العزيز) من الحركات الإرهابية، وذلك لصلاتهما بجماعة (أنصار الإسلام) (ملا كريكار)[288]. وقد حصل أن اعتُقل قادة الحركات الثلاث: الملا كريكار بهولندا، والملا علي باپير من قبل القوات الأمريكية بعملية إنزال جوي وهو في طريقه إلى الاجتماع بالأمريكان في سد دوكان[289]، ودوكان مصيف بالقرب من السليمانية، يشرف على سد دوكان الشهير بالعراق، واعتقلت الشَّيخ علي عبد العزيز ببيته بحلبجة[290].

لكن، قبل هذا جاء في رسالة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون إلى الكونغرس الأمريكي، لاستحصال موافقة لإصدار قانون تحرير العراق (كانون الثَّاني/يناير 1998) أن الإدارة الأمريكية تفاهمت مع سبعة فصائل عراقية، كانت الحركة الإسلامية الكُردستانية من ضمنها.

288 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 190- 191.

289 المصدر نفسه، ص 210-211.

290 مقابلة مع الشَّيخ مشير مصطفى عبد الله، لندن 3 أبريل (نيسان) 2011.

ومما جاء في الرِّسالة، التي أذيعت في 26 كانون الثَّاني (يناير) 1998: (تتمركز الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، التي يرأسها الشَّيخ عبد العزيز في حلبچة، وتضم أعضاء من السُّنَّة، وبعض الشِّيعة في أنحاء منطقة شمال العراق، وهي تدعم باستمرار وحدة أراضي العراق في ظل حكم ديمقراطي فيدرالي). إلى القول بغية التأثير على الكونغرس: (فإن الحركة تلتزم بقوة بحقوق الإنسان لكل العراقيين، وتشجع الجهود لإجراء أبحاث في الآثار المستمرة للتعرض إلى الأسلحة الكيمياوية، ونشر نتائجها)[291].

وما ينطوي عليه الأمر من إشارة إلى تورط فصائل من الإسلام السِّياسي في عمليات إرهابية بين جبال ووديان العراق، من وجهة النظر الأمريكية والحزبين الكُرديين الرئيسيين، وذلك أن (أنصار الإسلام) أصدرت بياناً في 31 آذار (مارس) 2003) تؤكد فيه على الانتشار بشمال العراق، والاستعداد لشن عمليات انتحارية ضد القوات الأمريكية والبريطانية. وأن بياره التي هي معقل جماعة (جند الإسلام)، (فيها صور لأسامة بن لادن ولتفجيرات نيويورك)[292].

ويذكر الصحافي الفلسطيني زكي شهاب، الذي كان موجوداً، حسب روايته، بالمكان، قائلاً: (أبلغني مسؤولون أكراد أن مائتين إلى ثلاثمائة عنصر من أنصار الإسلام قُتلوا في غضون أسبوعين من

291 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق، ص 202.

292 زكي، العراق يحترق، ص 66.

القتال العنيف، واجبر قصف أخير من طائرات أف – 16 الأمريكية، وقاذفات القنابل الأمريكية الضخمة من طراز ب - 52، مقاتلي الأنصار الباقين على الهرب في الجبال إلى بر الأمان بإيران)[293].

هذا، والخلافات بين الفصائل الإسلامية الكُردستانية نفسها ليست قليلة، بين (الجماعة الإسلامية) و(أنصار الإسلام) من جهة، وبين (الحركة الإسلامية) وجماعة الأنصار من جهة أخرى، وما بين الجماعة والحركة أيضاً. وقد أشار الملا كريكار إلى تصاعد الخلاف بين جماعته وجماعة الشَّيخ علي باپير، حتى أسفر عن معركة استولت فيها جماعة باپير على محطة تلفزيون ومسجد تابع لجماعة كريكار. وذكر أيضاً: (أن حصل تيار الأخ علي باپير على الدعم المعنوي والمادي.. المال والحماية العسكرية)[294]. وأن الجماعة كانت مشجعة ومدعومة من قِبل الاتحاد الوطني للانفصال عن الحركة الإسلامية.

ليس بالضرورة أن يكون كلام الملا كريكار دقيقاً، لكننا استشهدنا به لتأكيد عمق الاختلاف بين الجماعتين. كذلك حدد الشَّيخ علي عبد العزيز موقف حركته من جماعة (أنصار الإسلام) بالقول: (لا يعترف الإسلام بتصرفاتهم. لقد نصحناهم مرات كثيرة بأن أفعالهم لن ترضي الله، لكنهم يأبون الإصغاء، ويثورون على حركتنا)[295].

---

293 المصدر نفسه، ص 67.

294 الملا كريكار، الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين، ص 234.

295 زكي، العراق يحترق، مقابلة شخصية مع الشَّيخ علي عبد العزيز، ص 69.

إجمالاً، يمثل الإسلام السِّياسي الكُردي اليوم، وبعد النهج البرلماني بالعراق، حزبان أو جماعاتان رئيسيتان، هما: (الاتحاد الإسلامي في كوردستان العراق)، وهو بقية حركة الإخوان المسلمين القديمة بالمنطقة الكُردية، وأمينه العام صلاح الدِّين محمد بهاء الدِّين، و(الجماعة الإسلامية) وأميرها علي بابير، وأحوال الانتخابات العامة على مستوى العراق والخاصة على مستوى الإقليم تبين مستوى حضور هاتين الجماعتين وهي كالآتي:

الاتحاد الإسلامي: أحرز في القائمة المشتركة مع التحالف الكردستاني[296]، في الانتخابات العامة على مستوى العِراق 2004 على ستة مقاعد، ونزل في قائمة مستقلة في انتخابات 2005 وحاز على خمسة مقاعد، ونزل في انتخابات 2010 ضمن قائمة التَّحالف الكردستاني وكانت حصته أربعة مقاعد. أما على مستوى إقليم كردستان فنزل في انتخابات 2005 ضمن التحالف الكردستاني وحاز على تسعة مقاعد، ونزل في انتخابات الإقليم 2009 مع قائمة الإصلاح والتغيير (غير الإسلامية) والجماعة الإسلامية، وحاز على ستة مقاعد، ولم يشارك في الحكومة بل تحول إلى المعارضة البرلمانية بصف الإصلاح والجماعة، بعد أن شغل في حكومة الإقليم التي تشكلت إثر انتخابات

---

296 كتلة برلمانية تضم أغلب الأحزاب والمنظمات الكُردية، وفي مقدمتها الحزبان: الديمقراطي الكردستاني (البارتي) بزعامة مسعود البارزاني، والاتحاد الكردستاني بزعامة جلال الطَّالباني، تشكلت هذه الكتلة بعد 2003 وخاضت الانتخابات العامة لدوراتها الثلاث: 2004، 2005، 2010، ويترأسها عضو المكتب السياسي ورئيس وزراء إقليم كردستان الأسبق الدكتور فؤاد معصوم

2005 برئاسة نيجرفان برزاني حقيبتين وزاريتين: التِّجارة والدولة. أما على مستوى العراق فشغل الاتحاد في الحكومة المركزية المشكلة 2005 برئاسة نوري المالكي وزارة الدولة، وشغل في حكومة 2010 برئاسة المالكي أيضاً وزارة الهجرة.

جدول (1) نسبة الإسلاميين الكُرد في البرلمان العِراقي

انتخابات 2010	انتخابات 2005	انتخابات 2004	الحزب أو الجماعة
لم تحصل	لم تحصل	لم تشارك	الحركة الإسلامية
مقعدان	مقعد واحد	مقعدان	الجماعة الإسلامية
4 مقاعد	5 مقاعد	6 مقاعد	الاتحاد الإسلامي(الإخوان)

الجماعة الإسلامية: دخلت الانتخابات العراقية العامة 2004، ودخلت الانتخابات العامة 2005 ضمن التحالف الكردستاني وحصلت على مقعد واحد،ثم دخلت الانتخابات العامة 2010 بقائمة مستقلة وحازت على مقعدين. وحازت الجماعة الإسلامية في انتخابات الإقليم 2005، والتي دخلتها بقائمة مستقلة على ستة مقاعد، ثم دخلت انتخابات الإقليم 2009 جمعاً مع قائمة حركة الإصلاح والتَّغيير (غير الإسلامية) وكانت حصتها أربعة مقاعد. شغلت الجماعة وزارة الدولة في الحكومة المركزية التي تشكلت إثر انتخابات 2010. وشغلت في حكومة الإقليم التي تشكلت إثر انتخابات 2005 وزارة البيئة، ولم تدخل الحكومة بعد انتخابات 2009 بل تحولت إلى المعارضة داخل البرلمان.

جدول (2) الإسلاميين في برلمان الإقليم

انتخابات 2009	انتخابات 2005	الحزب أو الجماعة
مقعدان	لم تشارك	الحركة الإسلامية
4 مقاعد	6 مقاعد	الجماعة الإسلامية
6 مقاعد	9 مقاعد	الاتحاد الإسلامي (الإخوان)

أما الحركة الإسلامية الكردستانية بزعامة الشّيخ علي عبد العزيز، فأخذت بالذبول بعد الانفلاق الكبير الذي حصل في داخلها، وسحبت الجماعة الإسلامية حوالى الـ 80 بالمائة من منتسبيها، وقسم آخر ذهب مع فصائل مسلحة أُخر، وإن وفاة زعيمها، في آذار (مارس) 2007، زادت في ذبولها وعزلتها، لذا لم نجد لها صدىً خارج مدينة حلبچة. لم تتمكن من الوصول إلى البرلمان العراقي، فهي لم تشارك في انتخابات 2004 ولم تحصل على أي مقعد في انتخابات 2005 و2010، كذلك لم تشارك في انتخابات الإقليم 2005 وحازت على مقعدين في انتخابات الإقليم 2009.

لكن، هناك أخبار تتداول عن تجديد دعم الاتحاد الوطني الكُردستاني لها، وذلك لمواجهة أو إحداث التوازن في الإسلام السِّياسي الكُردي كضغط على الجماعة الإسلامية الكُردستانية، جماعة باپير، أو محاولة لتحجيمها ربما كان ذلك إجراءً وقائياً وتحسباً للمستقبل، خصوصاً وأن أميرها ما زال سلفي النزعة، وحسب كتاباتها يتعامل مع الدِّيمقراطية والعلمانية بحذر وريبة، ويتعامل معهما كفريبين عن

الإسلام، فهما مستوردان أوروبيان، الإسلام تجاوز الأولى، حسب رأيه بديمقراطية الشورى، وأن لا موطئ قدم للثانية في الشريعة الإسلامية[297].

ونجد الشّيخ بابير المتصالح مع الوضع الديمقراطي، أو لنقل الهامش الديمقراطي إذا وافقنا على التحجيم لسطوة القوة الحزبية هناك، قد يتجاوز تداول العصور عندما يقول: (إن الإسلام يحتوي على جميع الجوانب الإيجابية في الدّيمقراطية، ولكن بشكل أفضل، وبعيداً عن أخطائها وقصورها، وهو بريء من سلبياتها، ونقاط الضعف فيها، وخصوصاً جوهرها ومضمونها عن تأليه الإنسان ممثلاً في البرلمانات، أو المجالس النيابية التي تُشرِّع للناس بغير إذن من الله تعالى)[298].

ولا نناقش الشّيخ بابير على فكرته أو عقيدته السّياسية، لكن هل لنا أن نعتبر قبوله بالدّيمقراطية البرلمانية حالياً، في الأقل، مسألة مرحلية! وفي حالة تمكنه مما يريد له أن يكون هل يسمح للرعية بالاستفتاء الحر على الدّيمقراطية الكاملة والمثالية التي يراها متوافرة في الفكر الدّيني؟ أم ستكون بيعة مشروطة[299]؟!

---

297 راجع بابير، مسائل عصرية نظرة واقعية وتقييم شرعي: في العلمانية، ص 71 وما بعدها. وفي الديمقراطية، ص 217 وما بعدها. .

298 المصدر نفسه، ص 255.

299 راجع قراءتنا لكتاب الشّيخ بابير «مسائل عصرية رائجة» في كتاب مسبار الشهري، العدد 18 السنة 2008 .

بعد معرفة مكان (الجماعة الإسلامية)، لعلَّ سائلاً يسأل عن مصائر الجماعة السلفية الأخرى و(أنصار الإسلام)، فقد أُخرجت من كوردستان العراق، ولم يعد للملا كريكار علاقة أو صلة بها، وذلك للظرف الذي يعيشه ببلاد النرويج لاجئاً، وبعد اعتقال وتحقيق واتهامات خطيرة بالإرهاب والصلة ببن لادن وتجارة المخدرات وغيرها[300].

وأنشطر أتباعها بعد ذلك تحت تسمية (أنصار السُّنَّة) بمناطق العراق الملتهبة من الموصل، وديالى والرمادي، مع المقاتلين العرب، وهؤلاء ليس لهم صلة بالقضية الكُردية بل يتحركون بمفهوم الإمارة الإسلامية والمقاومة، وينسب لها المسؤولية عن مقاتل ومجازر وذبح رهائن وتفجيرات لا عدة لها، وتعلن عملياتها على صفحات الإنترنيت تحت اسم (جيش أنصار السُّنّة).

وإذا كان هناك من انتقاد للتيار الإسلامي السِّياسي الكُردي، فلا يتعدى ما أشار إليه محمد سيد نوري البازياني، أحد ناشطي التيار السابقين، وعاد مؤخراً للعمل السِّياسي الإسلامي على مستوى القيادة: عدم انفتاحها على الحياة العصرية، ورفض سماع الموسيقى، واستخدام وسائل الإعلام للترفيه بذريعة البُعد عن الموبقات.

إضافة إلى ذلك فإن الحركة ككل لا تمتلك نظرية سياسية، وعلى حد عبارته: (فالدِّين أشمل من النظرية، وأن كانت النظرية

---

300 راجع كتابه الحلقة المفقودة بين بن لادن وصدام حسين.

بمعناها العام جزءاً من الدِّين. أقصد أن الدِّين، من حيث هو جملة من التعاليم والأوامر والنواهي وغير ذلك، لا يزود الحركة الإسلامية بما يمكن أن نسميه بالنظرية، ولكن بالإمكان استنباط النظرية التي نقصد من الدِّين)[301].

ختاماً، يبدو أن الإسلاميين الكُرد سيكسبوا الجولة، وسيتعمق وجودهم بالمنطقة الكُردية العراقية، إذا ما ظل ملف الفساد المالي والإداري بالإقليم من دون علاج، وكلما ازدادت المعاناة، وفي الوضع الديمقراطي، يتمكن الإسلاميون من التوسع، وإن فازوا في انتخابات الإقليم الأخيرة (25 تموز/ يوليو 2009)، فإن أكبر فصائلهم (الجماعة الإسلامية الكردستانية)، وأميرها الشَّيخ علي بابير، و(الاتحاد الإسلامي الكُردستاني) وأمينه الشَّيخ صلاح الدِّين محمد بهاء الدِّين، والتنظيم الأخير هو الإخوان المسلمين، يستحوذان على عشرة مقاعد من (111) مقعداً، لم يشاركا في تشكيل الوزارة، التي أسفرت عنها، ويبدو أنهما فضلا المعارضة البرلمانية.

بينما اشتركت (الحركة الإسلامية في كردستان)، ورئيسها الشَّيخ صدِّيق عبد العزيز، بحقيبة الأوقاف. والأخيرة وهي أصغر التنظيمات الإسلامية الكُردية، حيث حصلت على مقعدين في برلمان الإقليم، وانضمت إلى قائمة التَّحالف الكُردستاني لخوض الانتخابات

301 البازياني، مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان، ص 221.

العراقية العامة، بينما حتى كتابة هذه السطور مازالت الجماعة الإسلامية والاتحاد الإسلامي يمتنعان من المشاركة، ويعتزمان خوضها منفصلين.

الفصل الخامس

هيأة علماء المسلمين

في مستهل بيان تأسيسها أتت (هيأة علماء المسلمين) على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة الهيأة، وقد انتهت إلى القول: (وفي الاصطلاح اقتضى التعبير عن صورة الأمة وشكلها، وحالتها بالعلم الشرعي، وضروراته العلمية أن يُسمى جمع العلماء القائمين والقاصدين التعبير عن إحساس الأمة وشعورها بالهيأة)[302].

يتصدر إعلام الهيأة راية أو شعار عبارة عن خارطة العراق، خضراء اللون، تعلوها الآية: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)[303]، يمتد على طولها نهري دجلة والفرات، وتبرز في وسطها، أي من بغداد، يد تمسك بالقرآن الكريم، ويحيطها اسم هيأة علماء المسلمين بالعراق.

ننطلق من هذا التعريف، وذلك الشعار أو الراية، إلى عزم الهيأة على خوض العمل السّياسي، وأن تخويل رئيس الهيأة الشَّيخ حارث الضاري من قبل مجاميع من المقاومة في تمثيلهم أو أن يكون

---

302 هيأة علماء المسلمين بالعراق، التعريف والمفهوم، قسم الثقافة، أيلول/سبتمبر 2004 الموقع الرسمي: http://www.iraq-amsi.org

303 سورة آل عمران، الآية: 103.

بمثابة فقيههم لا يترك شكاً في تسييس الهيأة، وتعتبرها جزء من المقاومة ضد الوضع القائم، بل إن ممارسة العمل المسلح داخل العراق، وهو ما تسميه الدَّولة العراقية بالإرهاب، كذلك إن مفاهيم مثل: إحساس الأمة وشكلها وحالتها بالعلم الشرعي وشعورها، كلها سياسية، وإن حملت المعنى الفقهي الدِّيني.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لقد عبرت الهيأة عن مفهوم الأمة، وهو أوسع وأرحب من المذهب، إلا أن واقع موقفها السِّياسي، والظرف العراقي المستجد، جعلها تنكمش في المذهب الواحد، لا البلاد أو الإسلام ككل، وإن كانت تسعى إلى ذلك، لكن السِّياسية بالمفهوم الدِّيني، أو بالحدود الدِّينية، لا يمكنها الخروج من مجال الطَّائفة أو المذهب؛ وهذا أمر تفرضه وقائع الأمور، ليس بيد الأحزاب أو الهيئات تجاوزه، ما دامت تنطلق من الرؤية الدِّينية في السياسة.

إن إلقاء نظرة متفحصة لبيانات الهيأة وخطاباتها تدل على أنها هيأة سياسية، وذات منحى مذهبي محدد، أي أنها هيأة سُنيَّة، ولا يحد حديثها باسم العراقيين من طبيعتها المذهبية، بمعنى لا يشارك أعضاؤها أهل المذاهب الأخرى، لهذا جعلناها ضمن الحركات السِّياسية، وضمن مكونات أهل السُّنَّة على وجه التحديد.

ولا يمنع هذا تعاملها مع جماعات شيعية مثل جماعة الخالصي ورجال دين شيعة من الرافضين للوضع الحالي بالعراق.

نقرأ في أوراقها أيضاً مصطلحات تذكر بأحزاب شمولية، قومية أو أممية مثل: (ضمير الأمة)، و(عقل الشعب)، وهي مصطلحات ذات استخدام حزبي شمولي، لعلَّ الأول من لدُّن الأحزاب القومية، والثَّاني من فيوضات الأحزاب الأممية ذات المنحى الطبقي، وهي على رأس السُّلطة.

جاء في تعريف الهيأة لنفسها أنها (الكيان الذي يُفهم مجموعة من العلماء المتخصصين بالشريعة، يحملون مجموعة من المفاهيم والمقاييس والقناعات الإسلامية. (إلى القول) أما من حيث وجودها العملي والميداني فإن الهيأة بالنسبة للأمة الإسلامية كالعقل والقلب واللسان بالنسبة للجسد، أو هكذا يجب أن تكون)[304].

أما أسباب التَّأسيس، حسب أدبيات الهيأة وبياناتها، فترتبط بدخول (الكافر المحتل بلاد المسلمين الذي دمَّر كل شيء طالته يده وعدته وسلاحه، وحين فرَّ الحاكم المستبد، وجعل الشعب المسلم بالعراق، ومَنْ يواليه من أهل الكتاب والملل الأخرى تحت عجلة القوى الحاقدة المعاصرة بشكل مباشر)[305].

ولا يفوتنا القول بأن الهيأة تنطلق، إضافة إلى حرصها على وحدة العراق وسلامة شعبه، حسب ما جاء في بياناتها، من مسألة

304 موقع هيأة علماء المسلمين الرسمي: http://www.iraq-amsi.org/news.php

305 موقع جريدة البصائر، كراس هيأة علماء المسلمين التعريف والمفاهيم، رابط: http://www.basaernews.com

تاريخية الحكم بالعراق، الذي كان لقرون برأس سُنِّي، مثلما هو الحال بالجمع بين الخلافة السِّياسية والإمامة الدِّينية في العهد العباسي، الجمع بين الدِّين والدَّولة، أو مثلما هو الحال إبان العهد الملكي والجمهوري السابقين، للحاكم السُّلطة السِّياسية وللفقهاء الدِّين.

لذا يمكن القول: أن أحد أسباب تأسيس هيأة، أو مرجعية لأهل السُّنَّة بالعراق، على وجه التحديد، هو فك الارتباط التَّاريخي بين السُّلطة السِّياسية والدِّينية. فبعد التاسع من نيسان (أبريل) 2003، وبنية نقل السُّلطة عن طريق الانتخاب، وجود شيعي وكُردي على رأسها- رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء- وأن تتحول الأوقاف إلى وقفين: سُنِّي وشيعي، كل هذا يدفع إلى التفكير بمرجعية دينية سُنِّية توازي المرجعية الشِّيعية، التي عمرها أكثر من ألف عام، وهي تعيش خارج الدَّولة، وتتزود بأموال أتباعها من ضريبة الخُمس، الذي ليس مثلها لدى فقهاء أو مراجع، إن صحت العبارة، أهل السُّنَّة.

المرجعية الشِّيعية التي تحركت في الانتخابات الأولى بقوة، وأسفر تدخلها عن برلمان انتقالي وحكومة انتقالية بكثافة لقائمة الائتلاف التي دعمتها، وأسفرت الثَّانية (2005)، عن برلمان دائم وحكومة دائمة بالكثافة نفسها، تحت مبرر حماية حقوق الشِّيعة، وبالمقابل وقفت المرجعية السُنِّية المفترضة ضد الانتخابات، ولعلها أثرت في ضآلة إقبال أهل المناطق الغربية بالذات على صناديق الانتخاب.

ومن قبل تأسيس هيأة علماء المسلمين بالعراق عرف المسلمون العراقيون، من أهل السُّنَّة، أكثر من هيأة وتنظيم علمائي، من الفقهاء بالتحديد، لا تخالطهم اختصاصات أخرى مثلما هو الحال في هيأة علماء المسلمين الحالية. نذكر منها: جمعية (رابطة العلماء)، التي أسسها (1953) الشَّيخ أمجد الزهاوي (ت: 1967). ومن رؤساء الرابطة كان مفتي بغداد السابق نجم الدِّين الواعظ (ت: 1976). وأسس قبلها الزهاوي جمعية (الأخوة الإسلامية) (1951)، والتي انطلق منها نشاط الإخوان المسلمين، حيث عضوية مرشده العام الأول بالعراق الشَّيخ محمد محمود الصراف (ت 1992) فيها.

وعلى ضفة أخرى من التفكير أسس الشَّيخ عبد الجبار الأعظمي (قتل 1971)[306] رابطة (رجال الدِّين الأحرار) (1959)،

---

306 رجل دين مال إلى اليسار، وسُجن لمدة عشر سنوات. وقد حدثني المربي إبراهيم الأعسم، أحد المسجونين السِّياسيين معه بسجن الحلة، أنه لما حضر إلى المحكمة كان يعتمر عمامته وزيه الدِّيني، وكان الحاكم يسخر منه، إذ كيف لرجل دين أن تكون له يد في تنظيم الحزب الشِّيوعي، وقال أيضاً: كان يؤدي بالسجن فروض الصلاة في أوقاتها. نشط في حركة السلم وفي مواجهة الإعلام المصري ضد الجمهورية العراقية، هو ومجموعة من علماء الدِّين ورجاله.

قُتل بكَلالة، حيث مقر الملا مصطفى البارزاني، شمال العراق، في حادث تفجير مجلس البارزاني (29 أيلول (سبتمبر) 1971) من قبل الأمن العراقي، بعد أن وفد إلى هناك مع مجموعة من رجال الدِّين، ومن دون أن يعلموا بما خطط الأمن العراقي، وقد قتلوا بالحادث، كذلك قُتل معه أخوه عبد الوهاب الأعظمي في الحادث نفسه. ولد بالأعظمية 1931، ودرس على العلماء العراقيين المعروفين: نجم الدِّين الواعظ، وقاسم القيسي وغيرهما. وعين خطيباً بجامع المصرف (1950)، ثم خطيباً بجامع الوزير (1957) حتى 1963.

أصدر مجلة «الثقافة الإسلامية» (1955)، ولما أغلقت أعاد إصدارها (1959) «سجن عشر سنوات لتأييده حكم عبد الكريم قاسم... وسجن بسجن نقرة السلمان الصحراوي، والحلة، وبغداد، ثم اعفي عنه، وأعيد للخدمة في الأوقاف بوظيفة مفتش معابد». له من الكتب: السلام والحرية في الإسلام، =

ويبدو أنها كانت مختلطة من فقهاء المذهبين: الشِّيعة والسُّنَّة. وتصدت لمهام مجابهة الفتاوى التي كان يصدرها شيوخ مؤسسة الأزهر ضد العراق في زمن جمال عبد النَّاصر (ت: 1970). وهناك هيئات إسلامية عديدة تبناها فقهاء الدِّين في شؤون التربية، والأدب، وما كان منها تهيئة لتأسيس الإخوان المسلمين أيضاً، مثل جمعية (الشبان المسلمين في الموصل). وحالياً هناك أكثر من هيأة ورابطة إسلامية أو مسلمة بالعراق: رابطة (علماء الفلوجة)، واتحاد (علماء الدِّين الكُرد)، ولدَّى علماء الشِّيعة رابطة (علماء الدِّين)، وجماعة العلماء المجاهدين) وغيرها.

تأسست هيأة علماء المسلمين، التي نحن بصددها، بُعيد سقوط النظام السابق (14 نيسان/أبريل 2003)، أي قبل تشكيل مجلس الحكم بثلاثة شهور حسب. وهنا ترى الهيأة أن مجلس الحكم، والكيانات العائدة من المنافي غير شرعية. وحسب بيانها كانت فكرة كامنة: (تكوين الهيأة أمر قديم، فإنه جدد العهد لما أمضى...)[307]. ويشي شعار الهيأة بأنها ملاذ لأهل العراق كافة: خارطة البلاد خضراء، تخرج من وسطها يد حاملة كتاب القرآن مفتوحاً. وربما أشارت الخضرة إلى كثرة الخصوبة، حيث أرض السواد، أو إلى راية النبوة، تعلوها الآية (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جميعاً...).

=والذكرى المحمدية الخالدة، وتحت راية القرآن، وشهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، صوت الإسلام في الجمهورية العراقية، وغيرها (السامرائي، علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، ص 334).

307 موقع جريدة البصائر، كراس هيأة علماء المسلمين التعريف والمفاهيم، رابط: http://www.basaernews.com

كان أحد أبرز القائمين على تأسيسها، والذي تولى رئاستها وما زال، هو الشَّيخ حارث سليمان الضاري، وهو يجمع بين مشيخة العشيرة والدِّين، حيث ينتمي إلى عشيرة زوبع من الدليم، وكان جده أحد البارزين في ثورة العشرين. وإن قصة مقتل الكابتن البريطاني لچمن معروفة لدى الكثيرين، كذلك هناك ما كُتب حول صلات الشَّيخ ضاري المحمود السَّابقة مع البريطانيين، كبقية شيوخ العشائر، ثم حصل الاختلاف معهم، والتحق بالثورة ضدهم لأسباب شخصية. وقد جمع علي الوردي معلومات قيمة حول دور الشَّيخ ضاري، وما حدث له بعد فشل الثورة، حتى وفاته بالسجن، بُعيد الحكم بالإعدام عليه، ثم تخفيضه إلى المؤبد[308].

ولعلَّ في تجربة الشَّيخ الضاري في التَّوافق المذهبي مع الشِّيعة ما يستحق الدراسة، فهو وجماعته تمثلوا بفتاوى علماء الشِّيعة، وكان آخر مطاف له بعد فشل الثورة، قبل أن يُلقي الإنكليز القبض عليه بحادثة قتل لچمن، كربلاء والنَّجف حيث (حضر تنصيب السَّيد محسن أبو طبيخ لمتصرفية كربلاء في 6 تشرين الأول/أكتوبر 1920)[309]. وهذا ما لا يتوافر للحفيد الشَّيخ ضاري، لأن الزمن غير الزمن، والعثمانيون، الذين دافع عنهم وجهاء سُنَّة وشيعة، وأن الإنكليز الذين تصدى لهم

---

308 راجع الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الفصل الرابع: ثورة زوبع 2/5 ص 66 وما بعدها.

309 المصدر نفسه، ص 74.

وجهاء الطائفتين أيضاً ليسوا كدولة البعث والأمريكان. ومع ذلك لا الشَّيخ ضاري، ولا الشَّيخ الخالصي، ولا السَّيد البغدادي، وكل أحفاد المقاتلين والثائرين في ثورة العشرين يريدون فهم هذه الحقيقة.

وبذكرى تلك الثورة، التي لم يبق منها سوى الاسم، حيث تأسست (كتائب ثورة العشرين) على تراث تلك الثورة، الذي يحاول الأحفاد استخدامه في الدعاية للمقاومة الحالية، ومعلوم أن الكتائب محسوبة على هيأة علماء المسلمين، واتضحت الصورة ببيان تخويل الشَّيخ حارث الضاري، الذي بثته الكتائب مع جماعات أخرى، وقبله رئيس الهيأة رسمياً أيضاً.

كانت أكثر دراسة الشَّيخ الضاري، بعد الثانوية، بالقاهرة، حيث جامع الأزهر، وحصل منها على الدكتوراه بعلم الحديث، وكانت أطروحته: (الإمام الزَّهري وأثره في تدوين السُّنَّة)، والتي صدرت كتاباً. وقد أطلعت عليه فوجدته بحثاً جاداً، على خلاف ما حاولت بيانات جماعة القاعدة من الحط منه، بعد الإعلان قبول مؤلفه تخويل الجماعات المسلحة، التي اختلفت مع القاعدة حول القتل الجماعي والتكفير، وإنشاء ما سمته بدولة العراق الإسلامية وإماراتها.

ولم يُعرف عن الشَّيخ الضاري أنه دخل في حزب البعث، أو تعاون بشكل من الأشكال، على الرغم من تبعيث التعليم في مراحله كافة. وعند عودته من الدراسة شغل وظيفة مفتش بدائرة الأوقاف،

ثم أستاذ مساعد ثم أستاذ بالجامعة. وكغيره خرج من العراق لضيق الحال، فعمل في التدريس بالأردن والإمارات، وبعد سقوط النظام عاد إلى بغداد.

وما أن وصل الشَّيخ الضاري العراق (تموز/يوليو 2003) حتى فكر مع رجال دين من أهل السُّنَّة بتأسيس الهيأة، وخلاف الغالبية من العراقيين، رأت أن تأسيسها أو ظهورها جاء لخلو الأرض من الشرعية: لـ (تتولى الإشراف على كثير من شؤون الأمة في حال غياب السلطان الشرعي). ومن حق الهيأة أن تملأ فراغ الشرعية، لكنها أغفلت قدسية كلمة الحق أمام (الشرعية) الجائرة! ويمكن تفسير ذلك بما تقدم حول موقف المذاهب السُّنّية من الإمام أو الخلافة بشكل عام!

ومن جانب آخر نجدها أهملت ما منحته لنفسها بأنها لكل العراقيين! ويبقى هذا مطلباً لا واقعاً، لأن المجتمع قد قُسم على أساس الولاء المذهبي، وقد بدأ هذا الفرز في العقدين الأخيرين من فترة حكم البعث، حتى من دون الإفصاح عنه بكلمات مباشرة، ذلك أفصحت صحف النظام عبر سلسلة من مقالات جريدة (الثورة)[310] السَّنة 1991، التي تناولت سكان منطقة الأهوار بأسوأ النعوت، وهي دولتهم.

وما نشرته جريدة عدي صدام حسين (بابل)[311]، عندما

---

310 بلا اسم كاتب، جريدة الثورة العراقية الصَّادرة ببغداد تاريخ 5 نيسان (أبريل) 1991.

311 بلا اسم كاتب، جريدة بابل، الصَّادرة ببغداد تاريخ 10- 13 نيسان (أبريل) 2002.

تناولت عقيدة المهدي المنتظر وطقوس عاشوراء بالتجريح، والمشكلة أن التجريح صادر من الدَّولة لا من جماعة أو شخص، ويصعب عدُّ (بابل) بأنها ليست من صحف الدَّولة! مع أن صاحبها يمتلك آلة الدَّولة الإعلامية. ومعلوم أن كل هؤلاء المعنيين، إلى جانب الكُرد، يعدون هذا النظام ليس شرعياً، مع فهمنا لما عنت منه الهيأة في قول الشرعية[312]. بعد هذا يثور السؤال، على أرض الواقع وفي الجدل السِّياسي: كم من أهل الشمال انتخبوا تلك الشرعية؟!

والسؤال: كم من أهل الجنوب والوسط والغرب جدد البيعة بملء إرادته؟! حتى يكون من حق الهيأة ملء كرسي الشرعية المسلوب!

لقد انحسر تأثير المرجعية المؤملة لـ(هيأة علماء المسلمين) في الإطار السُّنِّي نفسه، فمن غير خلافها، إلى حد العداء، مع الحزب الإسلامي العراقي، هي ليست على وئام مع الوقف السُّنِّي، حتى كانت المواجهة الأخيرة أن أعلن رئيسه الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي إفراغ جامع أم القرى، أم الطبول سابقاً، من الهيأة، وكان مقرها الرئيسي، اتخذته عِقب سقوط النظام.

تأسست (هيأة علماء المسلمين بالعراق) (14 نيسان/أبريل 2003)، حسب وثائقها الرسمية، من تلاقٍ بين جهتي بغداد. توحيد بين

---

312 راجع التمهيد في الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب، ما يخص أحاديث وأقوال العلماء بشرعية الحاكم في جميع الأحوال.

(هيأة علماء الشريعة) بالكرخ، و(جمعية علماء المسلمين) بالرصافة، والأخيرة كانت من طلبة علوم الدِّين، الذين لا يُذكرون بطبيعة الحال بجماعة طالبان بباكستان وأفغانستان!

عاد شيوخ الهيأة من الخارج، وكان في مقدمتهم الشَّيخ أحمد الكبيسي، الذي ترك الهيأة وبغداد بأجمعها واستمر قاطناً إمارة دبي من دولة الإمارات العربية المتحدة، والشَّيخ حارث الضاري، من الخارج، عادوا وأسسوا هيأتهم، واتخذوا من أرحب جوامع بغداد ومساجدها مقراً لها، جامع أم القرى مثلما تقدم، وتفرع لها أكثر من ثمانية عشر فرعاً، ولها جريدة ورقية تحت عنوان (البصائر)، ولها إذاعة (أم القرى)، (ونداء الرافدين) وجرائد أُخر تصدر عن فروعها.

لا يغفل للهيأة بياناتها التي بلغت 565 بياناً حتى كتابة هذه السطور، من غير التصريحات اليومية، وتصلح مصدراً للباحث في شأن حوادث بغداد والعراق أجمع، منذ 2003 وحتى الساعة. تجد فيها توثيقاً لأحداث العنف والإرهاب يوماً بيوم، فلا تمر مجزرة من المجازر إلا وانتقدتها الهيأة وأدانتها، وكذلك الحال بالنسبة للحوادث السِّياسية، وإن كان في الغالب من البيانات تحملها إلى طرف بعينه، مع أن الفاعل الحقيقي لعدد ليس قليل منها اعترف مبتهجاً بفعلها على رؤوس الأشهاد.

كان بيانها الأول (16 تموز/يوليو 2003)[313] ضد تشكيل مجلس الحكم كونه مجلساً طائفياً، وهذا صحيح. لكن، هناك مَنْ علق في حينها بالقول: إن مشهد الأغلبية من العمائم الشّيعية والأفندية أثار الهيأة ضد الوضع كاملاً، إذا علمنا أنه كان بيانها الأول! من دون إغفال موقفها الواضح من الاحتلال، الذي من المفروض أن يكون هو بيانها الأول، علماً أنها تأخرت بإصدار البيانات حتى الإعلان عن مجلس الحكم.

---

313 نص البيان: «بيان رقم (1) حول ما يسمى بـ(مجلس الحكم)، وكان فاتحة المواجهة الصريحة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين. أما بعد: فإن هيأة علماء المسلمين بالعراق تدارست موضوع ما يسمى بمجلس الحكم الانتقالي فرأت – وبصرف النظر عن صلاحيات المجلس المذكور والجهة المشكلة له ومن تشكل منهم- أنه قسم الشعب العراقي تقسيماً طائفياً وأعطى طائفة معينة أغلبية مطلقة على جميع مكونات الشعب العراقي وفئاته دون استناد على استفتاء أو إحصاء دقيق، وكنا من قبل لا نريد الخوض في مسألة النسب والأرقام، لأن الكلام فيها يعد بالنسبة لنا من قبيل تأجيج الروح الطّائفية التي نأباها لضررها على الوحدة الوطنية. التي يدعو إليها العقلاء من كل الأطراف».

«لكن بعد أن أقرت سلطات الاحتلال هذا التقسيم رسمياً –ولأسباب لا نجهلها- كان لا بد من بيان الحقيقة، وهي أن الفئة التي أعطيت الأغلبية –مع احترامنا لها- لا تمثل في الواقع الغالبية المطلقة على جميع مكونات الشعب العراقي وفئاته كما يشاع في الإعلام، بل لا تمثل هذه الطّائفة الغالبية في الوسط الإسلامي من الشعب العراقي إذ يشكل المسلمون الآخرون من عرب وكرد وتركمان وغيرهم ما يزيد على الخمسين بالمائة وفق إحصائيات سابقة وإحصائيات خاصة وسيتأكد ذلك في الإحصاءات والاستفتاءات إذا حصلت في المستقبل إحصاءات أو استفتاءات دقيقة ونزيهة».

«كما رأت الهيأة أن المجلس قد افتتح أعماله بأسوأ قرار ألا وهو جعل يوم سقوط بغداد واحتلال العراق يوم عيد وطني وقد تحدى بذلك القرار السيئ المشين مشاعر الشعب العراقي الوطنية بجعل يوم الاحتلال لبلدهم يوم عيد لا يوم حزن وأسى ليميت في نفوسهم مشاعر العزة الوطنية والاعتزاز بالوطن وهو أمر لا يُغتفر لمن اقترحه ولا لمن وافق أو وقّع عليه ولا يسامح الشعب العراقي من أصدره في يوم من الأيام».

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل». هيأة علماء المسلمين بالعراق- المقر العام 15/ جمادى الأولى/1424هـ 16 تموز/يوليو 2003، (http://www.iraq-amsi.org).

وبالمقابل يحسب للهيأة بياناتها العديدة، التي تضامنت بها مع الأطراف الشِّيعية، ووجهت احتجاجها ضد المجازر التي طالت مواطنيها من المذهب الآخر. وكان أولها في هذا المضمار بيانها الخامس[314]، الذي انتقد بشدة واستهجن عملية اغتيال السَّيد محمد باقر الحكيم (اغتيل 2003).

وفي بيانها السادس انتقدت الهيأة تفجير مقر الأمم المتحدة ببغداد. وفي أكثر من بيان انتقدت تفجيرات: كربلاء، والنَّجف، والكاظمية، وسامراء، والمسيب، مثلما انتقدت بياناتها تفجير الكنائس، والحوادث التي طالت المسيحيين، والأيزيديين، واستقبلت وفد الصابئة المندائيين وطمأنتهم بالتضامن مع محنتهم واستضعافهم في تلك الأجواء الرهيبة، وأدانت صراحة القتل بشكل عام.

وخلافاً للمرجعية الشِّيعية التَّقليدية، أو الهيئات الإسلامية التي سبقتها، ربما نجد هيأة العلماء تقوم على آلية تنظيمية تشبه الأحزاب: أمانة عامة، ومجلس الشورى، والأعضاء العاملون، والأعضاء المؤازرون. وتتكون الأمانة العامة للهيأة من ثلاثة عشر عضواً، وأمين

---

314 من نص البيان: «وهي إذ تستنكر هذا العمل الإجرامي وغيره من الأعمال التي تستهدف بها علماء الأمة ومراجعها ورموزها الإسلامية والوطنية تجزم بأن هذه الأعمال لا يقصد منها إلا إثارة الفوضى والاضطراب في هذا البلد في الوقت الذي يعمل فيه المخلصون من أبنائه لجمع الكلمة ورص الصف والقضاء على الفتن التي يؤججها الأشرار ويستثمرها الأعداء الذين لا يريدون بالعراق وأبنائه إلا الشر. تغمد الله الفقيد بعفوه وغفرانه. وإنا لله وإنا إليه راجعون. هيأة علماء المسلمين بالعراق المقر العام 3 / رجب/1424هـ/30/آب/2003، (http://www.iraq-amsi.org).

عام. أما مجلس الشورى فيتألف من خمسين عضواً. بطبيعة الحال، لا تجمع بين هؤلاء العلماء العقيدة الإسلامية حسب، بل والانتماء إلى المذهب والموقف السِّياسي أيضاً، وهذا الأخير جعل آل الخالصي يلتقون مع الهيأة من دون انتماء، وهم أصحاب صوت غير مؤثر، هذه الأيام، في الوسط الشِّيعي عموماً.

ما لا ريب فيه أن العقيدة الإسلامية لا وجود لها خارج الأُصول والفروع المذهبية، أي لا مسلم بلا انتماء مذهبي، فالإسلام اسم كلي لا وجود له على أرض الواقع بلا مذاهب. ولأن انطلاق الهيأة كان سياسياً أكثر منه دينياً فهي لا تعلن صراحة هويتها المذهبية مثلما هو الحال مع المرجعية الشِّيعية عبر التَّاريخ.

وإذا أرادت، أو رجت، هيأة علماء المسلمين من اسمها أنها كيان مفتوح للعراقيين المسلمين كافة، إلا أن الواقع يخذلها. ويمكن أن يكون عنوان الهيأة عامل اطمئنان واستقرار وتقارب بين أهل البلد الواحد، إذا كان خارج السياسة، وإلا فأمر الإمامة أمرٌ ما بعده أمر في فرقة النَّاس، وليراجع ما قاله في خطورتها، وهي تربط بقاعدة دينية، أصحاب الرسائل جماعة إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري)، وصاحب كتاب (الملل والنحل) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (القرن السادس الميلادي)، وقد سبقت الإشارة إليهما في محلهما من الكتاب.

وضعت هيأة علماء المسلمين أربعة أهداف لعملها:

1- تمثيل المرجعية الشرعية للمسلمين بالعراق، من دون تحديد مذهب معين، ومثلما سبقت الإشارة أنها لم تتمكن من الخروج عن نطاق أهل السُّنَّة بسبب أدائها السِّياسي وخطابها المعبر عن طائفة دون أخرى.

2- العمل على إنهاء الاحتلال الأمريكي- البريطاني للعراق بالوسائل المشروعة.

3- تثبيت العقيدة الإسلامية، ونشر حقائق الدِّين، وعبرها يأتي العمل على تحقيق سيادة الشريعة في نواحي الحياة كافة.

4- ترسيخ قواعد الأخوة والتضامن بين المسلمين، والعمل على إزالة الفِرقة والخلاف، وإشاعة روح التسامح.

غير أن الهيأة ربطت تحقيق تلك الأهداف بزوال الاحتلال، بل والدَّولة التي أُعيد بناؤها بوجوده، وكررت عبارة (تسلَّط الكافرين)، وهي إيماءة إلى أن الاحتلال جاء لأهداف دينية، ولربَّما يتطلب ذلك شحذ عواطف النَّاس، من دون علم أن ذلك يسري على غير المسلمين كافة، وهو الخطاب نفسه الذي ساد في مواجهة الإنكليز في السَّنة 1914 ثم أثناء ثورة العشرين(حزيران 1920).

أخذت الهيأة تصدر بيانات خطيرة مصادرها السماع

والإشاعة، مثل بيانها الرقم 20 والمؤرخ في 22 شباط (فبراير) 2004 حول التنصير، وهو قد يؤدي إلى عنف ضد المسيحيين العراقيين، الذين دافعت الهيأة عنهم، عندما فُجرت كنائسهم وقُتل عدد من رهبانهم[315].

والأخطر من هذا ربط البيان بين التبشير بالمسيحية، والإساءة إلى النَّبي. كان على الهيأة أن تتعالى على مثل تلك البيانات، وفي زمن الفتنة قائمة، بل وصلت إلى الذروة من اضطراب الأمن، وسفك الدماء،

---

315 نص البيان: «فإن هيأة علماء المسلمين بالعراق، ترى من الضرورة بمكان تنبيه أبناء الشعب العراقي على ما ينجم عن الاحتلال – يومياً- من تداعيات خطيرة، تمس الثوابت الدِّينية، فقد انطلقت حملة محمومة للتنصير وبدأت تدخل القطر كل يوم، آلاف المنشورات التي تبشر بالنَّصرانية، بطباعة أنيقة ومعلومات مبسطة، ترد إلى الناس عن طريق البريد، من غير معرفة مسبقة لهم بالأمر، وأحياناً تترك عمداً في أماكن تجمعات الناس وغير ذلك من الأساليب التي تبدو عفوية، ولا يُخفى على اللبيب أنها مقصودة».

«وفي الوقت نفسه تحدث خروقات كبيرة تطال الدِّين ورموزه العظام، ومن أخطر هذه الخروقات ما عرضته إحدى دور النشر الإيرانية (مؤسسة المبين الثقافية) في معرض أقامته الجامعة المستنصرية –للأسف الشديد- من صورة لشاب أمرد ذي سحنة غربية، وسجلت محاذاته القول: صلى عليك الله يا رسول الله، وثبتت في الجزء الأدنى من الصورة رسماً لمسجده الشريف، في إيحاء واضح بأن الصورة المثبتة هي لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد ذيِّل المشهد بصورة وردة حمراء معروف أنها تمثل رمزاً لما يسمى (عيد الحب)».

«وبقليل من التَّأمل يبدو أن قرن الوردة مع صورة شاب أمرد لا تخلو من دسيسة مقصودة. والذي نريد أن نسجله هنا إن استغلال ظروف العراق، وغياب السُّلطة الشرعية فيه، وانعدام الرقابة القانونية عن متابعة ما يجري في البلد من أنشطة غير مشروعة، لتحقيق أهداف من هذا النوع، سيدفع بالناس إلى استهجان هذا العمل واحتقار فاعليه، لأنه اصطياد في الماء العكر، وهذا أمر لا يفعله إلا ضعاف النفوس. وإننا ندعو أبناء شعبنا إلى اليقظة وأخذ الحذر من وقوع هذه التجاوزات بأيدي أبنائنا، حرصاً عليهم من التلوث بهذه السموم، حتى يأذن الله لهذه الغمة بالزوال، وحينئذٍ لكل حادث حديث»
.(www.iraq-amsi.org)

وكلها تقوي من وضع المحتل بل وتزيد من مبررات وجوده ظاهراً، وهذا خلاف ما تهدف إليه الهيأة إلا وهو خروج المحتل.

يبدو أن الهيأة لا تريد إعلان، أو تفهم، واقع الحال وانقسام العراقيين إزاء المحتل، الذي سببه جور صاحب الحملة الإيمانية صدام حسين على المسلمين أنفسهم، إلى مؤيد ومعادٍ، ولربما كان الكثير منهم فضل المحتل (الكافر) على جَور الحاكم المسلم الجائر. وهنا لا بد من التذكير بما أوردناه في مقالات وكتب من ربط زوال السلطان بالظلم، وتفضيل الكافر العادل على المسلم الجائر[316].

وأكثر من هذا هناك ما كان سائراً على ألسّن المسلمين من القول المثل: (لولا الخبز لِما عُبد الله)[317]. وما هو معلوم، أن الخبز، وعلى وجه الخصوص لدى العراقيين، هو كناية عن العيش، وكل وسائل الحياة الضرورية، وهو تعبير عن سبل الرزق كافة. لكن، لم يكتف العراقيون باستبدال الظالم، ليستمروا فرحين بالبديل، وها هم أعلنوا احتجاجهم وبالمنطق نفسه!

---

316 قال ابن الطقطقي أو الطقطقا (ت701هـ): «لما فتح السلطان هولاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة، أمر أن يستفتى الفقهاء: أيهما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر. ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك. فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب، وكان رضي الدِّين علي بن طاووس حاضراً هذا المجلس، وكان مقدماً محترماً، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر. فوضع الناس خطوطهم بعده»(ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص 17).

317 الميداني، مَجمع الأمثال 2 ص 258.

هنا لا نقصد محتلاً أو سلطة بعينها إنما الوقائع أفرزت ذلك، مثلما اختلف النَّاس إزاء المغول، والاحتلال العثماني والإيراني الصفوي، والاحتلال البريطاني، بين مؤيد ومعاد، عندما نُظر في أمر تلك السلطات أو الاحتلالات. ألم يتعامل فقيه الحلة، وهو من أئمة الشِّيعة، ابن طاووس(ت: 664هـ)[318]! مع المغول الإيلخانيين! ألم يتعامل الوجيه البغدادي، وهو من أئمة السُّنَّة، عبد الرحمن النقيب (ت: 1927) مع البريطانيين، وتبوأ منصب رئاسة الوزارة تحت احتلالهم! وكان من قبل ضائقاً من جور الولاة العثمانيين، ثم

---

318 استغل ابن طاووس الفرصة كي يُثبت مبدأ العدل، ويقدمه على الإسلام أو الإيمان، وهو حسب القول المأثور «الدِّين المعاملة». خصوصاً وأن هولاكو ليس مسلماً، وبالتالي لا يتعصب لمذهب ما. بل ظل على ديانته البوذية هو وأولاده، حتى أسلم حفيده غازان خان، ليعرف بالسلطان محمود. وقد رفض ابن طاووس، من قبل، طلباً للخليفة العباسي المستنصر بالله (ت640هـ1242 ميلادية) في أن يكون رسوله إلى المغول، أو وزيراً لديه. وكان ابن طاووس، هو والمحقق الحلي جعفر بن حسن (ت 676هـ 1277 ميلادية)، فقيها لمدينة الحلة، فادا وفداً على هولاكو ببغداد لرده عن اجتياح بلدتهم، وبالفعل جنبها القتل والنهب، الذي تعرض له أهل واسط لرفضهم الأمر الواقع، وليس لديهم ما يردون به.

لم يتأخر علماء الشِّيعة، المقربون من السُّلطة، عن التذكير بمقالة ابن طاووس في العدل. جاء على لسان العلامة محمد باقر المجلسي (ت1111هـ- 1699)، وهو أشهر فقهاء الحقبة الصفوية، عن أبي عبد الله جعفر الصادق، قوله: «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم». غير أن أُصول هذه الوصية تظهر في التراث السُّنِّي أيضاً، ورد عند الفقيه الشافعي أبي حامد الغزالي (ت 505هـ 1111 ميلادية)، ويجعلها حديثاً نبوياً. قال: «السلطان في الحقيقة هو الذي يعدل بين عباده (يقصد عباد الله على الأرجح)، ولا يقوم بالجَور والفساد، لأن السلطان الجائر مشؤوم، وأمره إلى زوال. وذلك أن النبي (ص) قال: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم». وورد النَّص أيضاً عند نجم الدِّين الرازي (654هـ 1265 ميلادية). إضافة إلى أن العدل أصل ديني من أُصول الشِّيعة. مثلما هو من أُصول المعتزلة، فللشيعة تاريخ طويل في التعرض للمظالم، فلا بد أن يكون تقديم العدل على سواه من الأُصول. وبعد حين مرَّ على انفجار الثورة الإيرانية الإسلامية، وملامسة النَّاس لسلطة فقهاء الدِّين يأخذ المغني الإيراني المعروف فرهاد مهراد نص تلك العبارة ويغنيها مذكراً بحكمتها.

احتمل الشريفين على الرغم من تفضيله للأتراك عليهم[319]!

على أية حال، أرى الهيأة أغفلت هذا الجانب، وعدت نفسها كمرجعية عبر الفتوى الدِّينية وتحديد السياسة الشرعية، والعمل على توجيه النَّاس، لكن من دون طمأنة الخواطر بالاعتراف بما أنزله النظام السابق من مظالم، وقاد إلى الحال التي وجد فيها المحتلون مؤيدين، وليس لنا المكابرة.

أقول هذا أما أنها وضعت في حساباتها أن تتولى نظام التعليم عبر دراسة العلوم الشرعية، وتحديد مجالات الثقافة، وصناعة الخطاب الفكري، فهي عبر تلك الوسائل تتطلب (نظام دخول المجتمع لإعادة سُلطان الأمة إلى ذاتها)! ونجدها تترك للشورى ورأي الأمة مجالاً، ففي نيتها بعد استكمال نظام الرأي والفتوى السياسة الشرعية (عرضها على الجمهور ليتعرف على المشروع المرجعي الشرعي). بمعنى أنها تعد لنظام شامل، تحتاج فيه إلى تعاطف الجمهور.

ويبدو حتى هذه اللحظة أن قوام الهيأة المذهبي، وهو أمر تفرضه طبيعة المجتمع العراقي مثلما أسلفنا إضافة إلى خطابها، لا يفتحها على الجمهور العراقي خارج المذهب السُنَّي، بل وبحدود. وما

---

319 يُذكر أن عبد الرحمن النقيب الكيلاني قال للمس بيل: «أفضل ألف مرة عودة الترك إلى بغداد على أن لا أرى الشريف (حسين بن علي) أو أبناءه يُنصب أحدهم هنا»(الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص 59 عن مس بيل، من تاريخ العراق القريب، ص 480. بصري، أعلام السياسة بالعراق الحديث، ص 61).

زال الخطاب خطاباً دينياً، يتحدد بفئة معينة، فلا يجد مجالاً بين العراقيين كافة، ولا يوجد حزب، أو حركة، أو هيأة دينية تتصدى للسياسة خالية من المذهبية، وليس بالضرورة أن الطّائفية ضد غيرها، لكن قبول أحادية المذهب أو الطّائفة لا بد أن تسفر عما لا تُحسب عقباه!

فهل بإمكان الهيأة التحرر من محدودية الخطاب؟! فعلى الرغم من بياناتها المتكررة، لدعم التعايش الدِّيني والمذهبي بين العراقيين، إلا أن خطابها الانفعالي كان يدفع إلى عكس الغاية، وذلك من خلال حصر العنف بين الشِّيعة، وفي داخل الحكومة، بينما جماعات سُنّية، خارج الحدود وداخلها، عاثت بدماء العراقيين، ولربما من بين ضحاياها علماء الهيأة نفسها.

وما سمعناه على لسان الناطق الرَّسمي باسم الهيأة الشَّيخ بشار الفيضي، عندما سأله مذيع الإذاعة البريطانية (2007)، ضمن برنامج خاص بالعراق، وكنت أحد المشاركين فيه، حول الموقف من أعضاء القاعدة، أجاب بما معناه: إنهم يحاربون لتحرير البلاد! لكن كم من العراقيين يعتبرون القاعدة منظمة إرهابية، وأنها مسؤولة عن جرائم كبرى، وبياناتها نجحت في تحقيق العنف الطائفي! وبلا شك أن الغالبية من العراقيين، ومن غالبية أهل السُّنَّة أنفسهم، يرون ذلك، وتثبته بيانات القاعدة نفسها.

كان اسم الشَّيخ بشار الفيضي معروفاً داخل العِراق، قبل سقوط النِّظام، كونه متحدث عبر الإذاعة وكاتب في الصحافة، وربما بهذه الخلفية أُختير في أن يكون ناطقاً رسمياً باسم هيأة علماء المسلمين، فهو أحد المكلفين مِن قِبل مديرية الأمن العام، مِن بين عديدين، وبتوجيه مِن نائب رئيس مجلس قيادة الثَّورة عزت الدُّوري، لمواجهة خُطب الشَّيخ أحمد الوائلي (ت: 2003)، قارئ المنبر الحسيني المعروف، وقد أخذ يتعرض للحملة الإيمانية، وزرع الطَّائفية حسب تقدير السُّلطة آنذاك، واقترحته مديرية الأمن للمشاركة في ثلاث لجان للحملة: العقائد والفكر الإسلامي، والمقالات الصحفية الهادئة، والمحاضرات في إذاعة القرآن الكريم[320].

كان الأقرب لقلوب أغلب العراقيين أن تتخذ الهيأة موقفاً حازماً من المسلحين غير العراقيين، لا أن تتحدث إلى الغرباء، وإن كانوا عرباً، بلغة النصيحة والشراكة في أمر الجهاد. وهنا نقرأ في بيانها المرقم 157 والمؤرخ في 15 أيلول (سبتمبر) 2005 ما انتقدت به أبا مصعب الزَّرقاوي (قُتل 2006) على إعلانه لقتل الشِّيعة، بينما عدت مشروعه مشروعاً جهادياً، وكان الأجدر أن تُخرج الزَّرقاوي وأمثاله من المعادلة، وعندها تكون أقرب إلى النجاح ضد الأمريكان، فمن المؤكد أن ضحايا الزَّرقاوي سيقتربون من الأمريكان بقدر ما

---

320 صورة مذكرة مديرية الأمن العام، طبق الأصل، مجلة الإرشيف فصلية وثائقية مصورة. العدد الرَّابع 2010 ص 268 - 278.

يبتعدون من الهيأة نفسها على أساس خطابها المذكور[321].

بعد ذروة الخلاف مع الحكومة، التي تعتبرها الهيأة عميلة وطائفية ودموية وغيرها من نعوت القطيعة، صدرت مذكرة اعتقال للشيخ حارث الضاري، وبأثرها انتقل نشاط الهيأة القيادي إلى الأردن، وما زال هناك حتى كتابة هذه السطور. ومن اللافت للنظر أن مناسبة وفاة الرئيس العراقي السابق عبد الرحمن عارف (آب/ أغسطس2007) جمعت بين أعضاء من الحكومة، من وزير الداخلية جواد البولاني، والسفير العراقي بعمَّان سعد جاسم الحياني وغيرهما، حيث صلوا جميعاً بإمامة الشَّيخ الضاري، على الرغم من عمق العداوة واختلاف المذهب، مع وزير الداخلية في الأقل.

وإذا عدت الهيأة نفسها مرجعية للعراقيين كافة، على حد بياناتها وخطابات قادتها، إلا أن موقعها أخذ يتحجم ويتراجع بين أهل السُّنَّة نفسها، فالموقف، باعتقاد العديد من وجهاء أهل السُّنَّة، من الانتخابات الأولى والثَّانية، والتشدد الخارج عن طبيعة السياسة ودقة الظرف، سبب عزلاً للطائفة ككل، وسطوة للمسلحين بالمناطق الغربية وديالى والموصل، تحت مسمى المقاومة. فقد حصل بدء الخلاف مع

---

321 مما جاء في البيان بعد نقدها لهجومه وتهديده للشيعة ومَنْ يشارك في العملية السياسة من أهل السُّنَّة: «وأخيراً فإننا نُذكر بالله تعالى أبا مصعب الزَّرقاوي من منطلق أن الدِّين النَّصيحة، أن يتراجع عن هذه التهديدات، لأنها تسيء لصورة الجهاد وتعرقل نجاح المشروع الجهادي المقاوم بالعراق وتدفع إلى إراقة المزيد من دماء الأبرياء من العراقيين»(www.iraq-amsi.org).

الحزب الإسلامي، لأنه آثر المشاركة في العملية السّياسية، والتنسيق مع الأمريكان، كأمر واقع.

ونشب الخلاف مع الوقف السُنّي، برئاسة الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي، وقد عمل على إخراج مقر الهيأة من جامع أم القرى، مثلما أسلفنا، وإغلاق إذاعة الهيأة (أم القرى)، حتى قدمت الهيأة على موقعها الرسمي استفتاءً حول ما سمته باغتصاب الإذاعة: (هل هو إعلان الاستقواء بالمحتل، أو عدم وجود رادع خلقي وديني، أم محاولة لمدح الظالمين)! وأصدرت بيانين احتجاجيين، أكدت فيهما أن الغرض من إخلاء مقر الهيأة هو إخراجها من دائرة الفعل المؤثر خدمةً لجهات مشبوهة على حد ما ورد في بيانها[322]. ونجدها قد أشارت في البيان الأول إلى السامرائي، بخلاف العادة، لا بلقب السَّيد ولا الشَّيخ.

في لقاء مع الشَّيخ رئيس الوقف السُنَّي، بثته قناة السومرية (18 كانون الثَّاني 2010) الساعة السابعة مساءً، وضح فيه كيف انهارت العلاقة مع هيأة علماء المسلمين ووصلت إلى حد القطيع، بل المواجه، قال: (عندما فجر أحد أعضاء القاعدة نفسه بمدينة العامل (غرب بغداد) وقُتل أكثر من 32 طفلاً (نهاية 2004) صعدتُ المنبر في مسجد جامع أم القُرى (مقر الهيأة آنذاك)، وقلت: قتل نفسه فإلى

322 البيان المرقم 495 والمؤرخ في 14 تموز (يوليو) 2007، والبيان 496 والمؤرخ في 15 تموز (يوليو) 2007 بيانات الهيأة على موقعها الرسمي: http://www.iraq-amsi.org/news.php

جهنم وبئس المصير، أيحسبُ أنه سيتعشى مع الرَّسول)[323]! وحينها اعترض عليه شيوخ في الهيأة، وربما كان هذا بداية النهاية في العلاقة بين الوقف السُنِّي والهيأة.

إلا أن ما أوصل الأمر إلى الدرك، هو، حسب الشَّيخ السامرائي، أن القاعدة كانت تخطط لتفجير ضريح الإمام أبي حنيفة النعمان بالأعظمية، شمال شرق بغداد، فأعد الشَّيخ قوة بقيادة مسؤول حمايته وابن خاله، وقاد مقاتلين لتحرير الأعظمية من القاعدة، وأُلقي القبض على رجل منهما اعترف بالمخطط، وأن هناك 21 سيارة مفخخة أُعدت لهذه العملية، وبعد نجاح العملية وفشل تفجير الضريح إذاعة قناة هيأة علماء المسلمين (الرافدين) بأن ميليشيا أحمد عبد الغفور السامرائي أعدمت أربعة مجاهدين! وبهذا قرر رئيس الوقف السُنِّي طرد الهيأة من مقرها جامع أم القُرى[324].

هذا، وكان الشَّيخ السامرائي من أوائل الذين تنادوا لتأسيس هيأة علماء المسلمين، لكن الخلافات عصفت وجعلته يكون في موقع معارض لها. ولعلَّ من أهم الأسباب، إضافة إلى ما تقدم، في الخلاف بين الهيأة والوقف السُنِّي، هو دعم الأخير، كمؤسسة

---

323 قناة السومرية، برنامج ولكم القرار، مقابلة مع الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي، تقديم نبيل جاسم 18 كانون الثَّاني (يناير) 2010.

324 المصدر نفسه، والجامع أم القرى جامع رئاسي في زمن صدام حسين، أُفتتح 2002، وأقام فيه الشَّيخ السامرائي بعد سقوط النِّظام 2003، وأصبح حينها مقراً لهيأة علماء المسلمين.

ومرجعية، لتأسيس الصحوات من أهل السُّنَّة، التي تصدت للقاعدة وبقية المسلحين. هذا ما أجاب به الشَّيخ محمود الصميدعي، وهو أحد علماء السُّنَّة من مؤسسي جماعة علماء العراق، كموازٍ أو بديل عن هيأة علماء المسلمين. قال الصميدعي: (كان للوقف السُنِّي بشكل عام ورئيسه الدكتور أحمد عبد الغفور السامرائي بشكل خاص دور كبير في تشكيل مجلس صحوة الأعظمية، ونجاح التجربة شجع على تشكيل مجلس صحوة سامراء، وتغيير الواقع الذي عاشته المدينة حينما كانت تسيطر عليها القاعدة)[325].

كذلك كان الشَّيخان السامرائي والصميدعي وراء تأسيس (اتحاد علماء العراق) للطائفتين، مثلما وردت الإشارة إلى أنه موازٍ لهيأة علماء المسلمين، ومحاولة لجمع شمل المسلمين كافة، من دون أغراض حزبية أو مذهبية. قال الشَّيخ الصميدعي: (الاتحاد كان حاجة ملحه والفكرة بدأت بعد توقيع وثيقة مكة[326] قبل أكثر من عام ونصف، وكانت هناك مشكلات طائفية كبيرة في البلاد أودت بحياة الآلاف فاتفقت مع عبد الحليم الزهيري مستشار رئيس الوزراء، وفؤاد المقدادي رئيس مؤسسة اليقين الإسلامية على إيجاد مركز علمي

---

325 موقع: www.niqash.org مقابلة أجرتها خلود رمزي مع الشَّيخ الصميدعي(16 نيسان/ أبريل 2008)

326 وقعت الوثيقة بمكة، مساء يوم الجمعة المصادف 20 تشرين الأول(أكتوبر) 2006، حيث الكعبة شاهداً، وبدعوة من المملكة العربية السعودية، وبرعاية المؤتمر الإسلامي، لعلماء أو فقهاء من الطائفتين، لنبذ التطرف والقتل على الهوية، وإعلان البراءة ممَّنْ يمارسهما.

لجمع المسلمين سنة وشيعة، وساندنا في ذلك الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي رئيس ديوان الوقف السُنَّي.

وبعد عدد من الاجتماعات نجحنا في تشكيل هيأة تأسيسية، وتم عقد المؤتمر التحضيري الأول بداية حزيران (يونيو) الماضي واتفقنا على عقد المؤتمر الأول في السليمانية، لكن تحسن الأوضاع الأمنية في البلاد شجعنا على عقده ببغداد مطلع شباط (فبراير) الماضي وتشكيل أمانة عامة تضم 15 عضواً أما عدد المنتسبين إلى الاتحاد فوصل إلى 300 شخص من رجال الدِّين من السُّنَّة والشِّيعة والأكراد)[327].

وضم الاتحاد رجال دين من الطَّائفة الأخرى، مثل رئيس الوقف الشِّيعي السابق السَّيد حسين بركة الشامي، الذي قال: (المؤتمر استكمال للجهود والنشاطات التي يقوم بها كثير من العلماء لمواجهة وتطويق الحالة الطَّائفية وحالة الإرهاب، أو حالة التفكك في المجتمع العراقي الموحد. يُعدُّ دور العلماء دوراً أساسياً، وانطلاقاً من مسؤوليتهم الشرعية والوطنية تنادوا بعضهم البعض ليشكلوا وحدة تنعكس بايجابية على وحدة الشعب العراقي بكل مكوناته الطَّائفية والاجتماعية... ليس بديلا عن أي جهة وإنما هو اتحاد العلماء المسلمين بالعراق ويعتبر المؤتمر محطة من محطات التواصل مع العلماء ومع المجتمع على حد سواء)[328].

---

327 موقع: www.niqash.org.

328 مقابلة مع راديو (سوا) الأمريكي http://www.radiosawa.com.

ومن جانبه أسس الشَّيخ خالد الملا، الذي انتمى إلى الائتلاف الوطني مع المجلس الإسلامي الأعلى الشِّيعي وغيره من الكيانات والشخصيات السِّياسية الشِّيعية، حركة علماء المسلمين بالبصرة، كمحاولة إيجاد بديل أو خلق موازٍ لهيأة علماء المسلمين وفرعها هناك، الذي كان يرأسه بالبصرة والمنطقة الجنوبية عامة الشَّيخ يوسف الحسان، الذي اغتيل وهو في طريقه إلى صلاة الجمعة بجامع البصرة الكبير (16 حزيران/يونيو 2006). ويتفق الجميع على أن الأخير كان على مستوى من المسؤولية، وصاحب دأب لتقارب وجهات النظر، وإخماد الفتنة، التي استعرت بعد تفجير الضريح العسكري بسامراء، وهو من الشخصيات المؤثرة في تهدئة الحالة الطَّائفية، ويحظى بتقدير واحترام القوى السِّياسية هناك.

فقدت هيأة علماء المسلمين عدداً كبيراً من أعضائها والمؤازرين، ومن أوائلهم الشَّيخ ضامر الضاري شقيق رئيس الهيأة، وأبرز أعمدتها بالبصرة الشَّيخ الحسان، ومن بينهم أيضاً الشَّخصية الأكاديمية الدكتور عصام الراوي، وآخرهم، حتى كتابة هذه السطور، عضو الهيأة الإدارية ومدرس مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان الشَّيخ محمود طلب الجميلي (16 أيار/مايو 2008)، وعضو فرع الهيأة بالموصل الشَّيخ خليل إبراهيم النعيمي وغيرهم العديد. قتلوا ضمن أوار الحرب بين الميليشيات المسلحة. وكبقية المقاتل يصعب تحديد القاتل بالاسم والعنوان، إلا أن الهيأة تشير بأصابع الاتهام

باستمرار إلى عناصر من الحكومة، والميليشيات التابعة لأحزابها، وتحمَّل الاحتلال الأمريكي المسؤولية بالدرجة الأولى، ولعلَّها مسؤولية اعتبارية، فالاحتلال فسح المجال بتقويض مؤسسات الدَّولة، وفرض حالة الفوضى بالبلاد.

إن الخطوة التي أبعدت هيأة علماء المسلمين عن العراق، ودقت الأسفين بينها والكيانات العاملة في السياسة داخل العراق، والمتحملة مسؤولية الدَّولة، من أهل السُّنَّة أحزاب وشخصيات، هو التخويل الذي قبله رئيسها الشَّيخ حارث الضاري، من جماعات المقاومة، ومنها جبهة الجهاد والتحرير، كتائب ثورة العشرين، وجهاد هذه الجماعات، التي يُعد الضاري فقيهها أو مرشدها، ذلك إذا جاز لنا تشبيه الحالة بالحالة الشِّيعية بإيران، ومع اختلاف ما تعنيه ولاية الفقيه.

لقد نشرت (جبهة الجهاد والتغيير) التخويل في بيانها تحت عنوان (إعلان ثقة وتخويل)، ومنه:

1- إعلان ثقتنا بالشَّيخ الدكتور حارث الضاري (أمين عام هيئة علماء المسلمين في العراق) لما عرفنا فيه من رباطة جأش وثبات على المبدأ ومطاولة للأعداء وصبر على البلاء وإسناد منقطع النظير للجهاد والمقاومة في العراق على الرغم مما تعرض ويتعرض له من ضغوط وتجاوزات ولأننا نعده الحارس الأمين على مبادئ وثوابت الجهاد والمقاومة في العراق والرجل الشجاع صاحب الموقف الحق الذي لا يتخلى عنه ولو كلفه ذلك حياته.

2- تخول الشَّيخ حارث الضاري بان يتحدث باسمنا ويفاوض عنا في الأمور السِّياسية ذات الصلة بنا وان ينوب عنا في كل المحافل ليدافع عن دماء الشهداء الزكية التي سالت على ثرى العراق والليوث، التي أسرت والأعراض التي انتهكت والأموال التي هدرت([329]).

وبدون تأخير، وبعد تسعة أيام، نشرت هيأة علماء المسلمين التخويل نفسه ثم الموافقة والقبول، واعتباره تكليفاً شرعياً واجباً لا بد من قبوله. ومما جاء في موافقة الشَّيخ حارث الضاري، مثلما نشرها إعلام الهيأة الرسمي:

(بعد شكري لله تعالى أقدم شكري لكم على ثقتكم بيَّ وتخويلكم لي في ما يتعلق الأمر بكم سياسيا وعندما يقتضي الأمر ذلك.. ونظراً لكون الموافقة على مثل هذا التخويل تعد من الواجبات الشرعية والوطنية، التي لا يجوز لمثلي العدول عنها، على الرغم مما يترتب على ذلك من أعباء وتبعات، ولا سيما في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة من تاريخ بلدنا وأمتنا).

---

329 موقع جبهة الجهاد والتغيير الرسمي: http://www.jhadfront.com/index.php الموقعون على الإعلان:

1- جبهة الجهاد والتغيير: كتائب ثورة العشرين، جيش الراشدين، جيش المسلمين في العراق، الحركة الإسلامية لمجاهدي العراق، سرايا جند الرحمن في العراق، سرايا الدعوة والرباط، كتائب التمكين، كتائب محمد الفاتح، جيش التابعين، جيش الجهاد.

2- عصائب العراق الجهادية.

3- جيش المجاهدين المرابطين.

4- جيش الإمام أحمد بن حنبل(8 جمادي الأخرة 1430 هـ 1 حزيران(يونيو) 2009).

(فإني أعلن موافقتي على هذا التخويل نزولاً عند رغبة إخواني في الفصائل الجهادية المباركة التي أولتني ثقتها، والتي أرجو أن يوفقني الله لأن أكون عند حسن ظنها، وأعاهد الله تعالى وأعاهدها على أن أبذل كل ما بوسعي في هذا المجال مهما كلفني ذلك من جهد وتضحيات، ولها علي أن لا أقطع أمراً دونها. وأخيراً: إن قبولنا هذا التخويل سيكون عونا لنا بإذن الله تعالى على تحقيق هدفنا في أن يكون العراق لكل أبنائه...) (أخوكم حارث سليمان الضاري، الأربعاء 15 جمادى الآخرة 1430هـ 10 حزيران 2009)[330].

عموماً، كان نشاط الهيأة في المقاومة سراً، وقد يظهر في تعليق أو إشارة، لكن بعد إعلان التخويل والموافقة أصبحت الهيأة في منأى عمَّا يجري داخل العراق، وابتعدت كثيراً عن القوى التي يمكنها التَّعاون معها في العمل السِّياسي أو الدعوي، بعد أن كسرت العظم مع عشائر الصحوات بالأنبار وبعقوبة، ومع الحزب الإسلامي العراقي والوقف السُنِّي، وسواها من الكيانات السُنِّية.

ولا ندري، كيف لها أن تبقى عاملاً مؤثراً في الشَّخصية السُنِّية العراقية، بين المتدينين، في الأقل! وأن خطابها الحاد أبعدها عن تفعيل دورها من داخل العراق، خصوصاً أن دول الجوار، التي تتخذها الهيأة مقراً لها ولإعلامها، تتجه بتطبيع العلاقات مع الدَّولة العراقية،

---

330 موقع هيأة علماء المسلمين الرسمي: www.iraq-amsi.org/news

وآخرها زيارة الملك عبد الله بن الحسين إلى بغداد (11 آب/أغسطس 2008) حيث يستقر قادة الهيأة، وتمارس نشاطها. وإن العناصر المسلحة، التي طالما راهنت عليها الهيأة في الضغط لخروج الأمريكان والتغيير في الواقع السِّياسي أخذت بالهبوط، وتمكنت الجهات السُّنِّية، المعروفة بالصحوات من إبعادها عن مناطقها، التي كانت بمثابة ملاذات وحاضنات لها.

الفصل السَّادس

الجماعات المسلحة

لا يخفى على المتابع لشأن الحركات المسلحة داخل العراق، التي منها ما تنطبق عليه صفة الإرهاب الدِّيني، ومنها المقاوم كراهة لغزو واحتلال، الغموض الذي يكتنف وجودها وأسماء قياداتها وتحركها، إلى حد يمكن القول: إن كل ما كُتب عنها من مقالات، وما ورد حولها من تقارير لا يتعدى، في الغالب منه، الافتراضات والتلميحات والإيماءات، ومبتسراً من تقارير أجنبية، اعتمدت على اعترافات أدلى بها المعتقلون بالسجون الأمريكية داخل العراق حيث هي المالكة حق التصرف بالحالة الأمنية، ويمكن أن تكون، تلك الاعترافات، مموهة وكاذبة، للخلاص من تعذيب أو للفوز بإطلاق سراح، أو تهويل من صحفي غربي، كما جرت العادة، كل هذا جائز ووارد عند البحث في شأن تلك الحركات.

فعلى خلاف بقية الأحزاب والحركات، التي شهد العراق وجودها ونشطت في ظروف سرية خانقة، إلا أن بياناتها واضحة وقواها معروفة وأهدافها منشورة وشخصيات قادتها معلومة، وإذا لم يتوافر شيء واضح عنها داخل العراق تجد مَنْ يمثلها خارجه ويحتفظ بجزء

من أرشيفها، بدول الجوار أو الدول البعيدة. ولم يكن هناك حصار دولي عليها يحدُّ من نشاطها سراً وعلانية خارج العراق، مثلما كان الحال مع أحزاب وحركات المعارضات السَّابقة، حيث تعتمد علاقاتها مع الدول حسب مواقف تلك الدول من الأنظمة العراقية.

لم تجد حركة الجهاد بالعراق، الراهنة، ما وجدته القوى الإسلامية المتشددة بأفغانستان مثلاً، من غطاء دولي رسمي ثقيل، كانت أمريكا الداعم الأول، بالمال والسلاح والموقف السِّياسي الأممي، أو ما وجدته حركات معاكسة دولية كان الاتحاد السوفيتي أو الصين أو إيران داعمات علانية لها.

فلا تجد الحركة الجهادية الحالية، والمقاومة الإسلامية ذات الصبغة السلفية، الحضن الدولي العلني، مع كثرة الأحضان السرية، فإيران التي لا يخفى دعمها للحركات المسلحة، شيعية منها أو سُنَّية، لا تصرح علانية، ولا بإمكانها السماح لنشاط إعلامي أو ميداني من داخلها، وكذلك الحال مع سوريا وبقية الدول، وذلك لأنها ستكون بمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي الأمم المتحدة صراحة.

إضافة، ولعلَّه السبب الأقوى، إلى أن دول الجوار مع العراق أو البعيدة نفسها تطارد تلك الجماعات، وتخشى من انعكاسات الحالة العراقية عليها، ولا يُنسى، في هذا المجال، تصريح وزير داخلية المملكة العربية السعودية الأمير نايف بن عبد العزيز لجريدة (الوطن)

السعودية: (لا شك أن الوضع بالعراق أثر على المنطقة كلها، ونحن كدولة مجاورة بلا شك نتأثر أكثر، وللأسف أصبح العراق الآن متلقياً لكل من يعمل في الإرهاب، لأنه يجد التدريب والمساعدة وهذا أمر مؤلم، وأصبح الأثر والمشاكل ليس للعراق وحدها، لأنه أصبح يصدر هذه الأعمال لبلدان أخرى ومنها المملكة)[331].

وأن ما يُعقد، بين حين وآخر، من لقاءات على أراضي دول الخليج، قطر مثلاً، من مؤتمرات أو اجتماعات للجماعات المسلحة، فيعقد بتكتم، وينتهي ببيان مبهم خالٍ من توثيق لأسماء الملتقين أو القائمين على الأمر، مذيّل عادة باسم الناطق الرسمي بالكُنية أو الاسم المستعار! بينما كان الجهاد، أو المقاومة، تمارس بأفغانستان عبر تظاهرة دولية، أولها طرد الدَّولة الأفغانية الموالية للاتحاد السوفيتي من الأمم المتحدة، وبقية المنظمات الدولية، وإحلال المجاهدين محلَّها.

ليس للحركات الجهادية بالعراق ماضٍ معروف أو حتى حاضر ثابت، بل هي حديثة المنشأ ومتشظية باستمرار، يصعب ملاحقتها والتثبت منها، أو ما يُمكّن من كتابة تاريخ لهذه الحركة أو تلك. ليس هناك من إذاعة أو محطة تلفزيون أو صحيفة، أو أية وسيلة إعلام تنفع بالبحث المكتبي، أو سبيل ينفع للقيام ببحث ميداني. وما وجدناه من الذين كتبوا بادعاء البحث الميداني، واللقاءات المباشرة بتلك

---

331 جريدة الوطن السعودية، العدد: 2452 المؤرخ في 17 يونيو (حزيران) 2007.

الحركات، لم يتمكنوا من رصد أحوالها، مما يشي بأنهم بالغوا كثيراً، أو نفخوا بالافتراضات على أنها حقائق قائمة.

وعلى العموم، ليس أمام الباحث في أمر الحركات المسلحة الإسلامية، أو الجهادية، سوى المواقع الإلكترونية، ونشرات الأخبار في الصحف أو الفضائيات والإذاعات، التي هي الأخرى تعاني من ضغط أمني أو مخابراتي دولي، إضافة إلى ما فيها من مبالغات، ولربما شخص، أو مجموعة لا تتعدى عدد أصابع اليد، أنشأت موقعاً، ورفعت رايةً وشعاراً، واتخذت اسماً لحركة أو تنظيماً لا وجود لهما على أرض الواقع، وتوهمك أنها تحرك جيوشاً جرارة.

ولا تغفل كثرة الانتحالات والأكاذيب في العمليات المسلحة والتحرك الجهادي، فما إن تعلن جماعة عن إنجاز (بطولي) إلا وردت عليها جماعة أخرى بحقها في تلك العملية! وقد بدأ كذب تلك الجماعة، وقناة (الجزيرة) القطرية عموماً، عندما بدأت تبث في الأيام الأولى من بداية العمل الجهادي أو المُقاوم مشاهد لجماعات تعلن تأسيسها، في أجواء مسرحية، مجموعة مقنعين يتنكبون أسلحتهم، وعلى رؤوسهم لافتة نُقشت عليها عبارات دينية، ويظهر أميرها يقرأ بياناً، وقد تبين في ما بعد أنها مشاهد ممثلة، اختص بها جماعة من المنتحلين، تباع وتشترى!

عالم متداخل من الحقائق والأكاذيب، تسوده السرية والأسماء الوهمية والكُنى، يقدم نفسه، في الكثير من الأحيان، عبر الأناشيد

والبيانات الدِّينية، والفتاوى القاتلة. عالم تجده واسعاً في الإنترنيت وضيقاً إلى حد الوهم على أرض الواقع، يعبِّر مجازاً عن جيوش جرارة تخفق راياتها: خضر وسود مع أناشيد تحرض على الجهاد ترجمت إلى اللهجة العراقية. فعندما تسمع النشيد التالي على موقع (كتائب ثورة العشرين)، أو (حركة الجهاد والتغيير) تتوهم أن المجاهد يطارد آخر جندي أمريكي بصحارى وبطاح العراق، وأن الإمارة الإسلامية قد انتصرت ببغداد، وخفقت رايتها من على سارية القصر الجمهوري، ويؤدى مع موسيقى مثيرة:

شـلَّك بالـروح إداريـها تـوكـل بالله وشـن الغـارة
خلّ سلاحك تلهب ناره وتبيع النفس إلباريه (الله)

ويختم النشيد وبصوت شجي مثير للحماسة:

المحتل يهرب لو مر بينا لا النصر إحنه وأنسرينه
ريـاح الجنَّة هبت بينـه حور العـين إحنه انتانيـه[332].

يُذكِّر مثل هذا النشيد بأناشيد الحرب العراقية الإيرانية، وبالفترة التي سبقت سقوط نظام صدام حسين. وتبدو عبارة (تبيع النفس إلباريه) مقتبسة بمعناها من آية مقايضة الأنفس بالجنَّة: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُون وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ

332 موقع كتائب ثورة العشرين: http://www.ktb-20.com

وَالإنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[333]. وهي التي نحتت منها إحدى تسميات الخوارج (الشراة)، عندما ظهروا من داخل جيش الخلافة بقيادة الإمام علي بن أبي طالب (اغتيل 40هـ660 م) في وقعة صفين (37هـ656 م) مع جيش إمارة الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان (ت: 60هـ679 م).

لكن، لا نعني بما تقدم، من عدم الوضوح المعلوماتي لتلك الحركات، أن الإرهاب لا وجود له بالعراق، وأنه لا يصدر من قوى منظمة بل محكمة التنظيم، فإذا كان هذا كذلك فمَنْ الذي يُفجر ويقتل، وحتى لو افترضنا أن الأمريكان يقومون بتلك العمليات، على رأي مَنْ يذهب إلى ذلك من دون دليل أو اعتبار للواقع، فلا بد من منفذين عراقيين أو أجانب! إنما نعني عدم ثبات الحركات، والمبالغة بقواها وما حققته على الأرض من انتصار، فصوت الانفجار، الذي يقتل المئات ويدمر العمارات، يمكن أن يقف خلفه شخص أو شخصان، وأن المجموعة التي تنفذه ينتهي وجودها بعد العملية! مع الاعتراف بوجود حركات لها امتداد بالداخل العراقي والخارج.

---

333 سورة التوبة، الآية 111.

الدَّولة الإسلامية

أُعلنت (الدَّولة الإسلامية في العراق)، أو (دولة العراق الإسلامية) في غضون ذي الحجة 1427 الموافق نيسان (أبريل) 2007، وقيل في 15 تشرين الأول (أكتوبر) 2006 حسب بياناتها، وما نقلته المواقع المهتمة بشأن الحركات المسلحة داخل العراق. أُعلنت من قِبل تنظيم (القاعدة في بلاد الرافدين)، والجماعات التابعة لها، وجميعها على النهج السلفي.

قسمت تلك الدَّولة المفترضة العراق إلى إمارات إسلامية، وأخذت تذيع بياناتها تحت عنوان الدَّولة، ولها علم أو راية، جعلتها تحاكي ما نُقل، بأحاديث وصفت بالحَسنة والغريبة، عن راية الرَّسول في صدر الإسلام، واتخذتها من قَبل الثورة العباسية، تلك الرايات السُّود القادمة من خراسان. وهي سوداء اللون مربعة الشكل، نقشت عليها عبارة: (لا إله إلا الله)، وداخلها دائرة مميزة بلون رمادي نقشت فيها عبارة الشَّهادة الثَّانية: (محمد رسول الله)! على أنها راية دولة الرَّسول وجيشه.

جاء في جامع التِّرمذي بشأن راية الرَّسول: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ بَعَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ إِلَى الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَسْأَلُهُ عَنْ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَتْ سَوْدَاءَ مُرَبَّعَةً مِنْ نَمِرَةٍ. قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ عَلِيٍّ وَالْحَارِث بْنِ حَسَّانَ وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث ابْنِ أَبِي زَائِدَةَ وَأَبُو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ اسْمُهُ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى)[334]. وجاء أيضاً عن أبي مجلز لاحق بن حُميد عن أبي عباس قال: (كانت راية رسول الله، صلاة الله عليه وسلم، سوداء ولواؤه أبيض)[335].

أتينا بهذه التفاصيل كي نفهم مدى تمسك تلك الجماعة بالسلفية، إن كانت في خدمتها، وتشحذ عواطف النَّاس بها، ضد ما تحاربه من بدع ومستحدثات، حسب منطقها، إلا أنها من المفارقة تجدها تنشر رايتها، وبيان دولتها على صفحات الإنترنيت! بينما تريد لسكان دولتها المزعومة أن يعيشوا عصر صدر الإسلام بنشر راية ذلك الزمن فوق رؤوسهم خافقة!

وإذا كان عذرهم بما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728 هـ 1327 م) من وصايا تحرض على العنف، مثل: (قوام الدِّين بالمصحف والسَّيف)[336]، وما سنذكره من فتاوى التترس، لاحقاً فإن لابن تيمية ما يناقض هذا الكلام، وفيه ما يحض على المودَّة والسلم

---

334 الكتب الستة، جامع الترمذي، كتاب الجهاد، الصفحة 1824 رقم الحديث 1680.

335 المصدر نفسه، رقم الحديث 1681.

336 النجدي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28 ص 264.

بين النَّاس، فيا عجباً لماذا لا يطاع في أقوله تلك ويحرص على طاعته في ما يؤذي النَّاس!

إعلامياً، أو إنترنيتياً إن صحت العبارة، بدت الدَّولة الإسلامية واقعاً معاشاً، تسيَّر الجيوش، وتحافظ على الأمن، وتصون الدِّين، وتقمع الخارجين على أعرافها، وتدير الاقتصاد، لكنها بلا قصر إمارة، ولا ديوان لأمير المؤمنين، ولا مكاتب وزرائها، ولا دور لأمراء أمصارها. إنها مجرد راية تخفق في فضاء الموقع الإلكتروني!

وبلا شك، لا يعد إعلان الدَّولة الإسلامية في فضاء الإنترنيت، ووسائل الإعلام مجرد حماقة أو نزوة بقدر ما هو تصميم على ترجمة الأهداف إلى واقع، وما في ذلك من تأثير إعلامي ودعائي يدر على الحركات الإسلامية بوهم الإشراف على إنجاز المشروع والحضور الدائم في مخيلة الأتباع.

إنها شبيهة بما قيل عن الجنَّة وتفاصيلها، وما توصف به دولة المهدي المنتظر. كيف تحولت الأوهام والأماني إلى مبادئ وأفكار دفعت بالمئات إلى إنجاز العمليات الانتحارية من أجل الفوز بالحوَّر العين والعشاء مع الرَّسول! وكيف تحول الموت إلى أمنية، حتى أُعرض عن الآية: (وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[337].

---

337 سورة البقرة، الآية 195.

والأمر لا يقف عند هلاك النفس، إنما يتعدى إلى الإفتاء والسعي إلى هلاك المئات، وحتى الآلاف من الذين شخصتهم تلك الفتاوى بالضحايا، ولكن لا بأس في قتلهم وصولاً إلى قتل المتمترسين، أي المراد قتلهم وهم يقيمون في أمكنة مأهولة بالسكان. وإن سُئلوا عن ذلك لأجابوك بما أفتى فيه شيوخ السلفية الأوائل، ومنظرو الجهاد في القرون الوسطى والجدد.

لقد ورد في (فتاوى) الشَّيخ ابن تيمية الحراني تحت عنوان: (إذا تترس الكفار بالمسلمين) ما نصه: (فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين، وخيف على المسلمين، إذا لم يقاتلوا: فإنه أن نرميهم ونقصد الكفار. ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضاً في أحد قولي العلماء. ومَنْ قُتل لأجل الجهاد، الذي أمر الله به ورسوله- هو في الباطن مظلوم- كان شهيداً، وبعث على نيته، ولم يكن قتله أعظم فساداً من قتل مَنْ يُقتل من المؤمنين المجاهدين)[338].

ومثلما قيل في القرآن إنه حمال أوجه[339] نقول في فتاوى ابن تيمية، والتي دعمها بالحديث النبوي: إنها حمالة أوجه أيضاً، فهو إن

338النجدي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية 28 ص 538.

339 قيل ورد في الحديث النبوي: «القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه» (شهري، ميزان الحكمة، ص102). وقال الإمام علي بن أبي طالب لعبد الله بن عباس، وهو يعزم على مناظرة الخوارج: «لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حاجَّهُمْ بالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً»(نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الوصية رقم 315، ص 622).

ويشرح ابن أبي الحديد هذه الوصية بالقول: «ذلك أن القرآن كثير الاشتباه، فيه مواضع يُظن في الظاهر أنها متناقضة متنافية»(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 5 ص250). ونقول: حتى السُنَّة النبوية هي حمالة أوجه، فكل طائفة اختلقت أو روت الأحاديث التي تجابه بها الطائفة الأخرى.

مال إلى الشدة والقسوة في قتل الأبرياء بذريعة التترس، نجده في مكان آخر من فتاويه يميل إلى الرقة والدعة والرِفق ويستشهد بنصوص دالة. قال: (قال النَّبي: ما كان الرِفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه)، و(إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه ما لا يُعطي على العنف)[340]. وهو الناقل الأثر، الذي شاع في الشعر والغناء: (الله جميل يحب الجمال)[341]. وبطبيعة الحال يأتي الاختلاف في التفسير والتأويل، ومن هذا التعارض يصعب فهم عدالة الدَّولة الدِّينية، مثلما أُشهرت بالعراق عبر الإعلام وفضاء الإنترنيت، وتجري الدماء لترجمتها على أرض الواقع!

لقد ترجم إعلان الدَّولة الإسلامية السلفية غرض تلك الجماعات بأنه ليس تحرير العراق من غزو أمريكي، فهي نفسها قاتلت واستفادت وتترست بالأمريكان إبان الحرب بأفغانستان، وقاتلت بأموال وسلاح الدول التي تهدف إلى إسقاط عروشها الآن، بل الغرض هو قيام دولتها، ولو أن أمريكا هادنتها، ووافقت على مشروع دولتها أترى ستُطلق رصاصة واحدة ضدها؟!

---

340 المصدر نفسه 28 ص 136.

341 المصدر نفسه 28 ص 393.

فتاوى الجهاد والضد

صدرت فتاوى عديدة في شأن الجهاد داخل العراق، منها الداعمة، ومنها المهادنة، ومنها المانعة. وأشدها ما يخص إباحة قتل المتمترسين الأبرياء، وهو ما أشاعته المواقع الإسلامية، الداعمة للجهاد والمقاومة داخل العراق عامة، عبر رسالة أو خطبة لأبي مصعب الزَّرقاوي، بثها معترضاً على مَنْ يرى خلاف ذلك، في أيار(مايو) 2005، من داخل العراق، وتحت عنوان مثير، موجهة ضد الشِّيعة تماماً: (وعَادَ أحفادُ ابن العلْقمي)[342]، والتي انتقد بها مَنْ اعترض على قتل الأبرياء ممَنْ يسمون بالمتمترسين.

جاء فيها: (مما لا شك فيه أن الله تبارك وتعالى أمرنا برمي الكفار، وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود، فيشرع لعباد الله المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته رمي الكفار الحربيين، وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تقطف نفوسهم وتنزع أرواحهم من أجسادهم تطهيراً للأرض من رجسهم، ورفعاً لفتنتهم عن العباد أياً كانت هذه الوسيلة، وإن كانت هذه الوسيلة تعم المقصودين من الكفار الحربيين

342 قصة الوزير المذكور شهيرة، وكُتب عنها الكثير، وهو آخر وزراء الدَّولة العباسية مؤيد الدِّين بن العلقمي (ت 656هـ)، والذي أتهم باطلاً بخيانة الخليفة العباسي، واستقدام المغول لاحتلال بغداد، وإقامة دولة علوية أو شيعية (راجع كتابنا الأديان والمذاهب بالعراق، الفصل الخامس)، وكتابنا «طروس من تُراث الإسلام» فصل: «ابن العلقمي تأبيد أكذوبة الخيانة»، وكتابنا «معتزلة البصرة وبغداد»: فصل ابن أبي الحديد. وربما آخر ما صدرت من أجل هذه القضية بالذات كتاب «إعادة التَّاريخ.. إسقاط الخلافة العباسية أنموذجا» للباحث يوسف الهادي، لندن: مؤسسة الوسط 2009.

وغير المقصودين من النساء والصبيان، ومن في حكمهم من الكفار ممن لا يجوز قصدهم بالقتل. وهو ما اصطلح الفقهاء على تسميتهم بالقتل بما يعم).

(إن هذه المشروعية مقررة أيضاً وإن أفضى ذلك إلى قتل عدد من المسلمين ممن يقدر وجودهم حال القتال لسبب أو لآخر ضرورة عدم إمكان تجنبهم والتمييز بينهم وبين المقصودين من الكفار الحربيين. ومع التسليم بأن قتل عدد من المسلمين معصومي الدم مفسدة كبيرة بلا شك. إلا أن الوقوع في هذه المفسدة جائز)[343].

ونجد هناك تعارضاً وتضاداً صارخين لهذه الرِّسالة أو الفتوى، وكل فتاوى التترس، أو (القتل بما يعمٌّ)، مع النص القرآني، الذي يتكرر في أكثر من آية: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)[344].

وكثيراً ما تُبث على الإنترنيت رسائل تستفتي بأمر الجهاد، منها على سبيل المثال لا الحصر رسالة امرأة بلغت من العمر (29) عاماً تستفتي فيها مدى موافقة الدِّين على أن تكون انتحارية قالت: (أريد أن أقوم بعملية انتحارية، فهل أعتبر شهيدة)! ويأتيها الجواب: (لا يمكن الإجابة على هذا السؤال بغير الطريق المباشر، والمواجهة

---

343 موقع منابر ثقافية: http://www.mnaabr.com.

344 سورة فاطر، الآية: 18. سورة الإسراء، آية: 15. سورة الزمر، آية: 7. سورة الأنعام، آية: 164.

لخطورته. والله تعالى أعلم)[345]. ومن هذا الطريق نتفهم ظاهرة الانتحاريات بالعراق من النساء.

وفي يوم الجمعة المصادف الخامس من كانون الأول (ديسمبر) 2005 تناقلت الأخبار صدور فتوى لثلاثين عالماً عراقياً سُنّياً ضد البضائع الإيرانية، التي حسب الخبر أنها تمثل 50٪ من بضائع السوق العراقية، وأن ما تفعله ليس أقل من الإساءة للرسول، والتي أسفرت عن تحريم التعامل مع البضائع الدانماركية، ومن الذين وقعوا الفتوى وتحدثوا عنها الشّيخ عبد الوهاب الكبيسي، والشّيخ كمال الجنابي[346]. لكن، عندما تأتي الفتوى خالصة من علماء سُنّة ضد إيران، مع ما فيها من حقوقية، ستفهم أنها موجهة بلا ريب إلى الشّيعة العراقيين، وكياناتهم السّياسية.

ومن أهم البيانات التي عضدت الجهاد والمقاومة بالعراق هو البيان الصادر عن 26 عالماً سعودياً في الخامس من تشرين الثّاني (نوفمبر) 2004 تحت عنوان (خطاب مفتوح إلى الشعب العراقي المجاهد) يؤيدون فيه المقاومة، ويحرمون التعرض لها، ويحضون على القتال.

جاء فيه: (لا يجوز لمسلم أن يؤذي أحداً من رجال المقاومة، ولا أن يدل عليهم فضلاً عن أن يؤذي أحداً من أهلهم وأبنائهم،

---

345 http://www.islamic-fatwa.com

346 موقع الراصد http://alressd.blogspot.com

بل تجب نصرتهم وحمايتهم). مع إشارتهم إلى ضرورة النظر في (المصلحة الظاهرة للإسلام والمسلمين بالعراق وفي العالم ألا يستهدف المستضعفون ممن ليسوا طرفاً في النزاع، وليست دولهم مشاركة في الحملة العسكرية على العراق كمن يقومون بمهمات إنسانية أو إعلامية أو حياتية عادية لا علاقة لها بالمجهود الحربي)[347].

ولعلَّ الفتوى التي أصدرها 22 عالماً دينياً سعودياً ضد الشِّيعة، وتكفيرهم وبالتالي إباحة قتلهم، وإن كانت أشارت إلى لبنان و(حزب الله) إلا أنها موجهة إلى العراق أيضاً، كون الشِّيعة في قيادة الدَّولة هناك، كأكثرية في البرلمان وفي المؤسسات الحكومية، مثلما هو الحال بالمحافظات الجنوبية والوسطى كافة. تناول البيان عقائد الشِّيعة في المهدي المنتظر، والإمامة عن طريق الوصية، وعدم الاعتراف ببقية الخلفاء، وكان البيان/ الفتوى تحريضياً ضد اللقاءات الدِّينية بين علماء الدِّين، من الشِّيعة والسُّنَّة.

ومما جاء فيها: (لا ريب أن الذين يصدقونهم في مزاعمهم لم يدركوا حقيقة مذهبهم وما بني عليه من أصول كفرية... الشِّيعة هم الذين أحدثوا في الأمة شرك القبور فبنوا على قبور أئمتهم القباب والمعابد التي يسمونها المشاهد، وعمروها بأنواع الشرك والبدع، فهم

347 موقع الإسلام اليوم: http://www.islamtoday.net وموقع إسلام أونلاين: http://www.SHTML article01/11/2004/islamonline.net/Arabic/doc

يطوفون بتلك القبور، ويصلون عندها ويحجون إليها، ويستغيثون بأصحابها من قرب وبعد، ولا سيما في الشدائد)[348].

إلا أن ما يثير ويلفت نظر العديد من المتابعين لشأن فتاوى التكفير، منذ الدَّولة العثمانية وما قبلها وما بعدها، أن لا فتوى تكفير أو تجريح صدرت من مرجع دين شيعي من النَّجف على وجه التخصيص، ما عدا ما يرد من تكفير وتنجيس ما أطلق عليه علماء الشِّيعة تسمية (النواصب)، حتى أصبح مقابل الروافض اصطلاحاً، ما يشار إلى الحقبة الصفوية، وما بعدها بإيران فتلك مسؤولية سياسية وقومية، لا علاقة لها بشيعة العراق، إن كانت هناك فتاوى صادرة بهذا المعنى، وفي هذا السياق لا يغفل ما كان بين العثمانيين والصفويين من استغلال الاختلاف المذهبي[349]. ومع ذلك ليس علماء الدِّين كافة متفقين على تخصيص الناصبي بشيء، ويختلفون من رأي إلى آخر.

---

348 موقع إسلام أون نت، وهناك العشرات من المواقع التي نشرت البيان:
http://www.islamonline.net

349 نقرأ في رواية ما فعله إسماعيل شاه الصفوي عندما دخل بغداد (914 هـ 1508 ميلادية) فاتحاً، ويتضح أنها من مؤرخ مؤيد له: «فتح بغداد وفعل بأهلها النواصب ذوي العِناد، ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب، حتى نبش موتاهم من القبور»(العزاوي، العراق بين احتلالين 3 ص 343 عن: ابن شدقم، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب السادة الفاطمية الأطهار، ص 217). وكان الخلفاء الثلاثة يسبون بإيران الصفوية، حتى أنه كان من شروط الصلح لعام 1613 ميلادية «أن لا يُسب الصحابة، ولا الأئمة المجتهدون، ولا أم المؤمنين عائشة الصديقة»(المصدر نفسه 4، ص 163). وبالمقابل، عندما تولى السلطان سليم الأول (ت 1620 ميلادية) الحكم «خلد الأشهر الأولى من حكمه بالذبح المُتقن لجميع الشِّيعة أينما وجدوا»(لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 33).

على سبيل المثال نجد لدى آية الله الخميني (ت: 1989) عدم جواز الصَّلاة على الميت (على الكافر بأقسامه حتى المرتد، ومَنْ حُكم بكفره ممَنْ انتحل الإسلام كالنواصب والخوارج)[350]. بينما لا نجد ذلك لدى آية الله علي السِّيستاني، (بل تجب الصَّلاة على كل ميت مسلم، ذكراً كان أم أُنثى، مؤمناً أم مخالفاً، عادلاً أم فاسقاً)[351] من دون استثناء أو التسمية بالنواصب[352]. والمقصود بالناصبي هو المعادي، على شاكلة الشاعر علي بن الجهم (ت: 249 هـ 863 ميلادية)[353] لعلي بن أبي طالب. إلا أن السِّيستاني يعود في باب الطهارة من الخبث، ليقول في نجاسة الناصبي (النواصب): وهم المعلنون بعداوة أهل البيت عليهم السلام، ولا إشكال في نجاستهم)[354].

وهنا قد يجري التقابل بين المذهبين في أمر النَّاصبي ضد الإمام علي وأولاده وأمر شاتم الشَّيخين: أبي بكر وعمر بن الخطاب! والأمران لا يقرهما كبار المذهبين وعقلاؤهما، ورداً لشأن سياسي حسب. وعلى أية حال تكاد مفردة الناصبي تقابل مفردة العلوي، لا الشِّيعي على وجه التحديد، وإذا كان هناك، عبرة بالبيت الآتي:

---

350 الخميني، تحرير الوسيلة 1 ص 70.

351 السِّيستاني، منهاج الصالحين 1 ص 107.

352 السِّيستاني، منهاج الصالحين 1 ص 107.

353 قال المسعودي: «لقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعليٍّ أنه كان يُلعن أباه، فسئل عن ذلك وبما استحق اللعن منه فقال: بتسميته إيّايَ علياً»(مروج الذهب 3 ص 159).

354 المصدر نفسه 1 ص 139.

إذا العلوي تابع ناصبياً

بمذهبه فما هو مِنْ أبيه[355]

صحيح أن هناك فقهاء شيعة متشددون في التعامل مع أهل السُّنَّة، لكن هؤلاء لا يمثلون قيادات شيعية، وكم صدرت من فتاوى قتل بحق الشِّيعة في الآونة الأخيرة، إلا أن أقصى ما عبرت عنه المرجعية المتمثلة بآية الله السِّيستاني هو قولها: (إن الهدف الأساس من إطلاق هذه التهديدات، ومما سبقها وأعقبها من أعمال إجرامية استهدفت عشرات الآلاف من الأبرياء في مختلف أنحاء العراق، هو إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب الكريم، وإيقاد نار الحرب الأهلية في هذا البلد العزيز...)[356]. من دون التحريض على الجهاد ضد تلك الجماعة أو سواها من الجماعات التي لا تتأخر عن تكفير الشِّيعة، وقتلهم.

وعلى الضد من فتاوى القتل والتَّترس والتكفير، صدرت بيانات وفتاوى مضادة للقتل، منها فتوى العالم السُّعودي الشَّيخ عبد المحسن العبيكان، ضد الجهاد والعمليات الانتحارية بالعراق: (إن من أفتى بشرعية الجهاد ومن ذهب في طلب الجهاد بالعراق خارجون عن الطاعة ومذنبون...). واعتبر أنه (لا جهاد بالعراق). وطالب بمقاضاة

355 التنكابني، قصص العلماء، ص 380. والبيت نظمه أحد الشعراء الحاضرين مجلس السلطان المغولي، ومناظرة الشِّيعي العلامة ابن مطهر الحلي (ت 726 هـ) مع السَّيد الحنبلي الموصلي، مع أنه علوي النسل، وذلك عندما صلى الحلي على النبي وآله، فقال له الأخير: «بأي دليل يجوز الصلاة على غير الأنبياء»(المصدر نفسه)، فأجابه في البيت أعلاه!

356 الخفاف، النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السِّيستاني في المسألة العراقية، ص 142.

من أفتى بجواز ذلك (نظراً لما يترتب على هذه الفتاوى من ضرر على أهل العراق وزعزعة للأمن وتدمير للمنشآت العامة والخاصة بالعراق ،وأن هذا الجهاد لا توجد منه مصلحة بل مفسدة عظيمة)[357].

كان أمضى تلك البيانات ما أصدره مفتي السُّعودية العام الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ، وما جاء في التحذير من الجهاد بالخارج، ويعني العراق على وجه التحديد: (إن الله قد أوجب على المسلمين التناصح في ما بينهم والتواصي بالحق، يقول الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق﴾، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وإني من باب الشفقة على شبابنا، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، رأيت أن أكتب هذه الكلمة بعدما لوحظ منذ سنوات خروج أبنائنا من البلاد السعودية إلى الخارج قاصدين الجهاد في سبيل الله، وهؤلاء الشباب لديهم حماسة لدينهم وغيرة عليه).

(لكنهم لم يبلغوا في العلم مبلغاً يميزون به بين الحق والباطل. فكان هذا سبباً لاستدراجهم والإيقاع بهم من أطراف مشبوهة، فكانوا أداة في أيدي أجهزة خارجية تعبث بهم باسم الجهاد، يحققون بهم أهدافهم المشينة، وينفذون بهم مآربهم، في عمليات قذرة هي أبعد ما تكون عن الدِّين، حتى بات شبابنا سلعة تباع وتشترى لأطراف شرقية

---

357 http://www.alsakher.com

وغربية، لأهداف وغايات لا يعلم مدى ضررها على الإسلام وأهله إلا الله عزَّ وجلَّ)[358].

كذلك أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بتاريخ 25 كانون الأول(ديسمبر) 2004، برئاسة الشَّيخ يوسف القرضاوي، إثر ما حصل من مجازر التَّفجيرات بكربلاء والنَّجف أثناء إحياء المناسبات الدِّينية. جاء فيه: (يُذَكِّر بما سبق له أن نَبَّه عليه، وهو وجود طوابير متعدِّدة بالعراق الشقيق، ممن يريدون سوءاً بالإسلام وأهله، يقومون بأعمال ظاهرها المقاومة، وهي في حقيقة الأمر امتدادٌ للعدوان، وتشويهٌ لصورة المقاومة الشريفة، وأنَّ بعض هذه الطوابير ربَّما كانت مرتبطةً بأجهزة الاستخبارات الصهيونية والعالمية، وأنّ على المقاومة الشريفة أن تستنكر أعمالهم، وتفضح عمالتهم واختراقَهم)[359].

الجماعات

أُعلن عن تأسيس الدَّولة الإسلامية 15 تشرين الأول (أكتوبر) 2006، وهو مشروع وأمل الجماعات السَّلفية الآمل، من قِبل مجموعة كبيرة من الحركات السلفية، ولعلَّ منها ما لا تتعدى الاسم والأمير، إلا أن كل الفعل هو لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وقد جاء قرار الإعلان بعد مقتل زعيم جماعة الجهاد والتوحيد، أبي مصعب الزَّرقاوي، والتي تشكل منها بالتنسيق مع قيادة التنظيم الأول.

---

358 جريدة الشرق الأوسط: 2 تشرين الأول(أكتوبر) 2007 العدد 10535.

359 موقع إسلام أونلاين: http://www.islamonline.net/Arabic

ومن الجماعات الأُخر، التي برز اسمها في قرار تأسيس دولة العراق الإسلامية: جيش الطّائفة المنصورة، وجيش أهل السُّنَّة والجماعة، وجماعة جند الصحابة، وسرايا الجهاد الإسلامي، وسرايا فرسان التوحيد، وسرايا ملَّة إبراهيم، وكتائب كوردستان (لعل وجود هذا الاسم يعطي مبرراً أو مصادقة لدولة العراق الإسلامية أنها راية على كل البلاد العراقية)، وكتائب المرابطين، وكتائب أنصار التوحيد، وكتائب أنصار التوحيد والسُّنَّة، وكتائب الأهوال، وكتائب الغرباء. هذا إلى جانب انضمام جزئي، حسب تعبير المصدر، لكل من: جيش الفاتحين، كتائب من الجيش الإسلامي، كتائب من عصائب العراق الجهادية[360]، كتائب من جيش المجاهدين، كتائب من ثورة العشرين، كتائب من جيش أبي بكر الصِّدِّيق السَّلفي.

بايعت تلك الفصائل أبا عمر البغدادي، وهو شخصية لا نعلم مدى حقيقة وجودها ومصداقية فعلها ووراثتها لأبي مصعب الزَّرقاوي، إلا أن الإعلام العراقي أعلن عن القبض عليه وبث اعترافاته، مع نفي جماعته لما حدث، ومازالت تبث البيانات الجهادية باسمه. إلا في يوم 19 نيسان (أبريل) 2010 أعلنت الحكومة العراقية بشخص رئيس الوزراء نوري المالكي أن تمت تصفية وزير دفاع ما يسمى بـ (الدَّولة الإسلامية في العراق) أبي أيوب المصري، وزعيم الدَّولة الإسلامية أبي

---

360 يبدو قابلها بالاسم: عصائب أهل الحق الشّيعية، التي انشقت من جيش المهدي، وأعلنت عن نفسها بعد قرار تجميده، مثلما سلف ذكر ذلك.

عمر البغدادي معاً، بمنطقة الثرثار قريباً مِن سامراء التَّابعة لمحافظة صلاح الدِّين (تكريت)، وقد عرض المالكي صورتيهما، وكذلك أكدت الجهات الأمريكية الخبر[361].

كان قتل البغدادي والمصري ضربة موجعة للقاعدة، وما يُسمى بالدَّولة الإسلامية، لكن كثرة إعلان الحكومة العِراقية عن إلقاء قبض وقتل رموز القاعدة؛ لم يقلل مِنْ التَّفجيرات الكبرى، حتى بعد قتل هذين القائدين، وكان أفظعها تفجير كنسية النَّجاة، يوم الأحد 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2010، وتبعتها مباشرة سلسة هزة نواحي بغداد ومحافظات أُخر، لذا أخذ العراقيون يشككون بإعلانات الوزارات الأمنية، مِن دون تقديم دليل وتصديق أمريكي مثلما أُعلن عن مقتل الزَّعيمين.

أبو عمر البغدادي قيل ولد العام 1959 وانتمى إلى الجماعة السلفية العراقية العام 1985. هاجر إلى أفغانستان العام 1987، ومن ثم عاد إلى العراق العام 1991 وقيل أنه اعدم بعد إلقاء القبض عليه مِن قبل أجهزة الأمن، ولم يعلن عن وجوده في العراق حتى 2004 في معركة الفلوجة الأولى، أصيب بعيار ناري في الرأس، وفي ما بعد تم اختياره أميراً لمجلس شورى المجاهدين[362].

---

361 جريدة الصَّباح العِراقية، الصادره عن شبكة الإعلام العِراقي، الأثنين 19 نيسان 2010 على الرابط: http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage 101159=& sid

362 عن موسوعة ويكيبيديا الحرة، الرابط: http//ar.wikipedia.org/wiki

أما أبو حمزة المهاجر (أبو أيوب المصري) فقيل ولد في مصر بمحافظة سوهاج 1968، وأنضم للجماعة الجهادية بزعامة الطبيب أيمن الظواهري، الرَّجل الثَّاني في القاعدة بعد بن لادن، العام 1982، وعمل كمساعد شخصي للظواهري، وفي 1999 سافر إلى أفغانستان. خلف الزَّرقاوي كزعيم تنظيم القاعدة، ووزير الحرب لدولة العراق الإسلامية، ونائب أول لأبي عمر البغدادي رئيس دولة العراق الإسلامية[363].

يعد الإعلان المهم الثَّاني، في حرب الحكومة العراقية والأمريكية على القاعدة، هو ما أعلنه وزير الدَّاخلية جواد البولاني، في 13 كانون الأول (ديسمبر) 2010، عن إلقاء القبض على (34) قيادي مِن القاعدة بالموصل، وتفكيك خلاياها، وغلق مصادر استقدام عناصر مِن الخارج، قال في مؤتمره الصحافي: (استطعنا إلقاء القبض على رؤوس تنظيم القاعدة من الخطين الأول والثَّاني، يمثلون ما تسمى ولاية شمال العراق، التي تضم محافظات نينوى وكركوك وصلاح الدِّين)[364]. وأكد وزير الدَّاخلية، في المؤتمر الصَّحافي نفسه، أن هناك (14) ألفاً و(500) حكم، بينها (835) قراراً بالإعدام، صدرت ضد المسلحين. وإن صحت رواية الوزير مِن المعتقلين المحكومين فقط 14 ألف و500 محكوم، فكم العدد الباقي بلا حكم رهن التَّحقيق،

---

363 المصدر نفسه.

364 جريدة الصَّباح العراقية، الثلاثاء 14 نيسان 2010 على الرابط:
http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage101159=& sid

وكم العدد الباقي في جيش القاعدة لم تصله أيدي القوات المسلحة العِراقية!

أتى العام 2010 على القاعدة، وما شكلته مِنْ إمارات منضوية تحت اسم دولة العِراق الإسلامية بما لم يكن بالحسبان، فاعتقال أمير ولاية بغداد مناف الرواي في نيسان (إبريل) قاد إلى تصفية قادة القاعدة، الجيل الثَّاني ما بعد الزَّرقاوي، المصري والبغدادي، ثم ألقي القبض على قادة ولاية الأنبار في كانون الأول (ديسمبر) 2010، وعددهم (39) عنصراً، وفي الشهر نفسه تم اعتقال على أمير بغداد الجديد، بعد مناف الرَّاوي، حذيفة ستار جبار البطاوي، ومجموعة مِنْ قادة القاعدة ببغداد، بعد الوصول إلى المنزل الذَّي ينطلقون منه بزيونة ببغداد، والكشف عن ذخيرة سلاح هائلة مِنْ المتفجرات والوسائل العنف الأُخر، واعترفوا بسلسلة مِنْ العمليات، كاقتحام البنك المركزي، والتفجيرات بالأعظمية، وساحة اللقاء، واقتحام وزارة الدِّفاع وأخيراً التَّخطيط والإعداد لاقتحام كنيسة النَّجاة في 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2010. وكان بينهم وزير مالية الدَّولة الإسلامية، ومفتيها العام وسام إبراهيم الساعدي[365].

365 لقاء خاص مع وكيل وزارة الدَّاخلية العراقية أحمد أبو رغيف، على القناة العراقية، بث مساء يوم 31 كانون الأول (ديسمبر) 2010 الحلقة الأخيرة.

تشكلت حكومة الدَّولة بشخصيات تتقدم أسماءها ألقاب، مثل: الشيوخ والأساتذة، وهم على النَّحو التالي: أبو عبد الرحمن الفلاحي وزير أول (رئيس وزراء)، أبو حمزة المهاجر وزير حرب (دفاع)، أبو عثمان التميمي وزير الهيئات الشرعية، أبو بكر الجبوري وزير العلاقات العامة (الخارجية)، أبو عبد الجبار الجنابي وزير الأمن العام (الداخلية)، أبو محمد المشهداني وزير الإعلام، أبو عبد القادر العيساوي وزير شؤون الشهداء والأسرى، أبو أحمد الجنابي وزير النفط، مصطفى الأعرجي وزير الزراعة والثروة السمكية، الطبيب أبو عبد الله الزَّيدي وزير الصحة. أما متحدثها الرسمي ولسان حالها فهو الشَّيخ محارب الجبوري، وقيل إنه قُتل في ما بعد[366].

كان الإعلان عن الدَّولة الإسلامية، من قبل الجماعات السلفية، وفي مقدمها (القاعدة في بلاد الرافدين)، وهو هدفها الأسمى بالعراق، محط خلاف وصل إلى حد المواجهات مع قوى المقاومة المسلحة الأُخر، ممَنْ لم يتبنَّ فكر ونهج القاعدة وجماعة الزَّرقاوي، في تنفيذ التَّفجيرات بأهداف مَدنية، والإسراف في دماء العراقيين، والسعي إلى الحرب الطَّائفية بين السُّنَّة والشِّيعة، واعتبرتها خطوة إلى انقسام مقاومة الاحتلال الأمريكي، ويضاف إليها جانب آخر، لعلَّه الأكثر تأثيراً، أن القائمين أو المتزعمين لها لا يمتلكون مشروعاً عراقياً، وأنها تبقى تابعة لتنظيم القاعدة روحياً، في الأقل، وهو مشروع أممي.

---

366 مصدر كل ما تقدم من معلومات: http://ar.wikipedia.org/9

لمواجهة مشروع الدَّولة السلفية أثمرت جهود عدد من الفصائل المسلحة تأسيس (مكتب التنسيق للمقاومة الإسلامية بالعراق)، والفصائل هي: جيش أنصار السُّنَّة، وجيش أنصار المسلمين، وجيش المسلمين للمقاومة العراقية، وكتائب ثورة العشرين، وكتائب الفاروق، وكتائب المصطفى، وكتائب أنصار الله.

وقد عبرت تلك الفصائل عن معارضتها لمشروع الدَّولة السلفية بزعامة تلك الجماعة. وجاء على لسان المتحدث باسمها: (إن مثل هذا الانقسام والفِرقة، التي أحدثها إعلان قيام الدَّولة الإسلامية، هو ما دعانا لتأسيس مكتب تنسيق بهدف توحيد جهود المقاومة الوطنية والإسلامية المعتدلة لتحرير وطننا المحتل منذ أكثر من أربعة أعوام)[367].

وإذا صحت تلك المعلومات، فمثلما أسلفنا نتعامل بحذر من كل معلومة تأتي حول عالم تلك الجماعات، لما فيه من سرعة تحرك وغموض، فإن القوى المعترضة تنظر إلى مشروع عراقي يجمع بين الدِّين والوطنية بقيادة دينية سلفية، وإن هدفها التحرير قبل كل شيء. ورفض التشدد واستباحة الدم العراقي سواء من سُنَّة أو شيعة.

ولعلَّ قسوة الجماعات السلفية، حتى من قبل الإعلان عن تأسيس دولتها، كانت وراء تشكيل جماعات الصحوات من العشائر

---

367 جريدة الحياة: 13 نيسان (أبريل) 2007 عن تقرير ميسر الشمري من جدة.

بغرب العراق، واقتراب جماعات محاربة أخرى من الأمريكان والحكومة العراقية، وهو ما أدى إلى انهيار التنظيمات الجهادية هناك، وما أعلنته من إمارات ببلدات غرب العراق. وقد بدأت بالفلوجة ثم توغلت إلى الغرب العراقي، بعد أن اتخذت من مدينة القائم[368] معبراً ومقاماً لها.

كان لتلك الصحوات دور هام وفعال في تقليص فاعلية المنظمات السلفية، وإخراجها من محافظة الأنبار، وأرضها الشاسعة، حتى أن أبا مصعب الزَّرقاوي، الذي قضى فترة من الزمن متنفذاً هناك، لم يجد ملاذاً أو حاضنة، وقد قَرب نزوحه من قرى الأنبار إلى ديالى نهايته بناحية هبهب[369] (حزيران/ يونيو 2006).

---

368 مدينة فراتية حدودية تقع أقصى غرب العراق، محاددة لسوريا، فيها «تل أثري على قمته بقايا جدار فيه معالم درج، يُرتقى إلى أعلاه من الداخل» يشير إلى وجود دير وبرج باسم القائم. لكن أغلب العراقيين يعرفون المكان بالحصَيبة، وهي قصبة المدينة، حدثت قديماً بقربها معركة صفين (37هـ) بين جيشي الإمام علي بن أبي طالب، أهل العراق، وجيش معاوية بن أبي سفيان، أهل الشام. غدت بعد التاسع من نيسان/أبريل 2003 بوابة لتوافد المسلحين من سوريا، عبر الفرات، وحدثت فيها معارك ضارية مع الجيش الأمريكي.

369 ناحية من نواحي بعقوبة، لجأ إليها أبو مصعب الزُّرقاوي، وهناك كان مقتله (حزيران/يونيو 2006). اشتهرت بين الناس بصناعة نوع من الشراب (العرق)، حتى شاع اسمه باسمها، يقطرونه من تمر الزاهدي، الذي يكثر فيها آنذاك، حتى ذهبت تلك الصناعة كناية ومثلاً «عَرك هبهب»(الشالجي، الكنايات البغدادية 2 ص370). وجاء في سبب القول: «كناية عن العرق القويّ، الذي يسكر من أول جرعة». وعرف بين الشاربين بأبي الكلبجة (القيد) لقوته، ويتناقل العراقيون حكاية واوي هبهب، الذي يشرب من مخابئ ذلك العرق ويكثر من العواء ليلاً.

إن نظرة عابرة في رايات الجماعات الإسلامية الجهادية، من على مواقعها على الإنترنيت وهي مقراتها القائمة، مثلما تقدم، تجد الغالب منها تنهل من منهل واحد ألا وهو السلفية الجهادية، وأبعد من هذا هم على شاكلة الإخوان المسلمين وحاكميتهم، الخارجة من فكر سيد قطب (أُعدم 1966) وأبو الأعلى المودودي (ت: 1979)، ومن قبلهما كان نداء الخوارج بالآية: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ)[370]:

أما المراد من حكمهم واستلابهم بهذه الآية سياسياً فهو ما جاء على لسان الإمام علي بن أبي طالب؛ الذي شُهرت تلك الآية بوجهه وهو خليفة المسلمين والأقرب إلى الرَّسول نسباً وروحاً. فعندما قال الخوارج في صفين (36-37هـ 656- 657 ميلادية) (لا حكم إلا لله)[371] أجابهم الإمام علي بالقول: (كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلاَّ لِلهِ، ولكِنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرِ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ،

---

370 وردت الآية في ثلاث سور، وجميعها لا توحي إلى السُّلطة والسّياسية، إنما الإيمان والتصديق بالإله الواحد والتسليم لقدره: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة يوسف، آية: 40)، و(وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (سورة يوسف 67)، و (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) (سورة الأنعام، آية: 57).

371 الطبري، تاريخ الأمم والملوك 4 ص 332.

وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ)[372].

ترى الجماعات السلفية الأخذ بمبدأ الولاء والبراء على العموم، فمَنْ تولى سلم ومن أُعلنت البراءة منه قُتل. ولعلَّ سورة التوبة هي دليل منظّري المبدأ المذكور، فمستهلها يقول: (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)[373]. وهو ما عبر عنه أحد منظري السلفية الجهادية المعاصرين، ومَنْ ثم تعلمها على يديه أبو مصعب الزَّرقاوي، قائلاً: (من أوثق عرى التوحيد)[374]. والجهاد لدى تلك الجماعات جائز في الوقت الحاضر بشقيه: الطلب وهو ما يقابل الغزو والغارة، والدفع وهو جهاد الدفاع عن الدِّين أو الوطن أو المال!

ولاختلاف رايات الجماعات المقاتلة داخل العراق ورد مقال، أو بالأحرى وصية، على موقع (كتائب ثورة العشرين)، يوصي بتوحيد الراية، تحت عنوان: (تحت أي راية نقاتل)؟! والراية تعني القصد والغاية، ورمزها الخرقة التي ترفرف ويتجمع تحت ظلها الأتباع. ويوصي الكاتب أيضاً بضرورة التفقه بفقه الجهاد، ونبذ التعصب

---

372 نهج البلاغة، ص 114 الخطبة 40. وراجع كتابنا «المشروطة والمستبدة»، الباب الأول، الفصل الثالث: الشريعة الإلهية، ص 75 وما بعدها

373 سورة التوبة، الآية 1.

374 مروان شحادة، تأصيل الخطاب السلفي الجهادي، كتاب مسبار الشهري، أيار (مايو) 2007، ص 24. عن مجلة العصر الإلكترونية، مقابلة مع أبي محمد المقدسي بتاريخ 5 تموز (يوليو) 2005.

للجماعة أو الفصيل أو الأمير، والابتعاد عن الغلو والتقديس[375]. أي عدم التشتت والتشظي!

نجد لاهوت السياسة، ولنقل لاهوت التحرير، إذا كان مطلب تلك الجماعات هو تحرير العراق باسم الله، صارخاً في شعارات تلك الجماعات، ومكونات تلك الرايات: خارطة العراق، ويبرز في وسطها إما مجسم كتاب القرآن، أو الشهادتان، وهي تتباين بين اللون الأسود واللون الأخضر.

وحتى حزب البعث جعل رايته وصورة زعيمه المفترض الحالي عزَّة الدوري تحت عبارة: (شيخ الجهاد والمجاهدين)، وهي عبارة دينية صرفة، لا تبررها صلات الدوري بالجماعات الصوفية ومحافل التدين الشعبي السُنّي عندما كان في السُلطة. وقد أُشير إلى صلاته بالجماعة الصوفية الكسنزانية[376]، كصلات تعبدية، والكسنزانية

---

375 راجع: http://www.ktb 20 - .com

376 فرع من الطريقة القادرية الصوفية، التي تُنسب إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 561هـ 1165 ميلادية)، أما مؤسس الكسنزانية، والذي عُرفت باسمه، هو الشيخ عبد الكريم الكسنزاني (1824-1902)، وشيخها الحالي هو محمد بن عبد الكريم بن عبد القادر بن عبد الكريم، الذي يعرف بشاه الكسنزان. ومعنى الكسنزان هو الذي لا يعلم حقيقته أحد، وكان الشيخ المؤسس أعتكف لسنوات فأطلق عليه اسم كسنزان، وذهبت ألقاباً له وللطريقة.

وهم حسب شجرة النسب يتحدرون من البيت العلوي، والسادة البرزنجية. كنت زرتُ تكيتها بالسليمانية، التقيت بشيخها محمد، وذلك في غضون تشرين الأول (أكتوبر) 2000، وحسب كتابها «الطريقة العلية القادرية الكسنزانية» للشيخ محمد الكسنزاني، لا تختلف عن بقية الطرق القادرية بشيء. ويبدو من إعجاب بشخصيتي: غاندي ونهرو أطلق شيخ الطريقة الحالي الاسمين على نجليه، وتبنى ولده غاندي قائمة انتخابية استعداداً للانتخابات القادمة (2010).

تمتلك جريدة (المشرق) ببغداد، ولها أدوار غامضة في العملية السِّياسية، وهي صلات من الصعب التقاطها بوضوح. وكذلك صلاته مع جماعة من النقشبندية[377]، التي لها جيش تحت هذا الاسم، ويُعد من الجماعات الجهادية على خلاف طبائع الصوفية والتصوف، ومن المؤكد أن هذا الجيش لا يمثل الطريقة الصوفية، فهي واسعة وروحية، مثلما هي طبائع التصوف، ولا ميل لها في القتال!

نستطيع حصر أسماء أو عناوين الجماعات المسلحة الدِّينية، السلفية منها وغيرها، بالآتي، مع الإشارة إلى أن منها ما لا يتعدى الشخص أو الشخصين، ومنها الجماعات الكبيرة والمؤثرة. وهي كالآتي، ومستقاة من عدة مصادر، تقارير صحفية أو مواقع إلكترونية لتلك الجماعات:

القاعدة بالعراق (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)، الحركة الإسلامية العراقية (حماس العراق)، السلفية الجهادية، وهو عنوان يكاد يكون عاماً يشمل الحركات الدِّينية ذات النهج السلفي عامة، مجلس شورى المجاهدين، جماعة التوحيد والجهاد، جيش الطّائفة

---

377 طريقة صوفية موازية للطريقة القادرية، أو غيرها من أمهات الطرق، لها كثافة بشمال العراق، وهي كغيرها من الطرق تعتبر النبي، والخلفاء، والأئمة الاثني عشر، والحسن البصري ومعروف الكرخي وغيرهم هم أساسات الطريقة. ومؤسسها والمنحوتة من اسمه هو بهاء الدِّين النقشبندي، وقبل ذلك قيل كانت تسمى بالصديقية، نسبة إلى أبي بكر الصدِّيق، والطيفورية نسبة إلى طيفور أبي زيد البسطامي. أما اسمها فهو نسبة إلى النقشبند بهاء الدِّين محمد البخاري، والنقشبند مفردة فارسية بمعنى الناقش، ويعتقدون أنها من النقش في القلوب، ولم يسلك طوال حياته سوى السلوك الصوفي (عن الشّيخ علاء الدِّين النقشبندي، ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، ص 192 وما بعدها).

المنصورة، كتيبة الجهاد الإسلامي، جيش محمد، كتائب الفاروق، جيش الحق، جيش محمد الثَّاني، منظمة الرايات السُّود، سرايا الجهاد، فصيل الحمزة، حزب التحرير الإسلامي، خلايا كتائب الجهاد، مجاهدو الفرقة الناجية، كتائب المجاهدين في الجماعة السلفية، الرايات البيضاء، الشباب المسلم، منظمة كتائب الجهاد بالعراق، أبناء الإسلام، الجيش الإسلامي بالعراق.

الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية (جامع)، جيش الراشدين، جيش المجاهدين، جيش الفاتحين، سرايا الغرباء، كتائب الإمام الهادي، كتائب الأهوال، عصائب الجهاد، كتائب القصاص العادل، جيش الطريقة النقشبندية، كتائب صلاح الدِّين، ألوية صلاح الدِّين الأيوبي، كتائب أبي حفص المصري.

وما مرَّ ذكره، في الفصل السابق، من الجماعات التي خولت الشَّيخ حارث الضاري مرشداً لها، وهي: جبهة الجهاد والتغيير وتتضمن: كتائب ثورة العشرين، جيش الراشدين، جيش المسلمين في العراق، الحركة الإسلامية لمجاهدي العراق، سرايا جند الرحمن في العراق، سرايا الدعوة والرباط، كتائب التمكين، كتائب محمد الفاتح، جيش التابعين، جيش الجهاد. وعصائب العراق الجهادية، وجيش المجاهدين المرابطين، جيش الإمام أحمد بن حنبل. وغيرها من الأسماء.

مما لا ريب فيه، أن كثرة الأسماء وتعدد الجماعات، سواء أكانت فاعلة أو غير فاعلة على أرض الواقع، تفضح عمق الفوضى في المقاومة العراقية والجهادية بشكل عام، وتريك مساحة الحرية في التحرك لِما بالبلاد من الضعف الأمني وقلة حيلة الحكومة العراقية. وليس كل تلك الحركات هدفها بناء دولة إسلامية أو طرح احتلال، وإنما هناك العديد من بين تلك الأسماء تأسس أو أعلن عن نفسه لتحقيق مطمح مالي، وورقة ضغط لمآرب بعيدة عن التحرير وطرد الغزاة، أو تحقيق مصلحة الدِّين!

وعلى العموم، يمكن فرز تسميات من تلك الجماعات أكدت ثباتها النسبي، وكثر تداولها في الإعلام الأمريكي والعالمي، وما تورطت به من أعمال وحشية، وأُعلن عن اعتقال عدد من قادتها، أو علاقتها التي لم تبق مستورة بجماعات دينية علنية، أو عن طريق تحرير رهائن لديها، وما إلى ذلك، وتأتي في مقدمتها وأخطرها:

جماعة الجهاد والتحرير

هي الجماعة التي أنشأها وتزعمها أحمد فضيل الخلايلة المعروف بأبي مصعب الزَّرقاوي(قُتل 2006)، وتحولت إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرَّافدين، انتمى وهو بالأردن إلى جماعة التوحيد، بزعامة عصام البرقاوي، المعروف بأبي محمد المقدسي، وهاجر إلى أفغانستان، واعتقل بالأردن مع جماعة من الإخوان المسلمين، وحزب

التحرير. قيل أصبح الزَّرقاوي أميراً على جماعته بالسجن، وعندها أتخذ لقب الغريب، واستخدم هذا اللقب بأفغانستان[378].

ويربط الكاتب فؤاد حسين في كتابه (الزَّرقاوي الجيل الثَّاني للقاعدة) بين شغف الزَّرقاوي بحياة سلطان الشام نور الدِّين زنكي (ت 1174 ميلادية)، والمعارك التي خاضها ضد الصليبيين، وذهابه إلى العراق (مستقراً له بعد احتلال الجيوش الأمريكية لأفغانستان). هل يُريد أن ينطلق من الموصل لتحرير العراق، وتوحيد بلاد الشام، وشمال العراق مع مصر، تمهيداً لتحرير بيت المقدس؟! وهل يمكننا أن نأخذ ببعض النظريات التي تذهب إلى حد القول: إن صناع التَّاريخ يتقمصون شخصية بطلهم، ويسيرون على خطاهم لإعادة كتابة التَّاريخ)[379].

أراها التفاتة وجيهة من قبل الكاتب، مع الاختلاف الكبير بين الملهم والمستلهم، الزنكي والزَّرقاوي، حسب سيرة الأول في المصادر التَّاريخية، وما عُرف عن الأخير من دموية، وما بدأ به حياته من فوضى وتشرد! أسس الزَّرقاوي، قبل العراق، جماعة جند الشام، ببلدة هيرات الأفغانية. ونقرأ في محطات طريقه إلى العراق أنه غادر إلى باكستان، وأسس هناك معسكراً لجند الشام، وعمل على استقطاب ما عُرف بالأفغان العرب، وانقطعت السبل بهم بعد انتهاء الجهاد بأفغانستان.

---

378 استقينا المعلومات من كتاب فؤاد حسين، الزَّرقاوي الجيل الثَّاني للقاعدة، ص7 وما بعدها. والمؤلف، حسب روايته، كان سجيناً (غير إسلامي) مع الزَّرقاوي.

379 حسين، الزَّرقاوي الجيل الثَّاني للقاعدة، ص 18-19.

ثم عاد إلى أفغانستان، وبعد ضربها من قِبل الجيش الأمريكي والبريطاني نقل معسكره إلى قندهار، وشارك في المعارك هناك، وبعدها توجه إلى إيران، ورتب قاعدة بمدينة زاهدان الإيرانية على الحدود الباكستانية، ومركزاً بطهران. و(هناك عقد الزَّرقاوي مجلس شورى لقادة شبكته أبلغهم أنه قرر التوجه إلى العراق)[380]. وحسب ما ورد في كتاب (الزَّرقاوي الجيل الثَّاني...) نقل عائلات شبكته إلى تركيا، ومن هناك إلى العراق. كان هذا لِمَنْ حمل وثائق سفر رسمية، أما سواهم من غير الحاملين وثائق فكان طريقهم إلى العراق عبر سلاسل جباله سراً من جهة إيران.

وما أن ألقت السلطات الإيرانية القبض على جماعة من أتباعه حتى أسرع بدخول كوردستان العراق، وعندها أتفق مع قائد أو أمير (جند الإسلام) أبي عبد الله الشافعي، وهو مِنْ قادة تنظيم (أنصار الإسلام)، (تولي التدريب والدعم العسكري لشبكته)[381]. وهذا ما ينكره الملا كريكار في كتابه (الحلقة المفقودة بين صدام حسين وبن لادن) إنكاراً تاماً، مبرئاً ساحة جماعة (أنصار الإسلام) و(جند الإسلام) من مثل تلك الاتصالات وتقديم التسهيلات لجماعة الزَّرقاوي! ولا بد من التساؤل أنه كيف تمكن الزَّرقاوي بلا حاضنة أن ينشأ قاعدتين لتحركه بكوردستان العراق؟!

---

380 المصدر نفسه، ص 31.

381 المصدر نفسه.

بينما يُذكر أن الزَّرقاوي كلف رفيقه الفلسطيني عبد الهادي دغلس بمسؤولية الاتصال والتنسيق بين شبكته وجماعة أنصار الإسلام الكُردية! وقد قُتل دغلس في الهجوم على تلك القواعد في آذار (مارس) 2003[382]. والشاهد على ذلك أن الزَّرقاوي رثاه في أول خطبة له بعد دخوله الأراضي العراقية (وكانت باسم: إلحق بالقافلة)[383]. بعدها انتقل الزَّرقاوي، حال ضرب أنصار الإسلام وقواعده بكوردستان العراق، إلى الأنبار، وهناك تزوج من ابنة (الذي قاد سيارة إسعاف مفخخة، اغتال فيها الزعيم الشِّيعي محمد باقر الحكيم)[384]. كان ذلك في آب (أغسطس) 2003.

ومن هناك تزدحم وتتناقض التفاصيل حول تنقلات الزَّرقاوي، وكوارث تفجيرات تنظيمه، وأخذ يظهر بقوة في الإعلام العربي والعالمي، وعندها خصص الجيش الأمريكي خمسة ملايين دولار لَمَنْ يدلي بمعلومات تقود إلى إلقاء القبض عليه أو قتله، حتى كان مقتله بناحية هبهب من أطراف بعقوبة- محافظة ديالى بقصف جوي، وبهدف محسوب، ولا يكون من دون أدلاء، ولا ندري حصة مَنْ كانت الخمسة ملايين دولار، التي تضاعفت بعد سلسلة من التَّفجيرات الكارثية إلى عشرة ملايين دولار لَمَنْ يعين في القبض عليه!

382 المصدر نفسه، ص 32.

383 المصدر نفسه.

384 المصدر نفسه، ص 34.

وهنا لا حاجة لذكر التّفجيرات التي اعترف بها جماعة الزَّرقاوي، ولا بياناتها التي يهدر بها دم كل مَنْ تعاون مع الإدارة الأمريكية، أو الحكومة العراقية، وحسب عقيدته أن الشِّيعة ليسوا على ملَّة الإسلام يجب أبادتهم. وما يستشف من تلك البيانات، التي وصل بها إلى حد عدم ارتباطه بالقاعدة، وأنه صاحب مشروع قائم بنفسه، حتى وصوله إلى ذروة الغرور، فأخذ يظهر في مشاهد استعراضية بطولية بين أتباعه من المسلحين، وهو في عرض البادية، قربته من مطارديه خطوة بعد خطوة.

يومذاك تصرف أبو مصعب الزَّرقاوي كأنه أمير العراق على الحقيقة لا المجاز، وأن انتصاره قاب قوسين أو أدنى، وبعدها يأتي فصل المنطقة الغربية، وكل مناطق ما عُرف في الإعلام بالمثلث السُّنِّي عن العراق، فصله بإمارة إسلامية تكون قاعدة للتحرك صوب الهدف الأكبر. ولعلَّ الزَّرقاوي هو الوحيد من أمراء الجهاد الميدانيين الذي أعلن اسمه صراحة من دون تورية أو استعارة، والتعبير عن شخصه عبر الصور واللقطات الجهادية، بينما تجد بقية قادة الجهاد ظلوا يوارون أسماءهم بإطلاق كُنى وألقاب وأسماء الصحابة على أنفسهم، ويحاولون إخفاء تحركاتهم، ماعدا المشهد الذي يظهر به أحدهم، ولعله مَنْ عُرف بأبي حمزة المهاجر، وزير حرب الدَّولة الإسلامية المزعومة!

جاء في تقرير صحفي أن الزَّرقاوي، بعد دخوله العراق، أصبح (سيد السلاح والانتحاريين). ذلك عندما كشف تنسيق بين المقاومين البعثيين وجماعة الزَّرقاوي، عن طريق أحد الذين يُعتقد أنه من قادة المقاومة المسلحة، والمقربين من صدام حسين، قبل اعتقال الأخير، في حفرة من نواحي الدورة غرب البلاد، (13 كانون الأول/ديسمبر 2003). ورد في التقرير: أنه (في أيلول/سبتمبر عام 2003 عُقد اتفاق بين قادة المجموعات المسلحة وتنظيم التوحيد والجهاد على قبول عرض الأخير تقديم الأموال والانتحاريين لدعم عمليات تلك المجموعات)[385].

ومن جانب آخر ذهب التقرير، الذي أخذته أكثر المواقع، من دون ذكر صاحبه أو مترجمه إن كان مترجماً، إلى أن جماعة الجهاد والتوحيد، وآخرون يذكرونها بالتوحيد والجهاد، قد هيمنت على الجماعات السلفية التي كانت مرتبطة بالقاعدة أساساً، مثل: أنصار السُّنَّة، وسرايا الجهاد الإسلامي، وجيش الطَّائفة المنصورة وغيرها من التي تبنت الإعلان عن قيام الدَّولة الإسلامية بالعراق، وما زالت تعمل تحت هذه التسمية، وقد كُثف نشاطها بالموصل وديالى بعد انسحابها من الأنبار. وتجد في مكان آخر ظهور تحالفات واختفاء أُخر بين تنظيم القاعدة وبقية التنظيمات. نقرأ مثلاً عن تأسيس جيش المجاهدين، أنه يتألف من: تنظيم القاعدة، وجيش الطَّائفة المنصورة، وجيش أهل السُّنَّة والجماعة، وكتائب الأهوال، وسرايا الغرباء!

---

385 http://www.vdwk.org/sadamnero.htm

كتائب ثورة العشرين

في تعريف (كتائب ثورة العشرين)، المثبت على موقعها الإلكتروني، ما يشير إلى سلفيتها، وإلى هدفها من الجهاد والتحرير وقيام الدَّولة الإسلامية: (نحن حركة جهادية قامت على أساس الولاء لله والبراءة من أعدائه، واتخذت من منهج الإسلام سبيلاً لأداء الواجب الشرعي، حينما حانت ساعته وفُرضت، واستعنَّا على قضاء حوائجنا بالجهاد واستلهمنا سيرة السلف في جلاد عدوهم وطعانه بغية رفع راية الإسلام فوق ربوع بلادنا والانطلاق في سياحة المسلمين (الجهاد) لإعلاء شأن الشرع)[386].

لكتائب ثورة العشرين، وبالتالي جبهة الجهاد والتغيير، صلة بهيأة علماء المسلمين ليست مخفية، حتى من قبل إعلان بيان التخويل للشيخ حارث الضاري بزمن ليس بالقصير، فعدا الاسم، الذي يظن أنه من بنات أفكار الهيأة وشيخها الضاري، يأتي التشارك الإعلامي بينهما في أكثر من موقف، منه: بيان الجبهة، وبيان الهيأة في رثاء العضوين في الهيأة: الشَّيخ محمود طلب الجميلي، والدكتور طه عبد الرزاق العاني.

جاء تحت عنوان (تصريح صحفي بخصوص شهادة بطلين مجاهدين)، نشر في موقع الجهاد والتغيير والكتائب معاً، والمذيل

---

386 http://www.ktb 20- . com

بتاريخ 19 أيار(مايو) 2008[387]. كما ورد في بيان الهيأة، المرقم (557)، والمؤرخ في 16 أيار(مايو) 2008: (إن استهداف أعضائها لن يفت في عضدها، بل سيزيدها قوة إلى قوتها إلى أن يأذن الله بأمر منه و أوضحت الهيأة أن الاستهداف المستمر لأعضائها ورموزها البارزين وسام شرف على صدر أبنائها المخلصين)[388]. وهما بالاسم، حسب البيان: عضوا الهيأة الشَّيخ الجميلي، والدكتور العاني!

كذلك وقفت الكتائب، وجبهة الجهاد والتغيير من الوقف السُّنِّي، ورئيسه الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي موقف هيأة علماء المسلمين نفسه، وقد نشر موقعهما (بيان إدانة) ضد الوقف السُّنِّي عندما أقدم رئيسه، الشَّيخ أحمد عبد الغفور السامرائي، على غلق مكتب الهيأة وأخرجها من جامع أم القرى. وجاء في البيان المؤرخ في 14 تشرين الثَّاني(نوفمبر) 2007: (تعاهد الجبهة هيأة علماء المسلمين على المضي معاً في طريق الجهاد والمقاومة، جازمين أن مثل هذه المحاولات لن تفت في عضدها في دعمها للمشروع الجهادي بالعراق)[389].

ولعلَّ الأمر، في البيانين، يفهم في سياق التضامن وتقارب وجهات النظر بين الهيأة والكتائب أو الجبهة، فالدليل القطعي كان غائباً، وإن كانت القرائن واضحة، فالهيأة لم تخف تأييدها للعمل

---

387 http://www.ktb-20.com

388 http://www.iraq-amsi.org/news

389 موقع كتائب ثورة العشرين وجبهة الجهاد والتحرير: http://www.ktb-20.com

المسلح الجهادي، مع موقفها ضد استهداف الأبرياء، وهذا موقف الكتائب والجبهة المعلن أيضاً، لكنه ظل مجرد تأييد حتى جاء إعلان التخويل المذكور ليقطع الشك باليقين، وهو المشروع الواحد ومنذ التَّأسيس والظُّهور.

أصبحت الكتائب محور جبهة جديدة مع حركات أُخر، تحت اسم (جبهة الجهاد والتغيير)، والفصائل المنضوية في هذه الجبهة هي: كتائب ثورة العشرين، جيش المسلمين، الحركة الإسلامية لمجاهدي العراق، وسرايا جند الرحمن، وسرايا الدعوة والوعظ، وكتائب التمكين، وكتائب محمد الفاتح، وجيش التابعين[390].

نلاحظ في راية الكتائب ما يشير إلى قول الشَّيخ ابن تيمية (ت 728هـ1327 ميلادية): (قوام الدِّين بالمصحف والسَّيف)[391]. قرآن مفتوح تتوسطه بندقية تحمل راية سوداء نُقشت عليها عبارة: (نصر من الله وفتح قريب)، أو ما عبَّر عنه بالقول: (كتاب يهدي وسيف ينصر)! أما راية الجبهة، التي محورها الكتائب، خارطة العراق مطرزة من داخلها بالطابوق الآجر، وفيها الآية ﴿كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[392].

---

390 http://www.jhadfront.com/?c =18

391 النجدي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28، ص 264.

392 سورة الصف، الآية 4.

ويفسر إعلام الجبهة الطابوق بإعادة بناء الدَّولة العراقية، على سعة الخارطة، وأنه يعبر عن الإرث الحضاري والعمق التَّاريخي، أما السَّيف فهو رمز الجهاد، والسعفة رمز للبناء والتنمية.

وعلى الرغم من سلفيتها، ترى الجبهة نفسها ليست طائفية، وتقسم العراقيين على أساس: وطني وخائن! جاء في التعريف عن نفسها: (لا تقسم النَّاس على أساس طائفي أو عرقي بل على أساس الموقف من المحتل، ولهذا فإن هناك صنفين من العراقيين: أحدهما معها ضد المحتل وهم الغالبية. والآخر مع المحتل وهم القلة. فمن كان مع رفض الاحتلال مهما كانت صفته، فالكتائب تنظر إليه على أنه معها في صف واحد، ومَنْ كان مع المحتل فهو خائن لا يستحق أن يبقى على أرض العراق، مهما كانت صفته أو عقيدته)[393]. وبطبيعة الحال، هذا أمر مبالغ فيه، وبعيد عن الواقع، إذا ما عدَّت الملايين التي شاركت في الانتخابات النيابية الأولى والثَّانية.

وحسب الحركات المُعلنة للدَّولة الإسلامية، وما صرح به مكتب التنسيق بين الحركات المضادة لتلك الدَّولة، أن كتائب ثورة العشرين انقسمت على نفسها، منها الداخل مع جماعة إعلان الدَّولة، ومنها الباقي ضمن الفصائل التي ضدها.

إلا أننا نقرأ في تقرير آخر أن كتائب ثورة العشرين ما هي

---

393 http://www.jhadfront.com/index.php?p=18

إلا جناح عسكري لمنظمة أكبر هي (المقاومة الإسلامية). ونجد في نشأتها ومرجعيتها وهيكل تنظيمها أنها تنتشر على خمسة قواطع أو مناطق: بغداد، والأنبار، وديالى، والموصل، وصلاح الدّين[394]. أي المناطق السُنّية فقط، ومن هنا يُقاس تكوينها المحصور بمناطق محددة وطائفة بعينها، هي الطّائفة السُنّية، بينما في الإعلان عن نفسها أنها عراقية على امتداد العراق! وبهذا يثور السؤال: ما هو المشروع العراقي الذي تتبناه الكتائب! ذلك إذا علمنا أن المنطقة الكُردية كاملةً، وجماعات ليست قليلة من أهل السُّنّة ليست معها، بل ومشاركة في العملية السّياسية عن طريقة جبهة التّوافق، ناهيك من عدم تمثيلها أو وجودها بين المحافظات الشّيعية، الجنوبية والوسطى؟!

وللكتائب كتائب مناطقية، منها: كتيبة الفاروق عمر، وكتيبة الخلفاء الراشدين، وكتيبة الحسين، وكتيبة القعقاع بن عمرو، وكتيبة صلاح الدّين الأيوبي، وكتيبة أمجد الزهاوي[395]، وكتيبة محمد محمود الصّواف (المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين بالعراق، والمتوفى العام 1992)، وكتيبة عبد الله عزام (الفسلطيني المُجند الشباب العربي إلى الجهاد الأفغاني)، وكتيبة محمود الحفيد البرزنجي (أحد مؤسسي وقادة الإسلام السّياسي الكُردي)، وكتيبة عبد العزيز البدري (أحد أعضاء وقياديي حزب التحرير بالعراق، قُتل 1969).

---

394 موقع البصرة: www. albasrah.net

395 سبقت ترجمة الشّيخ أمجد الزهاوي، لكن ما يلفت النظر أن اسم الشّيخ ارتبط بالسلم والتعالي على ما هو سياسي، فكيف إذا كان حمل سلاح، وبهذه الشدة السلفية!

نختتم الحديث حول كتائب ثورة العشرين، وجبهة الجهاد والتغيير، بموقفها السلبي المبكر، بل المعادي للحزب الإسلامي، وذلك لاشتراكه في العملية السّياسية، ولموقفه ضد العنف والعمل المسلح عموماً. عبرت عن ذلك بالبيان الشديد اللهجة، والمؤرخ في 28 أيلول(سبتمبر) 2007، والموجه ضد رئيس الحزب ونائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي:

(قبل أيام قلائل ظهر من يمثلهم المدعو طارق الهاشمي مع الأربعة المسؤولين عن سفك دماء العراقيين، وتدمير البلاد، وتسليمه لأمريكا وإسرائيل وإيران، وأصدروا بيانا خماسياً طالبوا فيه برفع المحظورات التسليحية عما يسمى بالجيش العراقي لا لتحرير البلاد بل لقتال المقاومة، وقد سموهم المجاميع المسلحة والخارجين عن القانون. و(ثمنوا) في البيان عالياً (تضحيات) قوى الاحتلال بالعراق، لقد خبتم وخاب مسعاكم وخسئتم، فوالله ما أنتم من أهل العراق المخلصين وإلا كيف تثمنون جرائم الاحتلال... اللهم إنا نبرأ مما يفعل هؤلاء وندعوهم أن يتنكبوا عن هذا الطريق ويعودوا إلى طريق العزّة، طريق الحق والجهاد حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو أحسن الحاكمين، وندعوهم إلى التوبة إلى الله تعالى فالتّاريخ قبل الله تعالى لن يرحم، ولكم عبرة في قصص من كان قبلكم)[396].

396 موقع كتائب ثورة العشرين وجبهة الجهاد والتحرير: http://www.ktb-20.com

هذان مثالان لأبرز الحركات الجهادية، وتبقى هناك (الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية)، وقد تشكلت من مجموعة حركات أو فصائل، مثلما تعلن عن نفسها، وقيل أعلنت في بيان صدر يوم 28 مايو(أيار) 2004، وتذيَّل بياناتها عادة باسم المكتب السِّياسي، وذراعها العسكرية هي (كتائب صلاح الدِّين الأيوبي)[397]. ووصف أحد التقارير من (CNN): أن (الخطاب السِّياسي لهذه الجماعة الأكثر تطوراً بين مجموعات المقاومة، ومعظم العمليات التي تبنتها كانت ضد القوات الأمريكية، وهذا ما يؤكده صدور بيان عنها في مطلع آذار(مارس) 2005 تؤكد فيه رفضها استخدام أسلوب تفخيخ السيارات داخل المدن، أو ذبح الرهائن، أو التعرض للأجانب المدنيين، أو ضرب المنشآت المدنية، أو استهداف أي عراقي، حتى لو كان من عناصر الشرطة أو الحرس الوطني.

وعلى الرَّغم من أنها ترفض الوضع السِّياسي الجاري بالعراق، ودعت مناصريها إلى مقاطعة الانتخابات، إلا أن تلك الجماعات، في الوقت نفسه، عزفت عن (ضرب المراكز الانتخابية وإسالة دماء العراقيين الأبرياء)، حسب ما ورد في بيانها الصادر في 27 كانون الثَّاني(يناير) 2005. وأصدرت في 28 حزيران(يونيو) 2006 بياناً عبرت فيه عن رفضها لمبادرة المصالحة الوطنية، وذكرت أنها (غير

---

397 http://www.jaami.info/makala - 225

معنية بما تناوله المالكي بمبادرته)[398]. ومثلما أسلفنا أن كتائب صلاح الدِّين الأيوبي هي جناح الجبهة العسكري.

شكلت الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية (4 أيلول/ سبتمبر 2007) مع جبهات وحركات أُخر مجلساً تحت عنوان (المجلس السِّياسي للمقاومة الإسلامية). وهي: جبهة الجهاد والإصلاح، بمكوناتها: الجيش الإسلامي بالعراق، وجيش المجاهدين، وجماعة أنصار السُّنَّة- الهيأة الشَّرعية، وجيش الفاتحين. حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إضافة إلى (جامع) نفسها. وقيل انسحب جيش الفاتحين من جبهة الإصلاح ومن المجلس كاملاً بسبب اتصالات بين المجلس والحكومة[399].

شعار الجبهة (جامع)، وحسب تفسير مكتبها السِّياسي للاسم أن: الجيم من الجبهة للسجود، وألف من الإسلام بمعنى الخضوع والإقرار لله، والميم من المقاومة، والعين من العراق. ورايتها أو علمها عبارة عن خارطة العراق بلون أخضر تخترقها يد تمسك بسارية علم قاعدته بيضاء، نقشت فيه عبارة: (الله أكبر). أما شعار الجناح العسكري لـ(جامع)، وهي كتائب صلاح الدِّين الأيوبي: دائرة في وسطها خارطة العراق خضراء، تخترقها سارية تحمل علم العراق، في عهد صدام حسين، وتقبض عليها أيد متشابكة، وتعلو الخارطة خوذة فارس، إشارة إلى بطولة صلاح الدِّين الأيوبي وسلاحه.

---

398 html.http://arabic.cnn.com/iraq.groups/jame3

399 http://www.aljazeeratalk.net/forum/showthread.p4

عموماً، أغلب الحركات الإسلامية، المتأطرة بإطار المقاومة المسلحة، الفاعلة داخل العراق هي حركات سلفية، في عقيدتها وفي أهدافها، ولا تختلف في ما بينها إلا بالموقف من العنف، فمنها من يبيح قتل المدنيين بفتاوى التترس، ومنها من لا يبيح ذلك. ولعلَّ أشدها قسوة وسرفاً بالدِّماء هي جبهة الجهاد والتَّحرير، أو القاعدة ببلاد الرَّافدين. وبشكل عام، تظهر الحركات الجهادية، بفعل ظروفها وتداخلات مواقف قادتها، حركات غير ثابتة الكيان، وسريعة التَّحالفات والانشقاقات، وأن بياناتها والتَّقارير التي تتابعها كثيراً ما لا تعبر عن واقع الحال إلى حد الوضوح في الرُّؤية حولها.

تشكيل الصَّحوات

تدهور الوضع الأمني بمختلف مناطق العِراق، إلا المنطقة الشِّمالية التي ظلت آمنة إلى حد ما، تدهوراً مريعاً السَّنة 2006، وكادت الحركات الجهادية تطبق سيطرتها على المنطقة تماماً، وأعلنت القاعدة حينها قيام الدَّولة الإسلامية. وكان التحرك قائماً في الاتفاق على إعلان ما يسمَّى بالكونفدرالية، بالمناطق السُّنَّية، وقُدم مقترح حينها، وجرت حوارات كثيرة في دول الجوار لإنجاح هذا المشروع لاتساع الرقعة الجغرافية التي سيطر عليها المسلحون. لكن حققه ما كان يُعرف بمجلس شورى المجاهدين مِن حلف، عُرف بحلف المطيبين، مع العشائر السُّنية، ثم إعلان القاعدة للدَّولة الإسلامية بإمارة أبي

عمر البغدادي، أهمل مشروع الكونفدرالية، وبسط أمراء دولة العراق الإسلامية سيطرتها على العديد مِن اقضية ونواحي ستة محافظات عراقية: الأنبار، صلاح الدِّين، ديالى، الموصل، وكركوك، وباشرت تطبيق الشَّريعة على أهلها[400].

وعد الجنرال قائد الجيش الأمريكي بالعراق ديفيد بتراوس مهندساً لتنظيم الصَّحوات، وقد تمت المفاوضات مع قادة الجهاد المعتقلين لدى الجيش الأمريكي والاتصال بشيوخ العشائر المتضررين أساساً مِن ممارسات دولة العِراق الإسلامية لتشكيل جبهة عريضة لمواجهة عناصر تبك الدَّولة المزعومة، وإضافة إلى الصحوات سميت تلك القوى العشائري بقوى الإسناد العشائرية، وتنظيماتها بـ (أبناء العِراق)، و(أُسود الرافدين). وشُكلت في الأقضية والنَّواحي والقرى بالمنطقة الغربية، أو ما كان يُعرف بالمثلث السُّني، بالإشارة إلى محافظات: الأنبار وصلاح الدين وديالى.

وبعد تشكيل الصحوات أخذت القاعدة بالتراجع والخروج مِن المناطق الغربية، وبفضلها ساد الأمن النسبي في تلك المناطق، وتهيأ الظرف لانسحاب الأمريكية مِن معظم المناطق، وتسليمها إلى الجيش والشرطة العراقيين. نجحت الصَّحوات في مهمتها ببسط الأمن في أكثر المناطق التي كانت مضطربة، فقد وصلت أعدادها إلى مئات

400 عن الجبهة الإعلامية الإسلامية، قصة المؤامرة (حسب منطق جماعة القاعدة)، على موقع: http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=408988

الآلاف، وربما ما تمكنت منه الصَّحوات في تقهقر العنف ما لم تتمكنه أقوى الجيوش العالمية، فالحرب لم تكن نظامية، فهي ضد جماعات نوت على الموت وتداخلت في القرى والأرياف والقصبات، ولا يواجهها إلا أبناء تلك المناطق نفسها.

ظاهرة الانتحاريات

نقلت الأخبار في حينها أن امرأة أوروبية بلجيكية تدعى موريل ديغوك متزوجة مِن رجل مسلم متشدد، قد شدت الرِّحال إلى العِراق وفجرت نفسها في مكان مكتظ بالمواطنين، كان ذلك في تشرين الأول (أكتوبر) 2004. بعد ظهرت على شاشات الفضائيات وواجهات الصُّحف العراقية ساجدة الريشاوي في محاولة تفجير نفسها في فنادق العاصمة الأردنية، وذلك في تشرين الثاني (نوفمبر) 2005. وبعدها تكاثر عدد الانتحاريات العراقيات، وعلى وجه الخصوص السنَّة 2007 وبمحافظة ديالى، شرقي العاصمة بغداد، على وجه الخصوص. وقيل أُلقي القبض على واحدة مِن أهم مجندات الانتحاريات، وتدعى بأم المؤمنين سميرة أحمد جاسم، وذلك في كانون الثاني (يناير) 2009، واعترفت بأنها قامت بتجنيد ما يُقارب مِن ثمانين انتحارية، وحكم عليها بالسجن المؤبد[401]. وكان تختار ضحيتها مِن المتخلفات عقلياً

401 لقاء مِن داخل السجن مع سميرة أحمد جاسم، فضائية الحرة - عراق، برنامج: تحقيق، تقديم: صابرين كاظم، بُث حوالى الساعة السادسة عصراً بتوقيت لندن، في 3 نيسان (أبريل) 2011. وانظر الخبر في جريدة الشَّرق الأوسط، العدد 11026 المؤرخ في 4 فبراير (شباط) 2009.

ومِن الجاهلات، ومِن المبتليات بالمحن، وتأخذهنَّ إلى البساتين، وهناك يتم تهيئتهنَّ، ثم تؤمر لتنقلها إلى مكان التنفيذ.

بطبيعة الحال تعاظم ظاهرة التَّرمل بين العراقيات، وأجواء العنف التي يعيشها المجتمع، وشدة المآسي النفسية، توفر بيئة مناسبة لمثل هذه الظاهرة، فكثيراً مِن النِّساء قُتل ذويهنَّ وابنائهنَّ في المعارك المستمرة مما يثير نزعة أخذ الثأر، مع سطوة التشدد الديني على عقولهنَّ. وتناولت الأخبار أن القاعدة نفسها اتجهت مِن فترة ليست بالقصيرة إلى تجنيد النِّساء كانتحاريات جنباً إلى جنب مع تجنيد الرِّجال، ووجودهنَّ في الأماكن المزدحمة، كالأسواق والدوائر، لا يلفت النظر، ولا يتعرضنَّ للتفتيش بالدرجة التي يتعرض له الرَّجال عادة، وجود العباءة، وهي اللباس التقليدي للمرأة العِراقية، يضمن إخفاء الأحزمة النَّاسفة والمتفجرات، ثم الوصول بها إلى الهدف.

وبعد شيوع ظاهرة المرأة الانتحارية شكلت النَّسوة، ممَن فقدنَ أعزائهنَّ في العمليات الانتحارية، ما أُطلق عليه بفرقة (بنات العِراق)، وهو تحديداً لمواجهة تلك الظاهرة الكارثية. ساعد الجيش الأمريكي على وجود هذا التنظيم العام 2008، وقد تلقت النُّسوة المجندات في هذه القوة العسكرية، التي تشكلت على غرار قوات الصَّحوة بغرب العراق وبغداد، التدريبات الخاصة بتفتيش النساء والكشف عن الأحزمة الناسفة. وقيل حقق التنظيم النُّسوي هدفه بالتقليل مِن ظاهرة الانتحاريات، ومنهنَّ مَن انطلقت مِن مأساتها

الشَّخصية، بعد قتل زوجها ثم ولدها خشية مِن قدومه على أخذ الثأر[402].

التَّفجيرات والمقاتل

الجدول أدناه يعطي صورة تقريبية عن العنف الذَّي هز العِراق بعد التاسع مِنْ أبريل 2003، بين ما تسمي نفسها بالحركات الجهادية وما تصفه الدَّولة، ومَنْ وقع عليهم شره، بالحركات الإرهابية. نقول تقريبي لأنه لم يمر يوم مِنْ الأيام، خلال تلك السَّنوات، مِنْ دون تسجيل حالة قتل أو اختطاف، وما هو مبين في الجدول أنه تسجيل لأغلب التفجيرات والمقاتل، ومنها ما أعلنت القاعدة نفسها على تبنيها، ومِنْ ما نُسب إليها ولم تكذب الخبر، أو كذبته في مواقعها الألكترونية، لكن أغلب التفجيرات، الانتحارية، على وجه الخصوص، عليها مسحة القاعدة، أما التفجيرات بسيارات مفخخة فيكن نسبتها إلى غير القاعدة أيضاً، أما الاغتيالات فتأتي مسؤولية العديد مِنْ الأطراف المسلحة، منها الجماعات، التي تطلق على نفسها، لقب (المقاومة)، ومنها الجماعات المرتبطة بالنِّظام السَّابق، ومنها الميليشيات الشِّيعية.

كانت البداية، بعد سقوط النِّظام مباشرة، بالسَّيد مجيد الخوئي، وهو بداية اشتهار السَّيد مقتدى الصَّدر ثم ظهور جيش المهدي، أما بداية التفجيرات، وعمل الجماعات الكبرى المسلحة

402 المصدر نفسه، العدد 11781 والمؤرخ في 1 آذار (مارس) 2011.

فكانت البداية بتفجير مقر الأمم المتحدة، ثم التفجير الذي قُتل فيه السَّيد محمد باقر الحكيم، وهو ما نسب للقاعدة، وهناك مَنْ ينسبه إلى جهات مرتبطة بإيران، فتصريحات الحكيم بعد عودته إلى العِراق كانت مخيبة لإيران، في دعوته إلى عدم قيام دولة دينية مثلاً.

صحيح أن الاغتيالات بدأت في أول يوم من السُّقوط، كاغتيال الفنان داوود القيسي، منشد الفترة البعثية المعروف، منذ 1968، إلا أن اغتيال عضو مجلس الحكم عقيلة الهاشمي كان إنذاراً لاغتيال المتعاونين مع النِّظام الجديد، مِنْ البعثيين السَّابقين. هناك اغتيالات كأنها وزعت على الطبقات الاجتماعية بالعراق، فأتت موجة اغتيالات الأطباء وأساتذة الجامعات، حتى أن عدد المغتالين بلغ أكثر مِنْ ثلاثمائة أستاذ وطبيب، وكان اغتيال الطَّيارين وكبار ضباط الجيش السَّابق، يجري بغموض وفي داخل منازلهم، وأُتهمت فيه فرق أو أفواج الموت، التي قيل لها صلات بإيران، وأن الإعداد لقتل الطَّيارين، الذَّين شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية كان يجري هناك، وأن عدد الصحافيين المغتالين بلغ ثلاثمائة وأربع وخمسين صحافياً وكاتباً، ثم مَنْ اغتيل مِنْ صاغة الفضة والذَّهب، ومِنْ الحلاقين والمغنين والرياضيين، كاختطاف رئيس اللجنة الأولمبية العراقية أحمد الحجية(2006)، واغتيال وكيل وزارة الثقافة، والكاتب المعروف، قاسم عبد الأمير عجام (2004)، واغتيال مستشار وزارة الثَّقافة، والكاتب المعروف كامل شياع (2008)، واغتيال الإعلامي رياض السَّراي (2010) وشعراء

ومذيعيين ومذيعات، وقصف وتفجير فضائيات عربية وعراقية.

هناك صعوبة رصد لعمليات العنف بالعراق، وذلك لعدم وجود جهات حكومية أو دولية تتقصى الحقائق، ولتعدد الجهات العنفية، واختلاف مشاربها، ففي عامي 2005 و2006 اشتدت الحرب الطَّائفية بين الفرقاء المسلحين، كما تشير إلى ذلك عمليات التفجير والاغتيالات، المرصودة في الجدول، وصار القتل على الهوية، وبين يوم وآخر يُعثر على جثث بلا رؤوس، حتى لم يُعرف أصحابها على أي مذهب قتلوا. إن عمليات القتل، المختلف الأشكال والأساليب، مثلما جاءت في الجدول، تعطي صورة على فوضى العنف، حتى غابت الحدود بين مقاومة الأمريكان والعبث العنفي في الشارع العِراقي.

كانت حصة أهل الأديان مِنْ غير المسلمين كبيرة مِنْ هذا العنف اليومي، فعلى مدار السنوات السابقة جرى قتل في الرهبان والقسسة وتفجير الكنائس وقتل الطلبة المسيحيين بالموصل وبغداد، وجرت تفجيرات هائلة في القرى والأحياء الأيزيدية بالموصل، وقُتل الكثير مِنْ الصَّابئة المندائيين وجرى تهجير وقتل لأسر محسوبة على الشبك. وكانت موجة العنف تفور كلما هُدم مرقد أو مسجد، وأهمها كان مرقد العسكريين بسامراء، حيث لعده مباشرة بدأت شدة العنف الطَّائفي. لكن تبقى الجماعات المسلحة، وفي مقدمتها القاعدة لها الحصة الكبرى في الهجمات الكبرى، فالعمليات المنسوبة إليها، تبدو نوعية مِنْ حيث عدد الضحايا وكمية الخسائر، وإتقان الأسلوب.

أثرت موجة العنف، وطول أمدها، على المجتمع العِراقي كثيراً، فهو لم يكن يخلص مِنْ مؤثرات الحروب - حربا الخليج وحرب سقوط النِّظام ثم الحصار الشديد- إلا ودخل في ما هو أشد منها، حيث القتل اليومي والرُّعب المتواصل، وبالتأكيد أثرت في الشخصية العِراقية، وهزت وحدة نسيج البلاد، حتى تكاد تغيب المواطنة، لعودة العراقيين إلى جهات حامية تمثلت في العشيرة والمذهب والمنطقة والمؤسسة الدينية، أثرت بشكل سلبي على الثقافة والإبداع، فظهر نوع مِنْ الشِّعر الشَّعبي وجد نفوذه مِنْ خلال الطَّائفية، وعلى وجه الخصوص في الوسط والجنوب، أثر بشكل عام على مدنية المواطن، فرخص الحياة وكثرة الأزمات، وترييف المدن، وعاد الرِّيف بقوة إلى الشَّعوذة مفارقاً ما كسبه مِنْ تحضر خلال الفترات السَّابقة، وقد ساعدت هذه النتائج الإسلام السِّياسي، بكل أشكاله مِنْ بسط نفوذه في الدَّوائر الحكومية والشَّارع العِراقي بوجه عام. ودعت تلك الأحوال إلى التدين الشكلي كمتطلبات الحماية، وما في ذلك مِنْ غلبة النِّفاق الاجتماعي

أحسب أن هذا الجدول، مثلما سيأتي، يعطي تصوراً عاماً، لم يلم بكل التفجيرات والمقاتل، وذلك لصعوبة الرَّصد، واختلاف المصادر في المعلومة والتقييم، فحقيقة موجة العنف بالعراق، بين 2003 - 2010 يحتاج رصدها إلى أجهزة حقوقية وأمنية، وذات نزاهة. كي تحدد عدد الضحايا، وأساليب قتلهم، والجهات المسؤولة عن ذلك، فالعدد قد يصل إلى مئات الألوف، إذا أخذنا عدد أيام تلك السنين،

والضربات الكبرى التي يقع فيها المئات، والقتل اليومي، قد لا يعتبر المليون عدداً مبالغاً به. جمعت معلومات الجدولة من الصحف والمواقع الألكترونية، وأبرزها جريدة (الشَّرق الأوسط)، وجريدة (الصَّباح) العراقية، وموقع هيأة علماء المسلمين في العراق، والسبب في الأخذ مِنْ الموقع الأخير لأن ما فعلته الهيأة، بغض النَّظر مِنْ موقفها مِنْ الدَّولة والمقاومة، فإنها رصدت مِنْ خلال بيانتها الاستنكارية عمليات العنف المسلح، بتواريخ صحيحة، عند مقارنتها مع الصحف اليومية.

جدول(1) عام لعمليات العنف 2003 -2010

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
طعن بالسكاكين	قتل عبد المجيد الخوئي	10 أبريل	النُّجف	2003
40 قتيلاً	إنفجار مستوع أسلحة	25 أبريل	بغداد	
15 قتيلاً	بالسلاح الأمريكي	28 أبريل	الفلوجة	
هجوم أمريكي	قتل عدي وقصي	22 يونيو	الموصل	
11 قتيل	تفجير السفارة الأردنية	7 أغسطس	بغداد	
قتل سيريجيو دي ميللو و20 شخصاً	تفجير مكتب الأمم المتحدة	19 أغسطس	بغداد	
قتل محمد باقر الحكيم و100 شخص	تفجير بوابة الصحن الحيدري	29 أغسطس	النَّجف	
رمي بالرصاص	اغتيال عضو مجلس الحكم عقيلة الهاشمي	25 سبتمبر	بغداد	
8 قتلى	تفجير فندق كبير	14 أكتوبر	بغداد	
35 قتيلاً	تفجير مقر الصليب الأحمر	27 أكتوبر	بغداد	
الوصف	**العملية**	**التاريخ**	**المكان**	
56 قتيلاً و200 جريح	تفجيران انتحاريان في مقري الديمقراطي والاتحاد	1 فبراير	أربيل	2004
45 قتيلاً	تفجير سيارة مفخخة	10 فبراير	الأسكندرية جنوب بغداد	
11 قتيلاً	هجوم على قاعة عسكرية	18 فبراير	بابل- الحلة	
قتلى وجرحى	استهداف مسلح	27 فبراير	بغداد- الكاظمية	
180 قتيلاً	انفجارات	2 مارس	كربلاء	
عشرات القتلى	تفجيرات انتحارية	21 أبريل	البصرة- الزبير	

اغتيال رئيس مجلس الحكم	سيارة مفخخة بوابة المنطقة الخضراء	17 مايو	بغداد	
حدود 70 قتيلاً	تفجيرات	28 يوليو	ديالى -بعقوبة	
قتلى وجرحى	تفجيرات الكنائس	12 أغسطس	بغداد	
من الحرس الوطني	قتل جماعي	24 أكتوبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير مسجد بالمصلين	2 ديسمبر	بغداد - الأعظمية	
قتلى وجرحى	ضرب كنيستين	7 ديسمبر	الموصل	
رعب وتهجير	توزيع مناشير تهديد للصابئة	13 ديسمبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجيرات مواكب الزائرين	14 ديسمبر	كربلاء	
أكثر مِنْ 60 ضحية	تفجيرات مواكب الزائرين	19 ديسمبر	كربلاء - النجف	

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
اختطاف ثم قتل	قتل أسقف السريان الكاثوليك	18 يناير	الموصل	2005
بداية شدة الحرب الطائفية	تفجير مرقد العسكريين	22 فبراير	سامراء	
مجزرة كبيرة	تفجير انتحاري	28 فبراير	بابل -الحلة	
قتلى جرحى	تفجير مجلس عزاء	11 مارس	الموصل	
قتلى وجرحى	تفجير حسينية الصبيح	22 أبريل	بغداد -النعيرية	
قتلى وجرحى	هجوم على مركز متطوعين	3 مايو	أربيل	
قتلى وجرحى	تفجير	31 مايو	بغداد - الكاظمية	
مجزرة	تفجير بمكان مزدحم	16 يوليو	بابل - المسيب	
قتله بعد أيام	خطف السفير المصري	3 يوليو	بغداد	
قتلى كثيرون	هجوم على عمال شركة	29 يوليو	بغداد - أبو غريب	

مجزرة كبيرة	تفجير كراج نقل عام	16 أغسطس	بغداد - النهضة	
أكثر من 1300 ضحية	كارثة جسر الأئمة مناسبة وفاة الإمام الكاظم	31 أغسطس	بغداد	
قتلى وجرحى	افجير	9 أيلول	الموصل - تلعفر	
قتلى وجرحى	تفجير	13 أيلول	بغداد - الكاظمية	
قتلى وجرحى	تفجير حسينية الوادي	14 سبتمبر	الموصل	
قتلى كثيرون	تفجير حسينية الرسول	16 سبتمبر	صلاح الدين -طوزخورماتو	
قتلى وجرحى	تفجير	17 أيلول	بغداد - النهروان	
مجزرة	تفجير مسجد	6 أكتوبر	بابل - الحلة	
قتلى وجرحى	تفجير	29 أكتوبر	ديالى - الهويدر	
مجزرة	تفجير حسينيتين	17 نوفمبر	ديالى - خانقين	
مجزرة	تفجير كراج نقل عام	10 ديسمبر	بغداد - النهضة	

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
مجزرة	تفجيرات	4 يناير	ديالى - المقدادية	2006
مجزرة	تفجيرات	5 يناير	كربلاء	
28 شاباً	اغتيالات جماعية	23 يناير	سامراء	
قتلى وجرحى	تفجير جامع الإسكان	10 فبراير	بغداد - الدَّورة	
شدة الاقتتال الطائفي	تفجير قبة الإمامين	21 فبراير	سامراء	
قتلى وجرحى	تفجير محطة الكهرباء	2 مارس	بغداد - النهروان	
مجزرة	تفجيرات في مواكب الزائرين	6 مارس	بابل - الحلة	
مجزرة	تفجيرات	11 مارس	بغداد - الصَّدر	
عشرات القتلى	تفجيرات	16 مارس	الفلوجة - العامرية	
مجازر	تفجير سبع سيارات	23 أبريل	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير بناية محكمة	4 مايو	بغداد - الصَّدر	

قتلى وجرحى	تفجيرات	19 مايو	بغداد - الصُّدر	
العثور على جثث	اغتيالات	19 مايو	بابل - المسيب	
قطع الرؤوس	قتل حراس المنشآت	1 يونيو	بغداد	
شدة الحرب الطائفية	اغتيال الشيخ يوسف الحسان	10 يونيو	البصرة	
قتلى وجرحى	تفجير جامع براثا	16 يونيو	بغداد - الكرخ	
مجزرة	تفجيرات	30 يونيو	بغدد - الصُّدر	
قتلى وجرحى	تفجيرات	17 يوليو	النَّجف - الكوفة	
قتلى وجرحى	تفجيرات	17 يوليو	بغداد - المحمودية	
قتلى وجرحى	تفجيرات	23 يوليو	بغداد - الصَّدر	
قتلى وجرحى	تفجيرات	23 يوليو	كركوك	
قتلى وجرحى	تفجيرات	9 أغسطس	النَّجف	
قتلى وجرحى	تفجيرات	22 سبتمبر	بغداد - الصَّدر	
ضد المسيحيين	اغتيال القس بولص إسكندر	11 أكتوبر	الموصل	
أحد أبرز المناهضين ضد القتل الطّائفي	اغتيال محمد القاسمي رئيس حزب الوحدة الإسلامية	11 أكتوبر	الحلة	
قتلى وجرحى	تدمير جامع العشرة المبشرة	6 نوفمبر	بغداد - حي العامل	
مع ستة من حراسه	اغتيال معاون الوقف السني	30 نوفمبر	البصرة	
أكثر من 84 قتيل	تفجيرات	2 ديسمبر	بغداد - سوق الصدرية	
أكثر من 30 قتيل	تفجيرات	5 ديسمبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير انتحاري وقذائف هاون	6 ديسمبر	بغداد - الصدر	
أكثر منْ 25 قتيل	قذائف هاون	9 ديسمبر	بغداد - النهروان	
قتلى وجرحى	تفجير في سوق مركزي	9 ديسمبر	كربلاء	
60 قتيل ومئات الجرحى	تفجير انتحاري وسط عمال	12 ديسمبر	بغداد - ساحة الطيران	

40- 50 شخصاً	اختطاف جماعي من سوق تجاري	14 ديسمبر	بغداد	
موظفو الهلال الأحمر	اختطاف جماعي	17 ديسمبر	بغداد	
21 قتيلاً	تفجير انتحاري- كلية الشرطة	22 ديسمبر	بغداد	
77 قتيلاً	تفجيرات متعددة	28 ديسمبر	بغداد	
العنف يتصاعد	إعدام صدام حسين	30 ديسمبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير بسوق الشّواكة	31 ديسمبر	بغداد - الكرخ	

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
أكثر من 70 ضحية	تفجير بالجامعة المستنصرية	16 يناير	بغداد	2007
قتلى وجرحى	تفجيرات متعددة	18 يناير	بغداد	
مجزرة	تفجير بباب الشرقي	22 يناير	بغداد	
استمرار قتل الكفاءات	العثور على جثث أساتذة جامعيين	31 يناير	بغداد	
قتلى بالمئات	جماعة الزركة (جند السّماء)	1 فبراير	بابل	
195 قتيل وجريح	تفجير وسط سوق شعبي	1 فبراير	بابل - الحلة	
130 قتيل ومئات الجرحى	تفجير سوق	3 فبراير	بغداد - الصّدرية	
قتلي وجرحى	قذائف هاون	4 فبراير	بغداد - الأعظمية	
120 قتيلاً	تفجيرات	5 فبراير	بغداد	
18 قتيل	تفجير حافلة	13 فبراير	بغداد - الكرخ	
8 قتلى ونائبان	تفجير انتحاري بمجلس النواب	12 أبريل	بغداد	
قتلى وغرقى	تفجير جسر الصرافية	12 أبريل	بغداد	
حوالي 40 قتيلاً	تفجير موكب جنائزي	24 أبريل	الفلوجة	
مئات القتلى والجرحى	تفجير قرب مرقد العباس	28 أبريل	كربلاء	

شدة العنف ضد المسيحيين	اغتيال قس وشماسة	2 يونيو	الموصل	
عبوات ناسفة	تفجير مرقد الصحابي طلحة	14 يونيو	البصرة - الزبير	
مئات القتلى	تفجير قرى الأيزدية	14 أغسطس	الموصل- الحمدانية	
مجزرة	تفجيرات	4 سبتمبر	بغداد - الصَّدر	
رئيس الصحوات	اغتيال عبد الستار أبو ريشة	13 سبتمبر	الأنبار - الرمادي	
قتلى وجرحى	تفجير جامع البركة	19 أكتوبر	بغداد - الكرخ	
50 قتيلاً	تفجير بباب المعظم	25 نوفمبر	بغداد	
قائد شرطة الحلة	اغتيال اللواء قيس المعموري	9 سبتمبر	بابل - الحلة	
قالى وجرحى	تفجير الجسر الرئيسي	12 ديسمبر	الأنبار - هيت	
قتلى وجرحى	ثلاث تفجيرات	12 ديسمبر	ميسان - العمارة	
14 رجال ونساء وأطفال	اختطاف مواطنين	24 ديسمبر	ديالى - بعقوبة	

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
قتلى وجرحى	تفجير مجلس عزاء	1 يناير	بغداد - زيونة	2008
أكثر من 13 قتيلاً	تفجيرات	4 يناير	بغداد - المنصور	
قتلى وجرحى	قذائف وتفجيرات في أربع كنائس وديرين	6 يناير	بغداد والموصل	
311 قتيل وجريح	انفجار عمارة سكنية	24 يناير	الموصل - الزنجيلي	
مجزرة	تفجير سوقي بغداد الجديدة والغزل	1 فبراير	بغداد	
32 قتيل وجريح	تفجير سوق شعبي	14 فبراير	بغداد - الصَّدر	
مجزرة	تفجير مسجد انتحاريان وسط المصلين	15 فبراير	الموصل - تلعفر	
قتلى وجرحى	تفجير انتحاري وسط مجمع حطين	23 فبراير	بابل - الحلة	

بولص فرج رحو	اختطاف وقتل رئيس أساقفة الموصل	29 فبراير	الموصل	
33 قتيلاً و46 جريحاً	تفجير انتحاري بالسوق	10 مارس	بغداد - أبو غريب	
مجزرة	تفجير منطقة المخيم	17 مارس	كربلاء	
14 قتيل	اقتحام المنطقة	13 أبريل	بغداد - الطوبجي	
مجزرة	تفجير سوق شعبية	17 يونيو	بغداد - الحرية	
قتلى وجرحى	تفجيرات متفرقة	27 يوليو	بغداد وكركوك	
40 قتيلاً وجرحى كثيرون	تفجير مطعم على الطريق	11 سبتمبر	طريق كركوك - أربيل	
قتلى بالعشرات	تفجير	4 ديسمبر	الفلوجة	

الوصف	العملية	التاريخ	المكان	
35 قتيلاً و65 جريحاً	تفجير انتحاري	4 يناير	بغداد- الكاظمية	2009
قتلى وجرحى من العشائر والصحفيين ومستشار الداخلية	تفجير مؤتمر العشائر	10 مارس	بغداد	
40 قتيلاً	سيارة مفخخة	20 مايو	بغداد - الشعلة	
72 قتيلاً و200 جريح	انفجار شاحنة	20 يونيو	كركوك - تازة	
سرقة أموال وقتل الحراس	بنك الزوية بالكرادة	28 يوليو	بغداد - الزوية	
قتلى وجرحى	تفجير مسجد للتركمان	7 أغسطس	الموصل	
23 قتيلاً	تفجير سيارتين	10 أغسطس	الموصل- قرية خزنة	
75 قتيلاً و420 جريحاً	تفجير وزارتي المالية والخارجية	19 أغسطس	بغداد	
90 قتيلاً و620 جريحاً	تفجير وزارة العدل ومحافظة بغداد	25 أكتوبر	بغداد	

قتلى وجرحى	تفجير فنادق	24 يناير	بغداد	2010
عشرات القتلى والجرحى	تفجير مواكب الزائرين منطقة باب الشام	31 يناير	بغداد	
140 قتيلاً وجريحاً	تفجير الزائرين	3 فبراير	كربلاء	
اقتحام المنزل	اغتيال ثلاثة مسيحيين من عائلة واحدة	23 فبراير	الموصل	
عشرات القتلى والجرحى	تفجير مباني سكنية	6 أبريل	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجيرات متفرقة	23 أبريل	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير بطلبة مسيحيين	2 مايو	الموصل - بغديدا	
100 قتيل و250 جريح	تفجيرات منصع نسيج	10 مايو	الحلة والبصرة والصويرة	
12 قتيل و30 جريح	اقتحام البنك المركزي	13 يونيو	بغداد	
43 قتيل و285 جريح	تفجير سوق العشار	7 أغسطس	البصرة	
52 قتيلاً بينهم	اقتحام كنسية النجاة	31 أكتوبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجيرات بمناطق شعبية	2 نوفمبر	بغداد	
قتلى وجرحى	هجوم على منازل مسيحيين	10 نوفمبر	بغداد	
قتلى وجرحى	تفجير وسط العاصمة	25 ديسمبر	بغداد	
قتلى وجرى بالعشرات	تفجير انتحاري	27 ديسمبر	الأنبار - الرمادي	
قتل بالرصاص	العثور على جثث	28 ديسمبر	بغداد - الطارمية	
حالته خطيرة وقتل ولده	هجوم على استاذ قسم الموسيقى	29 ديسمبر	بغداد - السيدية	
قتلى وجرحى وقتل أهم قائد في مكافحة القاعدة	انفجاران انتحاريان	29 ديسمبر	الموصل	
14 قتيلاً 52 جريحاً	تفجير انتحاري	30 ديسمبر	الأنبار - الرمادي	

جدول(2) عدد الضحايا 20 مارس 2003 حتى 23 ديسمبر 2010[403]

السّنة	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
العدد	12079	10845	15046	27850	24677	9245	4681	3983
المجموع	108406							

كم يبدو الرَّقم (108406) مائة وثمانية آلاف وأربعمائة وست ضحايا، (جدول رقم 2) أعلاه، حسب مجموعة (إراك بودي كاونت) البريطانية متواضعاً، ذلك إذا ما علمنا أن العشرات مِنْ التفجيرات الهائلة، والتي خلفت مجازر كبيرة، لا تقل كلٌ واحدة منها عن المئات، ومنها ما تراوح بين 100 - 500 وهناك ما تجاوز الألف ككارثة جسر الأئمة المشار إليها في الجدول، فكيف إذا أُضيف إليها عدد القتلى حال نشوب الحرب في 20 آذار (مارس) 2003 واستمرارها، الاجتياح فقط، حتى 9 نيسان (أبريل) مِنْ العام نفسه!

وفي تقرير قدمه المركز العراقي للدِّراسات الاستراتيجية يكشف عن (تتباين الأرقام بشأن عدد القتلى، وذكرت مجلة لانست أن 100 ألفاً عراقياً قتلوا منذ آذار 2003 إلى 2005 ، وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن (8175) عراقياً من المدنيين ورجال الشرطة قتلوا على يد المسلحين خلال الأشهر المنتهية في 31 / 6/ 2005 أي بمعدل 800 شخصاً شهرياً ، وإسناداً إلى ادعاءات وزارة الداخلية أن 37٪

403 جريدة الشَّرق الأوسط، العدد 11721 المؤرخ في 31 ديسمبر (كانون الأول) 2010 عن مجموعة إراك بودي كاونت المستقلة، ومقرها بريطانيا.

من الحصيلة الكلية قتلتهم قوات الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة. وعلى الرغم من أن الوفيات وقعت في جميع أنحاء العراق (باستثناء مدن كُردستان) فأن معظمها وقع في مناطق كثيفة السكان وأن نسبة 77٪ من الضحايا وقع في اثني عشرة محافظة، ويقدر نصيب بغداد نحو نصف عدد الضحايا)[404]. بينما هناك جهات أُخر قدرت القتلى بأرقام بعيدة عن هذه الإحصائية: 151 ألف حتى منتصف 2006، و601 ألف حتى التاريخ نفسه، وبما يفوق المليون. هذا ويبقى العدد الصحيح غائباً حتى هذه الساعة. ربما يسأل سائل هل يتحمل الإسلام الجهادي، إن صحة التسمية، عن المقاتل التي حصلت بعد نسيان (أبريل) 2003 الجواب قطعاً: لا. فهناك أعداد ليست بالقليلة قضت برصاص الجنود الأمريكان، منه عن طريق الخطأ ومنه عن طريق القصد، وأن هناك تفجيرات كبرى ربما لم تظهر عليها بصمات القاعدة، أو الإسلام الجهادي عموماً، فمِن الجماعات الإسلامية المقاومة مَن التزم بعدم قتل المدنيين، مع ممارسة قتل عناصر الأمن العراقي إضافة تقصد الأمريكان، وهناك عمليات لإثارة الفوضى فقط، لا صلة لها بالجهاد ضد الاحتلال.

لكن تبقى العلميات الانتحارية محصورة بالمجاهدين مِن الإسلاميين، وعلى وجه الخصوص القاعدة، فالعديد مِن الأحيان تعلن

---

404 تقرير الأستاذ المساعد في قسم العلوم السياسة رشيد عمارة الزُيدي:
http://www.iraqcss.com/article.php?id = 58

عن مسؤوليتها، وتبارك (استشهاد) عناصرها في تلك العمليات، التي يسمونها بالاستشهادية. هذا، وكانت آخر العمليات الانتحارية المريعة، ونحن نختتم الكتاب، هي تفجير مبنى محافظة صلاح الدِّين (تكريت) صباح يوم 29 آذار (مارس) 2011 بتفجير ثلاثة انتحاريين أنفسهم، وأدى تدخل القوة الأمنية المحمولة جواً مِن بغداد إلى زيادة عدد القتلى، وقد بلغ العدد بين قتيل وجريح أكثر مِن 120 قتيلاً.

الخـــاتمة

ما ورد في الكتاب كان جرداً للإسلام السِّياسي بالعراق، بداية مِن مقدماته في حراك المرجعية الدِّينية، والذي، مثلما سلفت الإشارة إليه في المقدمة، لم يتبنَ أيديولوجية دينية، بقدر ما كان حراكاً لمواجهة حدث ما مثل قضية الدُّستور العام 1906 والاحتلال البريطاني للعراق 1914 فثورة العشرين وما تبعها مِن حوادث لعبت المرجعية فيها دوراً بحكم وجاهتها الدِّينية وزعامتها الفقهية. وقد خصصنا لمرجعيتي السيَّد محسن الحكيم والسيَّد علي السِّيستاني اهتماماً وذلك لأهمية الحوادث السِّياسية في ظلهما.

ما يتضح مِن البحث في تاريخ وحاضر الإسلام السِّياسي العِراقي أنه ظهر، في أهم مكوناته، لمواجهة الفكر والوجود السِّياسي الماركسي أولاً والقومي ثانياً، المتمثل بحزب البعث العربي الاشتراكي، حيث أُعلن عن تأسيس الحزب الشُّيوعي العِراقي في 31 آذار (مارس) 1934، وعن حزب البعث في السَّابع مِن نيسان (أبريل) 1946 وتأخر تأسيس الفرع العِراقي لسنوات. تمثل النَّشاط الإسلامي الشِّيعي آنذاك بالحزب الجعفري، الذي ظهر واختفى بسرعة قياساً بأعمار الأحزاب العقائدية، وجماعة الشَّباب المسلم، أما الإسلام السِّياسي السُّني فتمثل بحركة الإخوان المسلمين وحزب التَّحرير.

لكن لم يظهر الإسلام السِّياسي العِراقي بقوة إلا بعد الثَّورة الإسلامية الإيرانية، وبنجاحها انتعش الإسلاميَّن السِّياسيين، السُني والشِّيعي، بما فيهما الحركة الكردية الإسلامية. على اعتبار أن الثَّورة الإسلامية بالعراق، بنجاح الثَّورة الإيرانية، غدت قاب قوسين أو أدنى. وأخذ الإسلاميون داخل العِراق يتصرفون بهذا الشُّعور، مِن دون تقدير الحالة العِراقية وقوة السُّلطة آنذاك، ففي حينها قدموا خسائر فادحة، سوى كان ذلك في المواجهات المسلحة أو الإعدامات والسُّجون.

كأي قوى شمولية تتجاوز الحدود الوطنية، هكذا تعامل الإسلاميون مع الثَّورة الإيرانية على أنها الخلاص، وقد تجاوزوا الحدود الوطنية إلى مشاركة الجيش الإيراني في حربه ضد الجيش العِراقي، بذهنية أنه باحتلال إيران للعراق سيفوزون بالسُّلطة، مِن دون النَّظر بعواقب هذا الانحياز، الذي يعتبره خصومهم خيانة وطنية عظمى، بينما يعتبرونه هم نضالاً ضد الدِّكتاتورية.

لم يستطع الإسلام السِّياسي العراقي، على الرَّغم مِن وحدة الهدف، إنشاء دولة إسلامية، مِن تجاوز الطَّائفية والخلافات المذهبية، فسرعان ما ترك بعض الشِّيعة حزب التَّحرير السُّني حال الشُّعور بالفارق المذهبي، وبالتالي طبيعة الدَّولة التي يناضلون مِن أجلها، وما هو مصير أصل (الإمامة) وبقية الخلافات بين المذهبين!

عقود طويلة والإسلام السِّياسي العِراقي ينافح ويكافح مِن أجل

السُّلطة، وإذا هي توضع بيده عبر الاحتلال الأمريكي المباشر للعراق (تم في التاسع مِن أبريل 2003). وهنا بدت المفارقة قوية بين شعار رُفع، مع الثَّورة الإيرانية وما قبلها ضد الأمريكان، والقبول بسلطة مرتهنة بالإرادة الأمريكية، وما حصل أن تحول الإسلام السِّياسي، بشقيه الشِّيعي والسُّني، إلى هدف للمعادين للاحتلال، فقد تحولت أمريكا مِن (الشَّيطان الأكبر)، و(الاستكبار العالمي) إلى محررة! وعلى هذا عُزل الإخوان المسلمون العراقيون (الحزب الإسلامي العِراقي) عن رفاقهم بالبلدان المحيطة، ومنها مصر حيث الجماعة الأم.

والمفارقة الأخرى، إن شعارات الإسلام السِّياسي، وهو في المعارضة، تبشر بالخير والرَّفاه، وتؤكد على الأمانة والتَّواضع، واحتقار المحسوبية والمنسوبية، وإن المال مال الله، والحكم حكم الله، وإذا به في أول تجربة للسُّلطة يفشل في تحقيق كلُّ ما كان يرفعه مِن شعارات، بل عناصر ليست قليلة منه أخذت تُثري ثراءً فاحشاً، وتوجه إليها تُهم الفساد واستغلال السُّلطة، ويُشار إلى ميليشياتها بارتكاب مقاتل، وتعاظم في ظلها أمر الطَّائفية، ونصبت على رأس المؤسسات العلمية عناصر لها تاريخ في الجهاد، ولكن ليس لها تاريخ علمي أو أكاديمي، فتنازل المستوى العلمي الجامعة إلى أدرك الدرجات.

مِن طبيعة الإسلام السِّياسي النَّظر إلى الماضي، والتثقيف الدِّيني في العبادات والمعاملات، وفرض المناسبات الدِّينية على مرافق الدَّولة، ومحاولة فرض الإرادة الدِّينية على المجتمع، ذلك ما كانت

تحاوله القوى الدِّينية وهي خارج، فكيف وقد أصبحت هي السُّلطة! يبدو أن تحرر المجتمع مِن هيمنة الماضي بانكساراته وصراعاته، ليس في مصلحة الإسلام السياسي عموماً، وعلى وجه الخصوص والمواجهة مع الخصوم عبر صناديق الانتخابات، لذا تحرص تلك القوى على الاحتفاظ بالتراجع الاجتماعي، الذي ساد المجتمع العراقي في فترات الحروب(1980- 1988) و(1990- 1991) والحصار(1990 -2003)، مع الحملة الإيمانية التي أطلقها النِّظام السَّابق(1994)، فترى الإسلام السِّياسي الحاكم (بيده رئاسة الوزراء ووزارات ومجالس المحافظات ماعدا إقليم كُردستان) يحاول الاحتفاظ بالقوانين التي صدرت أوان تلك الحملة. كانت تجربة السُّلطة بمجملها اختباراً لتلك القوى، فقد وضعت على المحك، وبمواجهة الجمهور، الذي كان قسماً منه مبهوراً في شعاراتها لتحقيق العدل الاجتماعي.

تعرض الإسلام السِّياسي خلال مسيرته في المعارضة وتجربته في السُّلطة إلى انشقاقات واختلاف الولاءات؛ منها على السَّاحة الإيرانية، حيث تأسيس عدد من الجماعات، بخصوص ربط الدَّعم الإيراني بالأخذ بولاية الفقيه منهجاً، والموقف مِن الحرب العراقية الإيرانية، والالتباس بين الوطنية وأَمية الدِّين والمذهب، مع صعوبة تبرير ذلك للعراقي الذي ولد ونشأ في ظل إعلام يرى إيران العدو الدود، وإذا الذي كان يقاتل إلى جنبها يحكم العِراق! وتلك محنة أخرى في التفكير العِراقي، وكيف يُفهم التَّدخل الإيراني! وكيف يبرر

عِداء إيران المعلن مع الأمريكان ودعمها للأحزاب الدينية العِراقية، التي يصعب وصفها بغير صديقة أمريكا بعد 2003؛

تبدو قضية الطَّائفية، مرتبطة في شيء منها، بوجود إسلاميين سياسيين شيعي وآخر سُني، قد يتفقا على بقاء عبارة (الله أكبر) في العلم العِراقي، لكنهما لا يتفقان قطعاً عندما يميز الفعل الشِّيعي عن الفعل السُّني في الموقف مِن إيران الشيعية ودول الجوار السُّنية، وها هي قضية البحرين كشفت عن ذلك الانقسام، وعدم تبادل الثِّقة، لما تقدم حزب الدَّعوة لنصرة شيعة البحرين، أو الإسلام السِّياسي الشِّيعي هناك، مِن داخل البرلمان العِراقي، أحجم الإسلاميون السُّنة عن التأييد، بل اعترضوا على مثل هذه البادرة، فكلٌّ يحاول المحافظة على سنده الخارجي، على حساب القضايا الوطنية بطبيعة الحال.

بتظاهر الإسلام السِّياسي العِراقي باتخاذ الدِّيمقراطية والمدَّنية طريقاً في السِّياسة والاجتماع؛ لكنه مِن خلال تصريحات رؤساء فيه أنهم اضطروا إليها بفعل الظُّروف، وإلا لم تكن هي الخيار الأفضل بالنِّسبة إليهم. وهنا يأتي الخطر على التَّجربة العِراقية، التي نزفت الدِّماء وما زالت تنزف في ظلها، على أمل أن ينتهي العنف ويحل السَّلام والاستقرار، لكن ما نلاحظه أن التَّحرك على الطَّائفية يبرز عند مواجهة الإسلام السِّياسي للفشل، وكذلك محاولته، بعمومه، الاحتفاظ بالتخلف الاجتماعي والمظاهر الدِّينية، التي تصل إلى حد الخرافة وتسفيه العقل، منها مقصودة كنوع مِن الرياء الاجتماعي في

مسايرة مزاج العامة، بالتالي بضمان أغلب الأصوات، ومنها ما هو متأصل في الوعي، وما (يرتكز على الاستلهام الدَّائم لأحكام الدِّين، والاستدعاء المستمر لسيرة أشخاص أصبحوا قديسين معصومين يتحتم على الجميع السَّير على نهجهم وخطاهم)([405]). لكن هذا لا يعني عدم وجود متنورين إسلاميين مالوا إلى الليبرالية السِّياسية، وتقبلوا العلمانية مع إشارة إليها بـ (المؤمنة).

هذا، ويبقى الإسلام السِّياسي بالعراق، وبشقيه السُّني والشِّيعي، حاضراً بقوة قياساً بالأحزاب غير الدِّينية، التي ما تزال بعيدة عن التَّأثير في المشهد السِّياسي والاجتماعي، فالحزب الشُّيوعي العراقي، على الرَّغم مِن بلوغه السَّابعة والسَّبعين عاماً، وكذلك التَّيار القومي، مِن غير الأحزاب الكُردية، لم يحصل أي منهم ما يكفي مِن الأصوات لضمان مقعد واحد في البرلمان، مع علمنا أن فوز القائمة العِراقية بواحد وتسعين مقعداً، من ثلاثمائة وخمسة وعشرين مقعداً، ظاهرة تلفت النَّظر، وتشير إلى تراجع في الإسلام السِّياسي ككل، وهي القائمة المختلطة مِن ناحية التوجه السِّياسي والفكري والمذهبي.

وبلا شك، إن وقوف القوى السُّنية وراء (العراقية) بهذا الحضور لم يكن بعيداً عن أفول الإسلام السُّني المتمثل بالإخوان المسلمين (الحزب الإسلامي العِراقي)؛ فلم يحصل إلا على أربعة

405 إسماعيل، أيديولوجيا الإسلام السِّياسي والشُّيوعية، ص 20.

مقاعد، وبالدرجة أقل بكثير تراجع الإسلام السِّياسي الشِّيعي، ويبدو أن الوجود في رئاسة الوزراء قلل مِن ذلك التَّراجع، وهي كانت وما زالت بيد حزب الدَّعوة الإسلامية، وهو الكتلة الأعظم في دولة القانون، والأخيرة الأعظم في التحالف الوطني الشِّيعي، مع وجود عناصر سنية، وما تعنيه رئاسة الحكومة مِن تسهيلات وتأثير على الناخب.

كانت هذه تجربة الإسلام السِّياسي الحاكم، أما الإسلام السِّياسي المقاوم، والمتمثل بالجماعات الجهادية وهيأة علماء المسلمين، فهو الآخر تعرى أمام المجتمع العِراقي، وذلك لارتباط العنف به، وإن كان البعض منه لا يمارسه إلى ضد الجيش الأمريكي والقوات المسلحة العِراقية، لكن بالتالي عناصر الأخيرة هم عراقيين، وقتل جندي أو شرطي يعني توليد مشاعر الغضب والتفكير بالأخذ بالثأر وبالتالي تكريس حالة العنف. بعد قراءة الكتاب تتولد فكرة التصادم بين إسلامين سياسيين نقيضين، أحدهم يحاول الحفاظ على السُّلطة بالدِّين والآخر يحاول إسقاطها بالدِّين أيضاً. وقد عاش الإسلام السِّياسي الحاكم تلك المشاعر، عندما كان يوظف الدِّين للاستيلاء على السُّلطة، وها هو وجد نفسه يحاول الاحتفاظ عليها بالأداة نفسها.

بعد إتمام قراءة الكتاب قد يسأل القارئ ماذا عن الحركة السَّلفية بالعراق، الجهادية أو سواها؟! نعم كثر الحديث عن التحرك الموصوف بالوهابية، وقد جاء ذكر إشارات على وجودها في الفصل الخاص بالصدريين. ومع القول بأن النِّظام السَّابق كان يشجعها، إلا أن

المراقبة الأمنية كانت موجها ضدها، مثلما نظرنا في بعض المراسلات الأمنية، التي نُهبت مِن الدَّوائر الأمنية بعد انتفاضة 1991 وسقوط النِّظام 2003، وهي مراقبة أفراد لا تنظيمات.

وربما يُفسر التعاون الواسع مع القاعدة، في المنطقة الغربية بالذات، بعد الدُّخول إلى العراق، بوجود تلك السَّلفية الجهادية، لكن ليس هناك ما يفصل بينهما، فاقترن وجودها بوجود القاعدة، ومحاولاتها في تثبيت إمارات إسلامية بنواحي المثلث السُّنِّي. وعلى العموم ما منعنا مِن فرد فصل خاص بها هو عدم وجود المصادر، والشخصيات التي يعتد بها لتسجيل هذا التَّاريخ، ناهيك مِن أن ظرف العراق القاسي، مِن النَّاحية الأمنية، لا يسمح بذلك. أما مَن تحدث عن الوهابية في تاريخ العراق، ويجعل السيد محمود شكري الآلوسي (ت: 1924) أحد أساطينها فتبقى مجرد قناعات لا تنظيمات، ولا يجب تحميل عداء الآلوسي للعثمانيين على أنه حمل لواء السَّلفية، وإن حصل ذلك فليس هناك ثمة ارتباط بين تلك السَّلفية والحراك السَّلفي الجهادي اليوم، على مستوى العِراق في الأقل.

انتهى

تم الفراغ مِن العمل في نسخة الكتاب النهائية في يوم الأحد الثَّالث مِن نيسان (أبريل) 2011 المصادف 28 ربيع الثاني 1431 هـ بلندن عاصمة المملكة المتحدة حي سانت جيمس وود

المصادر والمراجع

- إبراهيم، زاهدة

الجرائد والمجلات العراقية 1869-1978. دولة الكويت: دار النشر والمطبوعات الكويتية 1982.

- ابن الأثير، عزُّ الدِّين علي (ت 632هـ)

الكامل في التَّاريخ. بيروت: دار صادر 1979، اثنا عشر جزءاً.

- ابن أبي الحديد، أبو حامد عزَّ الدِّين المدائني (ت 656 هـ)

شرح نهج البلاغة. ضبط: عبد الكريم النمري. بيروت: دار الكتب العلمية (بيضون) 2003، واحد وعشرون جزءاً.

- ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779هـ)

تُحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطة. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1998.

- ابن تغري بردي، جمال الدِّين يوسف (ت 874هـ)

النجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: دار الكتب المصرية 1929-1956.

- ابن تيمية، تقي الدِّين عبد الحليم (ت 728هـ)

رأس الحسن. تحقيق: محمد حامد الفقي. مطبعة السُّنَّة المحمدية 1949.

مسألة في الكنائس. تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل. الرياض: مكتبة العبيكان 1995.

منهاج السُّنَّة النَّبوية. الرِّياض: مكتبة الرياض الحديثة، بلا تاريخ طبع.

- ابن الجوزي، عبد الرَّحمن (ت 597هـ)

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: سهيل زكار. بيروت: دار الفكر 1995.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمد (ت 808هـ)

تاريخ ابن خلدون. عمان والرياض: بيت الأفكار الدولية. نسخة مضغوطة في جزء واحد.

- ابن خِلَّكان، أحمد بن محمد (ت 681هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة 1948 ستة أجزاء.

- ابن رستة أحمد بن عمر (ت 290 هـ)

كتاب الأعلاق النَّفيسة. مدينة ليدن المحروسة: مطبعة بريل 1893.

- ابن سينا، الشَّيخ أبو علي (ت 428هـ)

رسالة حي بن يقظان. تحقيق: ميكائيل بن يحيى المهْرني. ليدن: مطبعة بريل 1889.

ابن طقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ)

الفخري في الآداب السُّلطانية. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ طبع.

- ابن طيفور، أحمد بن طاهر الكاتب (ت 280هـ)

كتاب بغداد. تحقيق: محمد زاهد الكوثري. القاهرة: مكتب نشر الثقافة الإسلامية 1949.

- ابن عباد، الصاحب (ت 385 هـ)

الزَّيدية. تحقيق: ناجي حسن. بيروت: الدَّار العربية للموسوعات 1986.

- ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف (ت463هـ)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. القاهرة: الفجالة، مطبعة نهضة مصر، أربعة أجزاء.

- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد (ت 327هـ)

العقد الفريد. تحقيق: أحمد أمين وآخرين. القاهرة: 1940.

- ابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق (ت 732هـ)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. تحقيق: مصطفى جواد. بغداد: المكتبة العربية ومطبعة الفرات 1351هـ (ثبت الكتاب أنه منسوب لابن الفوطي).

- ابن قيم الجوزية، شمس الدِّين (ت751هـ)

أحكام أهل الذمة. تحقيق: صبحي الصالح. بيروت: دار الملايين 1994 جزءان.

المنار المُنيف في الصحيح والضعيف. تحقيق: أحمد عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية 1988.

- أبو الفداء، الملك عماد الدِّين إسماعيل (ت 732هـ)

المختصر في أخبار البشر. تحقيق: يحيى سيد حسين. القاهرة: دار المعارف، جزءان.

المختصر في أخبار البشر. القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ط1، أربعة أجزاء.

ابن هشام، محمد بن عبد الملك (نحو 213هـ)

السيرة النبوية. تحقيق: السقا والأبياري والشبلي. بيروت: دار الخير 2004 أربعة أجزاء.

- أبو يوسف، القاضي يعقوب (ت 182هـ)

كتاب الخراج. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر 1979.

- الأبياري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328 هـ)

الزَاهر في معاني كلمات النَّاس. تحقيق: حاتم صالح الضامن. بغداد: دار الرشيد للثقافة 1979. جزءان.

- أحمدي، علي

سلسلة رواد التَّقريب الثَّاني.. الشَّيخ شلتوت. ترجمة: عامر شوهاني. طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية 2007.

- إخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري)

الرسائل. بمباي: مطبعة الأخبار 1305-1306 هـ طباعة حجرية، أربعة أجزاء.

- الأزري، عبد الكريم

مشكلة الحكم بالعراق. لندن: طبع خاص 1991.

- الأسدي، حسن

ثورة النَّجف. بغداد: وزارة الإعلام 1975.

- الأسدي، مختار

الصَّدر الثَّاني الشَّاهد والشَّهيد. مؤسسة الأعراف 1999.

- الأَسطُرلابي، هبة الله بديع الزمان (ت 539 هـ)

درَّة التَّاج من شعر ابن الحجَّاج. تحقيق: علي جواد الطاهر. كولون – بغداد: منشورات الجمل 2009.

- إسماعيل، سامح محمود

أيديولوجيا الإسلام السِّياسي والشِّيوعية. بيروت: دار السَّاقي ومؤسسة الدِّراسات الفكرية المعاصرة 2010.

لُبُّ الألباب.. كتاب تاريخ وأدب. بغداد: مطبعة المعارف 1933.

- الأصفهاني، السَّيد أبو الحسن (1946)

وسيلة النجاة، قم: مطبعة مهرا سوار.

- الأصفهاني، أبو الفرج (ت 356هـ)

مقاتل الطالبيين. تحقيق: أحمد صقر. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1987.

- آل السَّهروردي، محمد صالح (ت 1957)

لُبُّ الألباب.. كتاب تاريخ وأدب. بغداد: مطبعة المعارف 1933.

- آل الطالقاني، السَّيد محمد حسن

الشَّيخية نشأتها وطورها ومصادر دراستها. بيروت: الآمال للمطبوعات 1999.

- الآلوسي، محمد

صدام حسين بين إسلامية المواقف ومواقف الإسلاميين. منشورات الكتلة الإسلامية بالعراق 1991.

عبد العزيز البدري العالم والمجاهد. الأردن: دار بيارق 2001.

- الأمين، حسن (ت 2001)

المغول بين الوثنية والنَصرانية والإسلام، بيروت، دار التعارف للمطبوعات 1993.

الأمين، السَّيد محسن (ت 1952)

أعيان الشِّيعة. تحقيق حسن الأمين. بيروت دار التعارف 1986.

- بابان، جمال

أُصول أسماء المدن والمواقع العراقية. بغداد: مطبعة الأجيال 1989.

- بابير، الشَّيخ علي

علماء الإسلام مَنْ هم وما هي صفاتهم. ترجمة: إسامة نصر الدِّين. أربيل: مكتب التَّفسير 2003.

مسائل عصرية رائجة.. نظرة واقعية وتقييم شرعي. ترجمة: إحسان برهان الدِّين. طبع خاص 2007.

- البارزاني، مسعود

البارزاني والحركة التحررية الكُردية.. ثورة أيلول 1961-1975. أربيل: 2002.

- البازياني، محمد سيد نوري

مستقبل الحركة الإسلامية في كوردستان العراق. أربيل: مطبعة وزارة التربية 2006.

- بازركَان، رفعت رؤوف

معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدَّارجة. بغداد: الأمراء للطباعة 2000.

- البَدري، عبد العزيز (قتل 1969)

الإسلام بين العلماء والحكام. المدينة المنورة: المكتبة العلمية 1966.

حُكم الإسلام في الإشتراكية. المدية المنورة: المكتبة العلمية 1965 (الطبعة الإولى، بغداد 1962).

- بحر العلوم، محمد

أضواء على قانون الأحوال الشَّخصية. النَّجف: مطبعة النعمان 1963.

- البراك، فاضل (قيل أُعدم 1989)

استراتيجية الأمن القومي.. آراء وأفكار. بغداد: الدار العربية 1988.

تحالفات الأضداد. بغداد: الطبعة الثَّالثة 1989.

- بريمر، بول

عام قضيته بالعراق. ترجمة: عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي 2006.

- بزي، محمد حسين

عبد المجيد الخوئي شاهد بلا شهادة. بيروت: دار الأمير 2003.

- البستوي، عبد العَليم عبد العظيم

موسوعة المهدي المنتظر، مكة: المكتبة المكية، وبيروت: دار ابن حزم 1999.

- بشير، علاء

كنت طبيباً لصدام حسين.. صورة عن قرب. القاهرة: دار الشروق 2004.

- بَصري، مير (ت 2006).

أعلام الأدب بالعراق الحديث. لندن: دار الحكمة 1994.

أعلام السياسة بالعراق الحديث. لندن: رياض الريس للكتب والنشر 1987.

أعلام الكُرد. لندن وقبرص: رياض الريس للكتب والنشر 1991.

- البصّير، محمد مهدي (ت 1974)

تاريخ القضية العراقية. لندن: دار لام 1990.

- بطاطو، حنّا (ت 2000)

العراق. ترجمة: عفيف الرَّزاز. بيروت:مؤسسة الأبحاث

العربية 1990.

- البلداوي، عادل تقي عبد

لقاء الأضداد.. حقائق وثائقية مجهولة عن ثلاث وأربعين شخصية عراقية في العهد الملكي. بغداد: 2007.

- البنا، جمال

مسؤولية فشل الدَّولة الإسلامية في العصر الحديث وبحوث أخرى. القاهرة: دار الفكر الإسلامي، بلا تاريخ طبع.

- التكريتي، برزان (أُعدم 2007)

محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين. بغداد: الدار العربية 1982.

- التِّنكابني، الميرزا محمد بن سليمان (القرن الثَّالث عشر الهجري)

قصص العلماء. ترجمة مالك وهبي. بيروت: دار المحجة البيضاء 1992.

- التَّنوخي، أبو علي المُحَسَّن(384هـ)

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق: عبود الشَّالجي. بيروت: طبع خاص، ثمانية أجزاء 1971- 1973.

التُّويجري، حمود بن عبد الله

الصَّواعق الشَّديدة على اتباع الهيئة الجديدة. الرياض: 1388 هـ طبع خاص، الطبعة الأولى.

- توفيق، صبحي ناظم

عبد السَّلام محمد عارف كما رأيته. لندن: دار الحكمة 2007.

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255 هـ)

كتاب الحَيوان. بيروت: منشورات دار الكتب العلمية (بيضون) 2003.

- الجبوري، عبد الجبار حسن

الأحزاب والجمعيات السِّياسية في القطر العراقي 1908 – 1958. بغداد: دار الحرية 1977.

- الجواهري، محمد مهدي (ت 1997)

الدِّيوان. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام 2000.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (نحو 393هـ)

الصَّحاح.. تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار. مصر: دار الكتاب العربي، تقديم محمود عباس العقاد 1956 ستة أجزاء.

- الحائري، الحاج ميرزا علي (ت 1967)

عقيدة الشّيعة. الطبعة الثّانية. طبع خاص بلا تاريخ ومكان نشر. الطبعة الأولى النّجف 1960.

- حرز الدّين، محمد (ت 1945)

مراقد المعارف. تحقيق: محمد حسين حرز الدّين. النّجف: مطبعة الآداب 1971. جزءان.

- حسن، جعفر هادي

فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام. بيروت: مؤسسة الفجر 1988.

- حسين، فؤاد

الزّرقاوي الجيل الثّاني للقاعدة. بيروت: دار الخيال 2005.

- الحكيم، آية الله محمد سعيد

المرجعية الدّينية وقضايا أُخرى. بيروت: مؤسسة المُرشد 2001.

- الحكيم، محمد مهدي (اغتيل 1988)

من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم حول

التحرك الإسلامي بالعراق. إعداد: مركز آل الحكيم للدراسات التَّاريخية والسِّياسية 1988.

- الحكيم، آية الله محسن الطباطبائي (ت 1970)

مستمسك العروة الوثقى. بيروت: دار التُّراث العربي 1981.

حمودة، عادل

سيَّد قطب مِن القرية إلى المشنقة.. تحقيق وثائقي. القاهرة: سينا للنَّشر 1987.

- الحموي، شهاب الدِّين ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ)

معجم البلدان. بيروت: دار صادر 1995.

- الحميري، السَّيد إسماعيل (ت 173هـ)

ديوان السَّيد الحميري. تحقيق: شاكر هادي شُكر. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بلا تاريخ نشر.

- الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد النجدي(ت 1972)

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. الرياض: مطابع الرياض، ثلاثون جزءاً 1383 هـ.

- الحيدري، إبراهيم فصيح صبغة الله (ت 1882)

عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد. لندن: دار الحكمة، نسخة مستنسخة عن طبعة الكتاب الأولى، دار منشورات البصري 1962.

- الخاقاني، علي (ت 1979)

شعراء الغري أو النَّجفيات. قم: مطبعة بهمن 1408هـ. مصورة عن نسخة المطبعة الحيدرية بالنَّجف. 12 جزءاً.

- خالص، محمود (ت 1981)

ذاكرة الورق.. ستون عاماً من تاريخ العراق الحديث في يوميات محمود خالص. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر 2010.

- الخالصي، الشَّيخ محمد مهدي(ت 1963)

علماء الشِّيعة والصِّراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدِّين. تحقيق: هادي الخالصي. طبع خاص: 1998.

- الخالصي، الشَّيخ محمد مهدي (ت 1963)

علماء الشِّيعة والصِّراع مع البدع والخرافات الدخيلة على الدِّين. حققه وترجمه: الشَّيخ هادي الخالصي. طبع خاص: 1998، طبعة الكتاب الأولى صدرت 1948 بالفارسية.

- الخالصي، الشَّيخ محمد مهدي (الحفيد)

الجمعة المجاهدة.. نماذج من خطب الجمعة. طهران: 1983.

- الخرسان، صلاح

حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق. دمشق: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية 1999.

- الخفاف، حامد

النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السِّيستاني في المسألة العراقية (إعداد). بيروت: دار المؤرخ العربي 2007.

- الخميني، آية الله روح الله الموسوي(ت 1989)

تحرير الوسيلة. طهران: مكتبة اعتماد 1983 جزءان.

- دان، أوريل

العراق في عهد عبد الكريم قاسم. ترجمة: جرجيس فتح الله. السويد: دار نَبَز للطباعة والنشر 1989 جزءان.

- دكَلة، صالح (ت 1998)

من الذاكرة.. سيرة حياة. دمشق: دار المدى 2000.

- الدِّليمي، خليل

صدام حسين من الزنزانة الأمريكية، الخرطوم: شركة المنبر 2009.

- الرَّصافي، معروف عبد الغني (ت 1945)

الرِّسالة العراقية. بغداد- كولونيا: منشورات الجمل 2007.

- رفسنجاني، أكبر هاشمي

حياتي.ترجمة: دلال عباس. بيروت: دار الساقي، 2005.

- الرُّفيعي، محسن (ت 2003)

أنا والزَّعيم مذكرات العقيد محسن الرُّفيعي. تحرير: ستار جبار الجابري. بغداد: طبع شركة مجموعة العدالة 2010.

- رؤوف، عادل

العمل الإسلامي بالعراق بين المرجعية والحزبية. لبنان: المركز العراقي للإعلام والدراسات 2005.

محمد باقر الصَّدر بين دكتاتوريتين. دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات 2001.

- الرُّفيعي، عبد الحسين

النَّجف الأشرف ذكريات ورؤى وانطباعات ومشاهد. لندن:

دار الحكمة 2009.

- رومي، غضبان (ت 1989)

مذكرات مندائية. بغداد: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة 2007.

- الزَّركلي، خير الدِّين (ت 1971)

الأعلام.. قاموس تراجم. مطبعة كوستا توماس: 1954-1959.

الأعلام.. قاموس تراجم. بيروت: دار الملايين 1992.

- زين العابدين، الإمام علي بن الحسين (ت94هـ)

الصحيفة السجادية الأدعية المروية. طهران: مطبعة سبهر 1984.

- السَّامرائي، نعمان عبد الرَّزاق

مذكرات. الرِّياض: طبع خاص 2004.

- السَّامرائي، يونس إبراهيم

تأريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري. بغداد: مطبعة وزارة الأوقاف والشُّؤون الدِّينية 1978.

- سترنج، لي كَي(ت 1933)

بُلدان الخلافة الشرقية. ترجمة: بشير فرنسيس كوركيس عواد.بغداد: مطبعة الرابطة 1954.

- السَّراج، عدنان إبراهيم

الإمام محسن الحكيم 1989-1970 دراسة تاريخية. بيروت: دار الزهراء 1993.

- سعيد، علي كريم (ت 2003)

عراق 8 شباط 1963 من حوار الدم إلى حوار المفاهيم مراجعات في ذاكرة طالب شبيب. بيروت: دار الكنوز الأدبية 1999.

- السَّهروردي، نجم الدِّين

التَّاريخ لم يبدأ غداً.. حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني 41 و58 في العراق. بغداد: شركة المعرفة للنشر والتَّوزيع 1989.

- السَّواح، فراس

مغامرة العقل الأولى. دمشق: دار علاء الدِّين 1996.

- السِّيستاني، آية الله علي

منهاج الصالحين. دولة الكويت: مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي 1416هـ جزءان.

- السَّيف، توفيق

ضد الاستبداد.. الفقه الشِّيعي في عصر الغيبة، قراءة في رسالة تنبيه الأمة وتنزيه الملة. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي 1999.

- الشَّالجي، عبود (ت 1996)

موسوعة الكنايات البغدادية. بيروت: مطبعة دار الكتب 1983.

- الشَّامي، حسين بركة

المرجعية الدِّينية من الذات إلى المؤسسة. لندن: مؤسسة دار الإسلام 1999.

- شُبَّر، السَّيد حسن

العمل الحزبي بالعراق 1908-1958. بيروت: دار التراث العربي، 1989.

تاريخ العراق السِّياسي المعاصر.. التَّحرك الإسلامي 1900 -1957. بيروت: دار المنتدى للنَّشر 1990.

- الشَّمراني، علي

صراع الأضداد .. المعارضة العراقية بعد حرب الخليج. لندن: دار الحكمة 2003.

- شهاب، زكي

العراق يحترق شهادات من قلب المقاومة. بيروت دار الريس للكتب والنشر 2006.

- الشَّهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ)

الملل والنِّحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، جزءان.

- الشَّواف، عبد اللَّطيف (ت 1996)

عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون. بيروت: الوراق للنشر 2004.

- شوكت، ناجي (ت 1980)

سيرة وذكريات ثمانين عاماً. بغداد: دار اليقظة العربية.

- الشَّيخ علي، فائق

اغتيال شعب. لندن: مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية 2000.

- الشّيرازي، عبد الكريم بي آزار

الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة. بيروت: الطبعة الأولى 1975.

- الشّيرازي، محمد الحسيني(ت 2001)

السّياسة. بيروت: دار العلوم 1987.

- الصَّدر، محمد باقر (اُعدم 1980)

اقتصادنا. بيروت: دار التَّعارف للمطبوعات، الطَّبعة السَّابعة عشرة، بلا تاريخ نشر.

فلسفتنا. بيروت: دار التَّعارف للمطبوعات، ط الثَّالثة عشر 1982.

- الصَّدر، محمد محمد صادق (اغتيل 1999)

مَنبر الصَّدر.. خُطب الجمعة. تقرير وتحقيق: محسن الموسوي. بيروت دار الأضواء، 1423هـ 2003.

تاريخ ما بعد الظُّهور. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، بلا تاريخ طبع.

- الصَّغير، محمد حسين

أساطين المرجعية الدِّينية. بيروت: مؤسسة دار البلاغ 2003.

- الصَّفار، ثناء

ملامح الخطاب السِّياسي عند الإمام محمد مهدي الخالصي (1992-2000) . بلا مكان طبع 2000.

- صمانجي، عزيز قادر

قطار المعارضة العراقية من بيروت 1991 إلى بغداد 2003. لندن: دار الحكمة 2009.

- الصَّاوي، عبد العزيز وجَادين، محمد علي

الثَّورة المهدية.. مشروع رؤية جديدة. القاهرة: دار القومية للثَّقافة وللنَّشر، والخرطوم: شركة الفارابي للنَّشر، بلا تاريخ نشر.

الصَّياد، فؤاد عبد المعطي

الشَّرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين. الدوحة: 1987.

- الطَّبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)

تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: عبد علي مهنا. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1998 عشرة أجزاء.

- الطُّوسي، أبو جعفر الحسن (ت 460هـ)

كتاب الغيبة. طهران: مكتبة نينوى الحديثة.

كتاب الغيبة. تحقيق: عباد الله الطّهراني وعلي أحمد ناصح. قمٌّ: مؤسسة المعارف الإسلامية 1429 هـ.

- العاملي، محمد بن الحسن الحرّ (ت 1104هـ)

وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. بيروت: إحياء التراث العربي.

- العبد الله، حامد

حزب الدعوة الإسلامية.. ظروف النشأة والفكر الحركي. الكويت: دار قرطاس 1996.

- عبد الله، مشير مصطفى

الحركة الإسلامية في كوردستان العراق. مشروع بحث مقدم إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية- بيروت 1998.

- العجلي، شمران

الخريطة السّياسية للمعارضة العراقية. لندن: دار الحكمة 2000.

- العزاوي، عباس (ت 1971)

العراق بين احتلالين. بغداد: مطبعة الفيض الأهلية، وبغداد الحديثة، وشركة التجارة والطباعة المحدودة، ثمانية أجزاء 1935-1956.

- عزُّ الدِّين، يوسف

الشعر العراقي الحديث. القاهرة: دار المعارف 1977.

- العقيل، المستشار عبد الله

من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. الكويت: مطبعة المزار الإسلامية 2001.

- العقيلي، طارق مجيد تقي

بريطانيا ولعبة السُّلطة في العراق.. التَّيار القومي والطَّائفية السِّياسية. القاهرة: مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي 2010.

- علاوي، علي

احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر 2009.

- العلواني، الشَّيخ طه جابر

لا إكراه في الدِّين.. إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2003.

العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات. القاهرة: مكتبة الشروق 2005، جزءان.

- العلوي، حسن

أسوار الطين. بيروت: الكنوز الأدبية 1995.

عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين. لندن: دار الزوراء 1983.

- علي، جواد (ت 1987)

المهدي المنتظر عند الشّيعة الاثني عشرية. ترجمة: أبو العيد دودو. كولونيا: منشورات الجمل، 2005.

- علي، علي شاكر

تاريخ العراق في العهد العثماني(1638-1750) دراسة في أحواله السّياسية. الموصل: مكتبة 30 تموز 1985.

- عليوي، هادي حسن

الأحزاب السّياسية بالعراق السرية والعلنية. بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر 2001.

- الغبان، محمد جواد

المعارك الأدبية حول تحرير المرأة في الشعر العراقي المعاصر. بغداد 2006.

- الغروي، السَّيد محمد

مع علماء النَّجف الأشرف. بيروت: دار الثقلين 1999، جزءان.

- الغياث، عبد الله بن فتح البغدادي (القرن التاسع الهجري)

تاريخ الغياثي. تحقيق: طارق نافع الحمداني. بغداد: مطبعة أسعد 1975.

- فرج، لطفي جعفر

الملك غازي. بغداد ودوره في سياسة العِراق في المجالين الدَّاخلي والخارجي 1933 -1939 : مشورات مكتبة اليقظة 1987

- الفضلي، فؤاد عبد الهادي

قراءات في فكر العلامة الدُّكتور الفضلي(إعداد).الأحساء: اللجنة الدِّينية بالقارة 2008.

- الفكيكي، هاني (ت 1997)

أوكار الهزيمة. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر 1993.

- فياض. عبد الله

الثَّورة العراقية الكبرى سنة 1920. بغداد: مطبعة دار السَّلام 1975.

- الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)

القاموس المحيط. تحقيق: مكتبة التُّراث في مؤسسة الرِّسالة. بيروت: مؤسسة الرِّسالة 1998.

- القاضي، الشَّيخ حسين البرزنجي (ت 1842)

كتاب سراج السَّالكين. ترجمة: ملا جميل الرُّوزبياني. أربيل: مطبعة وزارة الثقافة 1998.

- القبانجي، صدر الدِّين

الجهاد السِّياسي للسيد الشهيد الصَّدر. الطبعة الثَّانية 1404 بلا مكان نشر.

- القرشي، حامد

هكذا تكلم أحمد الحسني البغدادي. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام 2005.

السُّلطة والمؤسسة الدِّينية الشِّيعية بالعراق، حوار صريح مع سماحة آية الله أحمد الحسني البغدادي، دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات 2002.

- القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رُشد (ت 595هـ)

بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة: مطبعة الاستقامة 1952 جزءان.

- القزويني، أمير محمد الكاظمي

الشّيعة في عقائدهم وأحكامهم. دولة الكويت: مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي 1996.

- القزويني، جودة

عزّ الدّين الجزائري رائد الحركة الإسلامية بالعراق. دار الرافدين، 2005 بلا مكان طبع.

- القزويني، زكريا بن محمد (ت 682هـ).

آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت: دار صادر 1998.

- القصاب، عبد العزيز (ت 1965)

مِنْ مذكراتي. بيروت: منشورات عويدات 1962.

- قيّم، عبد النّبي

فرهنكَ معاصر عربي فارسي. طهران: فرهنكَ معاصر 1387.

- الكاتب، أحمد

المرجعية الدِّينية الشِّيعية وآفاق التَّطور الإمام محمد الشِّيرازي نموذجاً. بيروت: الدَّار العربية للعلوم - ناشرون 2007.

- كاشف الغطاء، علي

سعد صالح في مواقفه الوطنية 1920 -1950. بغداد: مطبعة الرَّاية 1989.

- كاشف الغطاء، الإمام محمد حسين (ت 1954)

العبقات العنبرية في الطَّبقات الجعفرية. تحقيق: جودت القزويني. بيسان للنشر والتوزيع 1998.

أصل الشِّيعة وأُصولها. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1993.

محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء الشَّيخ محمد الحسين مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد. النَّجف: المطبعة الحيدرية 1954.

- كركوكلي، الشَّيخ رسول (ت 1824)

دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء. ترجمة: موسى كاظم نورس. قم: منشورات الشريف الرضي، 1413 مستنسخة عن

طبعة بغداد: مكتبة النهضة وبيروت: مكتبة دار الكتاب العربي.

- الكسنزاني، الشَّيخ محمد الحسيني

الطَّريقة العلية القادرية الكسنزانية. طبع خاص، بلا تاريخ ولا مكان طبع.

- الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت 329هـ)

الأُصول من الكافي. بيروت: دار صعب ودار التَّعارف للمطبوعات 1401هـ ثمانية أجزاء.

- الكوراني، علي العاملي

عصر الظُّهور المهدي. بيروت: دار المحجة البيضاء 2004.

- لونكَريك، ستيفن هملسي (ت 1950)

أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة: جعفر الخياط. قُمَّ: مطبعة أكير 1412 هـ نسخة طبق الأصل من طبعة بغداد الرابعة 1968.

العِراق الحديث مِن 1900 -1950. ترجمة: سليم طه التِّكريتي. بغداد: منشورات الفجر 1988.

- المتنبي، أحمد بن الحُسين (قتل 354 هـ)

الديوان: العَرف الطيِّب في شرح ديوان أبي الطيب. شرح: الشَّيخ ناصيف اليازجي. بيروت: دار صادر 2005. جزءان.

- المجلسي، محمد باقر (ت 1699)

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء 1983. 110 جزء.

- مجموعة مؤلفين

كتاب المسبار الشهري. السلفية الجهادية. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، مايو (أيار) 2007 تسلسل الكتاب: الخامس.

كتاب المسبار الشهري. حزب التحرير. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، أغسطس (أب) 2007 تسلسل الكتاب: الثامن.

كتاب المسبار الشهري. الإسلامية الكُردية. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، يوليو (تموز) 2008 تسلسل الكتاب: 18.

كتاب المسبار الشهري. الإسلامية اليمنية. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، أغسطس (أب) 2008، تسلسل الكتاب: 19.

كتاب المسبار الشهري. الصفوية. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، نوفمبر (تشرين الثَّاني) 2008، تسلسل الكتاب: 23.

كتاب المسبار الشهري. الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، يوليو (تموز) 2010، تسلسل الكتاب: الثَّالث والأربعون.

كتاب المسبار الشهري. الإسلاميون في الخليج.. القضايا. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، سبتمبر (أيلول) 2010، تسلسل الكتاب: الخامس والأربعون.

كتاب مسبار، الحوثيون سلاح الطَّائفة وولاءات السِّياسة. دبي: مركز مسبار للدراسات والبحوث، مارس (آذار) 2010.

- مجموعة مؤلفين

الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب. إعداد المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. طهران: 2004.

- محبوبة، جعفر الشَّيخ باقر (ت1957)

ماضي النَّجف وحاضرها. النَّجف: مطبعة الآداب 1958.

- المُدَرسي، السيَّد محمد تقي

الانتفاضة الشَّعبية في العراق.. الأسباب والنَّتائج. إعداد: قاسم زين العابدين. دار الوفاق للصَّحافة والنَّشر 1991.

- المسعودي، أبو الحسن علي(ت 346هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: شارل بلا. بيروت:الجامعة اللبنانية 1966-1973 سبعة أجزاء، جزءان للفهرسة.

التنبيه والإشراف. تحقيق: عبد الله الصاوي. المكتبة التَّاريخية 1938. التنبيه والإشراف، بيروت: مكتبة الخياط 1965.

- المسعودي، عبد العزيز قائد

محمد الزُّبيري ومشروع حزب الله(1941 - 1965). القاهرة: مكتبة مدبولي 2003.

- مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421هـ)

تجارب الأمم وتعاقب الهمم. تحقيق: سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، سبعة أجزاء 2003.

- المشايخي، الشَّيخ كاظم أحمد(ت 2004)

الشَّيخ محمد محمود الصَّواف رائد الحركة الإسلامية في العراق. بغداد: مطبعة أنوار دجلة 2009.

نشأة الحزب الإسلامي العِراقي. بغداد: دار الرَّقيم 2005.

- المطبعي، عبد الحميد

موسوعة أعلام العراق. بغداد: وزارة الإعلام العراقية 1995 ثلاثة أجزاء.

- المظفر، الشَّيخ محمد رضا (ت 1963)

عقائد الإمامية. بيروت: دار المرتضى 2005.

- المعري، أبو العلاء (ت 449 هـ)

سِقِطِ الزَّند. بيروت: دار صادر، بلا مكان ولا تاريخ طبع.

- مَغنّية، محمد جَواد (ت 1979)

مع علماء النَّجف الأشرف. بغداد: مكتبة النهضة 1962.

- مكاي، دوروثي

مُدن العراق القديمة. ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني. بغداد: مطبعة شفيق 1961.

- الملاح، عبد الغني (ت 2001)

المتنبي يسترد أباه.. دراسة في نسب المتنبي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1989.

- الموسوي، محسن النوري

صدر العراق الثَّالث. مركز ولي الله للدراسات والتوزيع

والإرشاد 2004.

- المؤمن، علي

سنوات الجمر.. مسيرة الحركة الإسلامية بالعراق 1957 –1986. لندن: دار المسيرة 1993.

- المياحي، الشَّيخ عباس الزَّيدي

السَّفير الخامس. استعراض لحياة ومرجعية الإمام الصَّدر. بيروت: 2001.

- الميداني، أحمد بن محمد (ت 518 هـ)

مَجمع الأمثال. تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد. مطبعة السُّنَّة المحمدية 1955. جزءان.

- النَّاجي، أحمد

الشَّيخ عبد الكريم الماشطة أحد رواد التنوير بالعراق. الحلة: الدار العربية للطباعة والنشر 2006.

- النَّجار، جميل موسى

الإدارة العُثمانية في ولاية بغداد من ولاية مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني. القاهرة: مكتبة مدبولي 1991.

- النُّعماني، الشَّيخ محمد رضا

الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار. قمٌّ: المطبعة العلمية 1996.

- النَّقشبندي، الشَّيخ أمين الشَّيخ علاء الدِّين

ماهو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية. ترجمة: محمد شريف أحمد. بغداد: الدار العربية 1988.

- النَّوبختي، أبو محمد الحسن (ت نحو 310هـ)

فرق الشِّيعة. تحقيق: محمد آل صادق. النَّجف: المطبعة الحيدرية 1936.

- نوري، بهاء الدِّين

مذكرات. لندن: دار الحكمة 2001.

- الهمداني، رشيد الدِّين فضل الله (أُعدم 718هـ)

جامع التواريخ: تاريخ غازان. ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد. القاهرة: الدار الثقافية للنشر 2000.

- الهندي، علي المتقي (ت 975هـ)

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: حسن رزق،

وصفوت السقا. حلب: مكتبة التراث الإسلامي 1970 ثمانية عشر جزءاً.

- هويدي، أمين (ت 2009)

50 عاماً من العواصف. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنَّشر 2002.

- هويدي، محمود فهمي

إيران من الداخل. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر 1987.

- الوردي، علي (ت 1995)

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. بغداد: مطبعة الرشاد ومطبعة الأديب البغدادية، 1969-1979 ستة أجزاء.

- اليزدي، السَّيد محمد كاظم (ت 1919)

العروة الوثقى. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

- يوسف، السَّيد (ت 1980)

الإخوان المسلمون وجذور التَّطرف الدِّيني والإرهاب في مصر. القاهرة: الهيأة المصرية للكتاب 1999.

- التَّقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي، حزيران (يونيو) 1982. بغداد: دار الحرية للطباعة 1983.

- كراس: حزب التحرير: 1985 بلا مكان طبع.

- موسوعة الحديث الشَّريف، الكُتب السِّتة، الرِّياض: دار السلام للنشر والتوزيع 2000.

- نهج البلاغة. شرح محمد عبده. بيروت: مؤسسة الأعلمي 1993.

الدوريات

- مجلة الأرشيف، فصلية وثائقية مصورة تعني بالتراث والمعاصرة، العدد الرَّابع لسنة 2010، تصدر ببغداد.

- مجلة الأسبوعية البغدادية- سياسية جامعة- العدد الثامن 2008.

- مجلة بين النهرين، فصلية حضارية تُراثية، تصدرها مطرانية الكلدان بالموصل، العدد 43 السَّنة 1983.

- مجلة العلم لمنشئها هبة الدِّين الشَّهرستاني، صوت النَّجف (1910 -1912).

- مجلة قضايا إسلامية. فكرية إسلامية تصدرها مؤسسة الرَّسول الأعظم، بمدينة قُمّ، عدد خاص بفكر السَّيد محمد باقر الصَّدر، الثَّالث 1996.

- مجلة الموسم، مجلة فصلية، تأسست بالهند 1989 صاحبها محمد سعيد الطريحي تهتم بالآثار والتراث.

- مجلة النور الإسلامية، شهرية سياسية جامعة، تصدرها مؤسسة الإمام الخوئي بلندن (1993-2007).

- جريدة بابل، الصَّادرة ببغداد في تاريخ 10، 13 نيسان(أبريل) 2002، صاحبها عدي صدام حسين

- جريدة الثورة العراقية، الصَّادرة ببغداد، تاريخ 5 نيسان(أبريل) 1991.

- جريدة الحياة، الصَّادرة بلندن وبيروت، العدد: 12108 و12109 تاريخ: 19 - 20 نيسان (أبريل) 1996.

- جريدة الرِّياض السعودية، العدد: 4398 المؤرخ في 17 محرم 1400.

- جريدة الزمان، يومية سياسية، تصدر بلندن، تاريخ 2 شباط (فبراير) 2000.

- جريدة الشَّرق الأوسط الدولية، يومية سياسية، تصدر بلندن..

- جريدة القُدس العربي، يومية سياسية، تصدر في لندن، الأعداد: 2917- 2930 أيلول(سبتمبر)- تشرين الأول(أكتوبر) 1998.

- جريدة المنبر، شهرية سيأسية (1995 - 2000) يصدرها المعهد الإسلامي بلندن، صاحبها السَّيد حسين الصَّدر.

- جريدة المؤتمر، أسبوعية سياسية، لسان حال المؤتمر الوطني العراقي الموحد، تصدر بلندن، أعداد السَّنة 1995.

- جريدة الوطن السعودية، يومية سياسية، تصدر بالرياض، العدد 2452.

المواقع الإلكترونية:

www.iraqiparty.com(موقع الحزب الإسلامي العراقي).

www.alglibon.com(موقع حركة حزب الله بالعراق).

www.almahdyoon.org (موقع المهديين).

www.yagoobi.com (موقع الشَّيخ اليعقوبي).

http://www.almejlis.org (موقع المجلس الأعلى الإسلامي في العِراق)

http://al-daawa.org (موقع حزب الدَّعوة الإسلامية)

http://www.alwfaqalislami.com(موقع حركة الوفاق الإسلامي)

http://www.alasefi.net (موقع الشَّيخ الآصفي)

http://www.freewebs.com (الموقع الحر)

http://www.alitthad.com (موقع جريدة الاتحاد العراقية).

www.attaweel.com (موقع ملتقى التأويل)

http://www.islamtoday.net (موقع إسلام اليوم).

http://www.islamonline.net (موقع إسلام أون لاين).

http://www.alsaed-albaghdadi.com (موقع مكتب السَّيد أحمد البغدادي).

www.almahdyoon.org (موقع المهديين- جماعة اليماني).

www.alhsany.net (موقع محمود الصرخي).

www.iraq-amis.org (موقع هيأة علماء المسلمين)

http://www.basaernews.com (موقع جريدة البصائر)

http://www.iraq-amsi.com/Portal (موقع هيأة علماء المسلمين في العراق)

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ن)

(هـ)

فهرس البلدان والأماكن والمواضع

فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق والجماعات

(م)

(ن)

(و)

(ي)

يصدر عن مركز المسبار



السرورية.

الأحباش.

القاعدة في جزيرة العرب.

الحركة الإسلامية في المغرب.

حزب الله.

الإسلامية اليمنية.

حركة حماس.

جماعة التبليغ.

الإخوان المسلمون 1 - التأسيس.

الإخوان المسلمون 2 - التحديات.

القاعدة 1- التشكل.

الجماعة الإسلامية في مصر.

القاعدة 2- التمدد.

حركة الجها د في فلسطين.

الإسلامية الأردنية.

مراجعات الإسلاميين (الجزء الأول).

مراجعات الإسلاميين (الجزء الثاني).

الجامية.

التعليم الديني 2 - التحليل.

الإخوان المسلمون في العراق.

الإسلاميون في الصومال.

القاعدة في اليمن.

أهل السنّة في إيران.

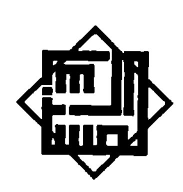
النسوية الإسلامية الجهاد من أجل العدالة.

الإسلاميون في السودان.

السلفيون في دول المغرب العربي.

المسلمون في جنوب أفريقيا.

المسلمون في أمريكا.



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي، الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتـف: 77 151 36 4 971+

فاكس: 78 151 36 4 971+

info@almesbar.net

الخطأ والصواب (2- السُّنَّة)

الصفحة	الفقرة	السَّطر	الخطأ	الصَّواب
15	1	9	(المباح واللامباح)	«بعد إذن الفقيه»
21	2	1	، العاملين بالمراق،	، من العاملين بالمراق،
22	2	6	عائداً المراق	عائداً إلى المراق
24	2	5	طلبة الشريعة كان	طلبة الشريعة كانوا
25	الهامش 51		الجواهري الديوان	الجواهري، الدِّيوان
27	1	1	على باطل باطل	(حذف على)
29	1	4	وبيعد	. (حذف)
32	3	1	(رفع الفقرة)	
37	2	3	كان علة	كان علم
41	1	7	أما ما	(بداية سطر)
41	1	13	لكن التَّسامح عادة يكون مع الخصوم، أما المودة للأقربين	(حذف الجملة كاملةً)
41	الهامش 79		المشايخي، محمد محمود الصواف، ص 179	المشايخي، المصدر نفسه، ص 179
44	2	4	قبل ذلك	حذف العبارة
49	3	2	(ت 1984)	(ت 1981)
51	1	5	تظرنا في في	نظرنا في (حذف في الثانية)
51	1	7	وبين الإخوان	والإخوان (حذف بين)
55	1	1	ربما لم تكن	قد لا تكن
55	1	6	يروب	يروي
55	1	12	برض القضية	بعرض القضية
55	2	3	بالصادرة	الصادرة
57	1	2	واغلقت	وأُغلق
57	1	3	بالسجن	في السجن

الصفحة	الفقرة	السّطر	الخطأ	الصّواب
61	2	12	صراحة	(حذف)
62	2	2	نفذ فيه العميد عبد الغني الراوي (يُقيم حالياً بالمملكة العربية السعودية) القتل	ترأس العميد عبد الغني الرواي المحكمة الصورية، والتي حكت عليه بالقتل
64	2	3	لكن الخلاف	الخلاف (حذف لكن)
71	3	6	وسال الدم وجهه	وسال الدم مِن وجهه
72	1	3	بعد السدة	وراء السُّدة
72	2	7	منالنقص	مِن النقص
79	2	1	ورد في أن	ورد أن (حذف في)
79	3	2	وهو المعاشرين	وهو مِن المعاشرين
80	1	1	ومما يَكره	ومما يذكره
81	2	5	حسرات	حاسرات
82	2	2	فيوها	فيومها
84	1	2	بمؤتمر	في مؤتمر
85	3	1	العراق 9 نيسان	العِراق في 9 نيسان
102	3	7	وقيل إنه	وقيل إن
103	3	1	نضم	أنضم
105	1	2	ب أنه حزب	بل إنه حزب
105	2	1	يتأف شعار من الرافدين	يتألف مِن شعار الرفدين
120	2	5	لا في الإعلام	ولا في الإعلام
120	2	6	حيث أغلقت	فقد أغلقت
123	2	3	كان القومي	كان القومي خير الدِّين حسيب
127	2	1	ألقتى	التقى
139	1	14	في سبيل الله(242)،	في سبيل الله(242).
140	1	10	(بداية سطر) وحسب برزان التكريتي	
273	1	5	(بداية سطر) بينما هناك جهات	
283	1	3	بلندن عاصمة المملكة المتحدة حي سانت جيمس وود	حذف العبارة

رصد لظاهرة الإسلام العراقي بلونيه الشِّيعي والسُّني، حاول فيه المؤلف الإلمام بأهم وأبرز الأحزاب والمنظمات والجماعات والأحزاب، مِن تدخل مرجع مِن مراجع الدين في شأن سياسي إلى تشكيل منظمة سياسية باسم الدين.

ولا يخلو الكتاب، على عادة مؤلفه، مِن رفده بأثر تاريخي وشاهد تراثي. وهو بجزئيه جاء مانعاً جامعاً موثقاً لتفاصيل قرن مِن تاريخ وحاضر العراق، مع عدم رغبته في هذا التقسيم الطائفي، لكن واقع الحال فرض أن يكون للشيعة جزء وللسُّنة جزء آخر.


ISBN 978-9948-443-58-2





www.almesbar.net